

ذيـــل الصواعـــق

لمحو الاباطيل والمخارق

تأليف الفقير الى الله تعالى حمود بن عبدالله التويجري

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الاولي عام ١٣٩٠ ﻫ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــــديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد الخلائـــق أجمعين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أمـا بعد فقد قرأ علي فضيلة الشيخ / حمود بن عبـدالله التويجري مؤلفه القيم (ذيل الصواعق لمحو الاباطيل والمخارق) فألفيته كتابـاً جيداً في معنـاه أجاد فيه وأفاد وبين غلطات الاستاذ محمد محمود الصواف في كتابه المسلمون وعلم الفلك بما لا مزيد عليه بارك الله فيه وفي علومه . فان الاستـاذ الصواف ذكر في كتابه المسلمون وعلم الفلك اشياء لم يدل عليها دليل لا من كتاب ولا من سنة ولا اجماع ولا عقل سليم ولا يكاد يصدق بها من له ادنى مسكةمن عقل فضلا عمن لديه ادنى علم بنصوص الكتاب والسنة . (قل لا يعـلم من في السموات والارض الغيب الا الله) مثل قول الصواف عن ابي جعفر الطوسي وهل تعلم ان من علمـاء الهيئة المسلمـين الذين رصدوا وألفوا وسهروا الليالي الطوال في مناجاة النجوم ورصد حركاتها وسكناتها الشيخ / ابو جعفر نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي الفيلسوف الى ان قال ولو اردنا ان نزيـد لأتينا بالشيء الكثير من فعل سلفنا الصالح .

وحالة الطوسي معلومة عند أهل العلم قال عنه ابن القيم في كتابه اغاثـة اللهفان في صفحة (٢٦٧) المجلد الثاني لما انتهت النوبة الى نصير الشرك والكفر والالحاد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هلاكو شفى نفسـه من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل دينه فعرضهم على السيف حتى شفى اخوانه من الملاحدة واشتفى هو فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين واستبقى

الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة ونقل اوقاف المدارس والمساجد والربط اليهم وجعلهم خاصته وأولياءه ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد وانكار صفات الرب جل جلاله من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وانه لا داخل العالم ولا خارجه وليس فوق العرش اله يعبد البتة واتخذ للملاحدة مدارس ورام جعل اشارات امام الملحدين ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر على ذلك فقال هي قرآن الخواص وذلك قرآن العوام ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين فلم يتم له الامر وتعلم السحر آخر الامر فكان ساحراً يعبد الأصنام قال ابن القيم في الكتاب المذكور نقلا عن مصارعة المصارعة للطوسي وان الله تعالى لم يخلق السموات والارض في ستة ايام وانه لا يعلم شيئاً وانه لا يفعل شيئاً بقدرته واختيارة ولا يبعث من في القبور الى ان قال وبالجملة فكان هذا الملحد هو واتباعه من الملحدين الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر انتهى . فلا ينبغي حينئذ تعداده من المسلمين ولا من سلفنا الصالح. ومثل قول الاستاذ الصواف. ان الشمس تفقد أربعة ملايين طن من وزنها في الثانية الواحدة من احتراقها ولم تزل تجدد وزنها وحجمها فمن وزنها بذلك ؟. ومن عرف مقدار ما تحرقه من ملايين الاطنان؟.. ومن قدر هذا الزمن الذي تحرق فيه هذا العدد الهائل ؟.. ومن ذلك نقله عن جيمس أوثر ان العالم بدأ يوم ٢٦ اكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد ولم يرده بل نقله مقراً له ومرتضياً فما الذي ادراه عن ذلك الشهر وعن ذلك اليوم وانه هو اليوم السادس والعشرون من اكتوبر بحيث لم يتقدم يوماً ولم يتأخر يوماً لا يعلم متى كان ذلك الا الله .

وقال ايضاً جاء في احد الكتب الهندية المقدسة ان عمر العالم هو ١٩٧٢٩٤٩٠٥٦ الف وتسعمايه واثنين وسبعين مليون وتسعمائة وتسعة واربعين الفا وستة وخمسين سنة .

وقال ايضاً ان الجهود التي يبذلها الفلكيون في العصر الحديث يمكن أن يعتبر أصح تقدير لعمر الكرة الارضية فقد دلت آخر التقديرات القائمة ان عمر الكرة الارضية حوالي خمسة آلاف واربعمائة مليون سنة ٥٤٠٠٠٠٠٠٠٠ وهذا تناقض كما ترى فلا يعلم متى كان ذلك غير من خلق هذا الكون واوجده.

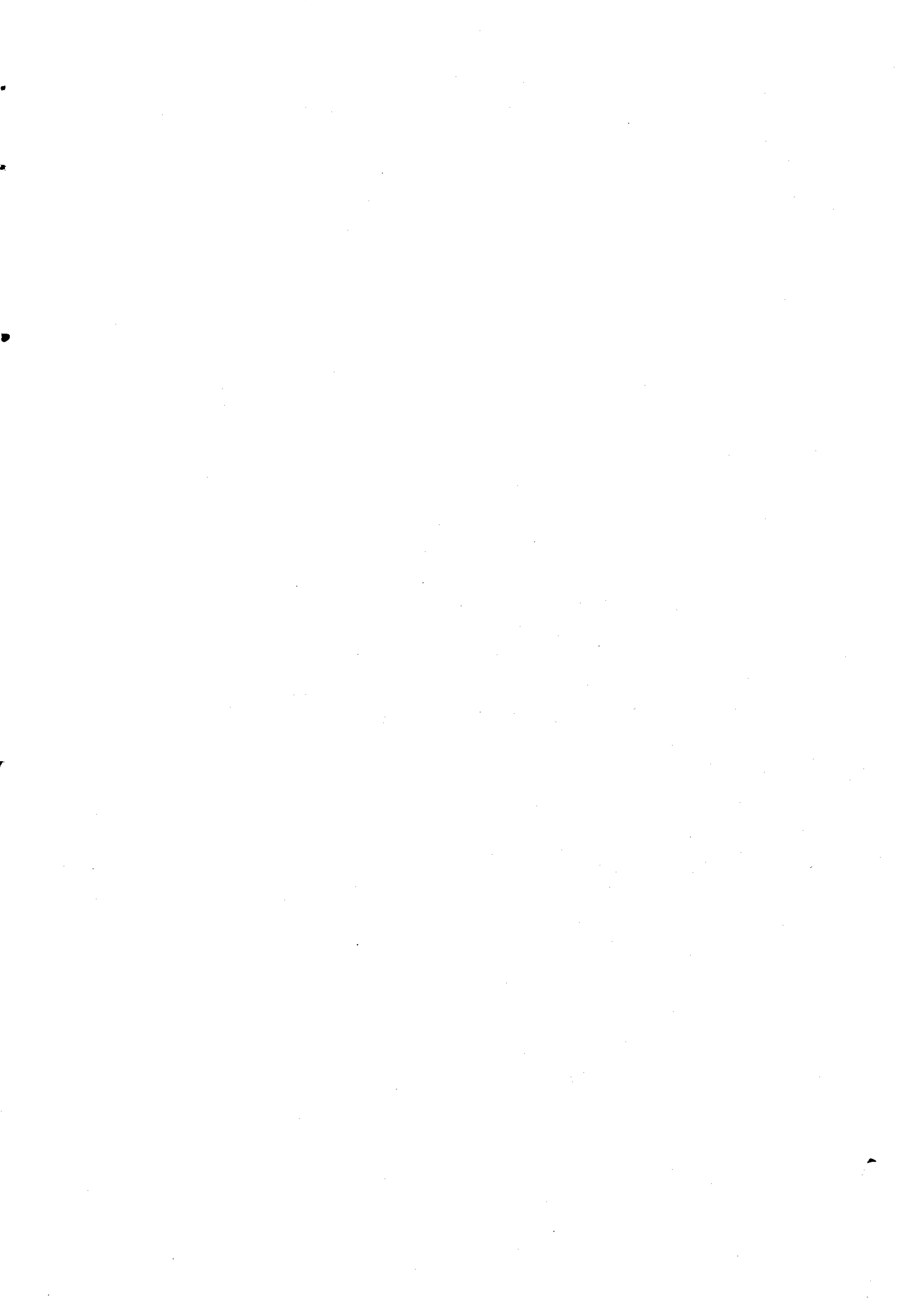
ونعوذ بالله ان نقول بقدم العالم كما يقوله بعض الفلاسفة . . وقال ايضاً ان بعض العلماء أظهر انه تمكن من احتساب النقص في سرعة دوران الارض فوجد ان هذا النقص يبلغ حوالي ثانية واحدة كل مائة وعشرين الف سنة ثم قال الاستاذ الصواف وعليه فبعد ٤٣٢ مليون سنة ينقص دوران الارض بمقدار ساعة وعندئذ يصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة فتصور هذا وامثاله كاف في رده .

وقال ايضاً في عمر الشمس انه خمسة آلاف مليون سنة وان نجوماً سوف لا يصل نورها الى كرتنا الارضية في أقل من الف وخمسمائة مليون سنة ضوئية قال مع العلم بان الضوء يسير في الثانية الواحدة ثلاثمائة الف كيلو متر .

وان هذا الكون يتضمن خمسمائة مليون مليون من المجرات كما يقدر علماء الفلك وفي كل مجرة مائة الف مليون نجم الى غير ذلك من الاشياء الكثيرة في كتابه فلعل فضيلته يراجع كتابه ويصلح ما فيه من خطأ على ضوء الكتاب والسنة وما يؤيده العقل الصحيح فان الرجوع الى الحق خير من التمادي في ضده والله يوفق الجميع لما فيه صلاح ديننا ودنيانا وان يسلك بنا صراطه المستقيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .،،،

الرئيس العام للاشراف الديني بالمسجد الحرام

عبدالله بن محمد بن حميد — **٣ / ١١ / ١٣٨٩هـ**



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه. ونستغفره ونتوب اليه. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهدي الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له. واشهد ان محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين. وحجة على المعاندين. صلى الله عليه وعلى اله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين. وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فقد اطلعت على رسالة لمحمد محمود الصواف سماها «المسلمون وعلم الفلك» قد جمع فيها ما نشره في جريدة الدعوة من التعقيب على الشيخ عبدالعزيز بن باز فيما يتعلق بجريان الشمس وسكون الارض وزاد على ذلك شيئاً كثيراً من تخرصات أهل الهيئة الجديدة وتخرصات اتباعهم في الارض والشمس والقمر والكواكب. وهذه الرسالة مطبوعة في لبنان في جمادى الاولى سنة ١٣٨٧هـ

وقد كنت كتبت رداً على ما نشره في جريدة الدعوة وسميته «الصواعق الشديدة على اتباع الهيئة الجديدة» وهو في الحقيقة رد على ما نشره في جريدة الدعوة وعلى رسالته المطبوعة معاً. لان ما في الرسالة المطبوعة هو نص ما نشره في الجريدة سوى ما زاده فيها من التخرصات وتحريف بعض الآيات وتأويلها على غير المراد منها.

وقد رأيت ان اتبع الرد بملحق في رد ما زاده في الرسالة المطبوعة من

التخرصات والتوهمات وتحريف الكلم عن مواضعه . واسأل الله المعونة والتوفيق لما يحب ويرضى . وان يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه . ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه . ولا يجعله ملتبساً علينا فنضل . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب .

فصــــل

قال الصواف « المسلمون وعلم الفلك »

والجواب ان يقال ان هذا العنوان خطأ ظاهر لان غالب ما في الرسالة من الكلام في الارض والسموات والشمس والقمر والكواكب ليس من أقوال المسلمين وعلومهم وانما هو من تخرصات اهل الهيئة الجديدة وتوهماتهم .واهل الهيئة الجديدة ليسوا من المسلمين وانما هم من فلاسفة الافرنج وهم كوبرنيك البولوني واتباعه في القرن العاشر والقرن الحادي عشر من الهجرة . وهرشل الانجليزي واتباعه في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر من الهجرة . وغالب ما نقله الصواف عن الالوسي فهو مما نقله الالوسي عن اهل الهيئة الجديدة كما صرح بذلك في مواضع كثيرة من كتابه الذي سماه (ما دل عليه القرآن . مما يعضد الهيئة الجديدة) . واذا كان مدار رسالة الصواف على اقوال اهل الهيئة الجديدة وتخرصاتهم وتخرصات اتباعهم فنسبة ذلك الى المسلمين فرية عليهم . وتسمية الرسالة بهذا العنوان لا تطابق المسمى وانما المطابق له ان يقال « الافرنج والتخرص في علم الفلك » وسأنبه على ما يشهد لهذه المطابقة من نقول الصواف ان شاء الله تعالى .

والذي حمل الصواف على نسبة ما في رسالته من تخرصات اهل الهيئة الجديدة وتوهماتهم الى المسلمين هو اعتقاده في اهل الهيئة الجـــديدة انهم مسلمون قد عرف اكثرهم بالتقوى والصلاح كما صرح بذلك في صفحة ٤٤ . وقال في صفحة ٥١ وصفحة ٦٩ انهم سلفه الصالح . وقال في صفحة ٦٧ وصفحة ١١٧ انهم علماؤه الاعلام . وقد ذكرت في الصواعق الشديدة انه لا يخلو في زعمه هذا

من احد امرين . إما ارادةالتمويه والتلبيس على الجهلة الاغبياء بما لا حقيقة له في نفس الامر . واما شدة الغباوة فيه حيث نبا فهمه عما صرح به الالوسي في صفحة ٢٣ و ٣٣ و ٣٤ و ٤٦ و ٥٩ و ٩٥ من كون اهل الهيئة الجديدة من الافرنج .

فصـــــل

قال الصواف في مقدمة رسالته في صفحة ١١ ما نصه :

وحرصاً مني على نشر العلم وبيان فضل علمـاء المسلمين الذين كان لهم الفضل الاكبر في تشجيع علم الفلك وبناء المراصـد في مختلف البلدان رأيت ان اطبع هذا الرد في كتيب ليطلع شبابنا على مفاخر اجدادهم وسبقهم للعالم في مختلف الميادين العلمية .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ليس ما نشره الصواف في رسالته بعلم وانما هي تخرصات وظنون كاذبة اوحاها الشيطان الى اوليائه من فلاسفة اليونان واتباعهـم من فلاسفة الافرنج المتأخرين فاغتر بها اتباعهم ومقلدوهم من جهلة المسلمين وظنوها علمـاً صحيحاً وهي في الحقيقـة جهل صرف لا يروج الا على جاهل لا يميز بين العلم والجهل .

الوجه الثاني ان علماء المسلمين منزهون عـــن تشجيع علم الفلك وبناء المراصد كما سيأتي بيان ذلك في الفصل الذي بعد هذا الفصل وما زعمه الصواف ههنا فهو من الافتراء على علماء المسلمين .

الوجه الثالث ان الذى نشره الصواف في رسالته كله مـــن تخرصات

فيثاغورس اليوناني واتباعه من فلاسفة الافرنج المتأخرين ومنهم كوبرنيك البولوني وتيخوبراهي الدانياركي وكبلر وغاليليه ونيوتن الانجليزي وهرشل الانجليزي وداروين الانجليزي . وهؤلاء كلهم من اعداء المسلمين وليسوا من المسلمين فضلا عن ان يكونوا من اجداد المسلمين كما توهمه الصواف . ومن زعم ان هؤلاء الفلاسفة من اجداد المسلمين فهو من اكذب الكاذبين .

الوجه الرابع ان المفاخر كل المفاخر للذين حملوا علم الكتاب والسنة ونشروه في هذه الامة وهم الصحابة والتابعون وتابعوهم باحسان وائمة العلم والهدى من بعدهم . فأما تخرصات اعداء الله وظنونهم الكاذبة فليست بمفاخر كما قد توهمه الصواف وانما هي معائب وجهالات وضلالات تزري بمن تعلق بها غاية الازراء وقد قال الله تعالى (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم) وأول هذه الآية الكريمة مطابق لاهل التخرصات والظنون الكاذبة واخرها مطابق لاهل العلم الحقيقي الذي هو علم الكتاب والسنة .

الوجه الخامس ان بناء المراصد من افعال المنجمين من اليونان والصائبين ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من المنحرفين عن الدين من هذه الامة . وما كان هكذا فليس فيه فضل البتة وليس هو من المفاخر كما قد توهمه الصواف وانما هو من المثالب والمعائب واتباع غير سبيل المؤمنين وقد قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جنهم وساءت مصيرا) .

وروى الامام احمد وابو داود وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال « من تشبه بقوم فهو منهم » صححه ابن حبان وقال

شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية اسناده جيد وقال الحافظ العراقي اسناده صحيح وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني اسناده حسن وقد احتج الامام احمد بهذا الحديث وهذا يقتضي صحته عنده. قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى وهذا الحديث اقل احواله انه يقتضي تحريم التشبه بهم وان كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله تعالى (ومن يتولهم منكم فانه منهم) انتهى .

فصل

وذكر الصواف في صفحة ١٢ ان ما جمعه في رسالته فهو مما تركه العلماء الاعلام والخلفاء العظام .

والجواب ان يقال ليس هذا بصحيح فان الخلفاء العظام على الحقيقة هم ابوبكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم . ولم يؤثر عن احد منهم انه تكلم في علم الفلك بشيء فضلا عن القول بسكون الشمس ودوران الارض عليها . وكذلك ما ذكره الصواف من الهذيان الكثير في الارض والشمس والقمر والكواكب فان هذا مما ينزه عنه احاد العقلاء فضلا عن الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم .

وهولآء الخلفاء الاربعة هم القدوة بعد رسول الله ﷺ لقول النبي صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » رواه الامام احمد واهل السنن من حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وصححه ايضاً ابن حبان والحاكم والذهبي .

ولا عبرة بمن حاد عن منهاج هولآء الخلفاء الراشدين من الملوك كالمأمون فأنه قد اعتنى بتعريب كتب الاوائل وعمل الارصاد ففتح بذلك على الامة باب شر عريض .

وقد ذكر السفاريني في كتابه «لوائح الانوار البهية» عن الصلاح الصفدي انه قال حدثني من اثق به ان شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه كان يقول ما اظن ان الله يغفل عن المأمون ولابدان يقابله على ما اعتمده مع هذه الامة من ادخال العلوم الفلسفية بين اهلها .

وقال الحافظ ابو عبد الله الذهبي في « تذكرة الحفاظ » في ترجمة شجاع بن الوليد بن قيس . لما قتل الامين واستخلف المأمون على راس المائتين نجم التشيع وابدى صفحته وبزغ فجر الكلام وعربت كتب الاوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الامة منه في عافية ـ الى ان قال ـ ان من البلاء ان تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف وتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول اتباع الرسل ويمارى في القران ويتبرم بالسنن والاثار وتقع في الحيرة . فالفرار قبل حلول الدمار واياك ومضلات الاهواء ومحارات العقول.ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم انتهى كلامه رحمه الله تعالى

وقال المقريزي في كتاب الخطط . وقد كان المأمون لما شغف بالعلوم القديمة بعث الى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة واتاه بها في اعوام بضع عشرة ومائتين من الهجرة فأنتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس واشتهرت كتبهم بعامة الامصار واقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها

واكثروا من النظر فيها والتصفح لها فانجر على الاسلام واهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين وعظم بالفلسفة ضلال اهل البدع وزادتهم كفرا الى كفرهم انتهى .

وقد سار على منهاج المأمون في عمل الارصاد كثير من الملوك المنحرفين مثل الحاكم العبيدي وبعض بني بويه والسلاجقة وهولاكو وتيمورلنك واولغ بيك . فهولاء هم خلفاء الصواف الذين تركوا له ولاشباهه من علم الفلك وعمل الارصاد ما تركوا . ومع ما كانوا عليه من الاعتناء بالارصاد وعلم الفلك فقد كانوا على مذهب اهل الهيئة القديمة في القول بسكون الارض وجريان الشمس . ولم يذكر عن احد منهم انه قال بتعدد الشموس والاقمار ولا بغير ذلك مما يهذو به اهل الهيئة الجديدة واتباعهم في ابعاد الكواكب ومقاديرها وغير ذلك مما اودعه الصواف في رسالته وزعم انه مما تركه الخلفاء العظام وهو بذلك قد افترى عليهم ونسب اليهم ما لم يؤثر عنهم وانما هو مأثور عن اهل الهيئة الجديدة واتباعهم .

واما زعمه ان ما جمعه في رسالته فهو مما تركه العلماء الاعلام فجوابه ان يقال ان اعلم هذه الامة على الاطلاق علماء الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ولم يتكلم احد منهم في علم الفلك بشيء فضلا عن القول بحركة الارض وثبات الشمس والرجم بالغيب عن ابعاد الكواكب ومقادير اجرامها وغير ذلك مما اودعه الصواف في رسالته .

ثم التابعون وتابعوهم باحسان وأئمة العلم والهدى من بعدهم ولا سيما الأئمة الاربعة واقرانهم من اكابر العلماء فهؤلاء هم العلماء الاعلام على الحقيقة ولم

يقل احد منهم بحركة الارض وثبات الشمس ولم يرجموا بالغيب عن ابعاد الكواكب ومقادير اجرامها وغير ذلك مما اودعه الصواف في رسالته ونسبه الى العلماء الاعلام وهو بذلك قد افترى عليهم ونسب اليهم ما لم يؤثر عن احد منهم وانما هو مأثور عن اهل الهيئة الجديدة واتباعهم فهم في الحقيقة خلفاء الصواف الذين زعم انهم عظام وعلماؤه الذين زعم انهم العلماء الاعلام .

فصل

وفي صفحة ١٢ حرف الصواف هذه الآية (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) فقال ولا تجعل في صدورنا غلا للذين آمنوا .

فصل

وفي صفحة ٢١ وما بعدها ساق رده على الشيخ ابن باز وقرر فيه القول بثبات الشمس وحركة الارض وسبحها في الفلك وجعل ذلك من علوم المسلمين في الفلك .وهذا خطأ كبير فان هذا القول الباطل من اقوال اهل الهيئة الجديدة وهم من فلاسفة الافرنج المتأخرين . والمسلمون بريئون من هذا القول المخالف للكتاب والسنة واجماع المسلمين . وقد استوفيت الرد عليه في الصواعق الشديدة فليراجع هناك .

فصل

وفي صفحة ٢٨ سمى الارض الكوكب الارضي . وهذا من اقوال اهل الهيئة الجديدة وليس من اقوال المسلمين . وقد تعقبت ذلك في الصواعق الشديدة فليراجع هناك .

فصـــــل

وفي صفحة ٢٨ ايضاً نقل الصواف عن الملحـــد الجهمي جميل صدقي الزهاوي انه قال :

وما الارض بين الكائنات التي ترى بعينيك الا ذرة صغرت حجما

ونحو هذا قول الصواف في صفحة ٨٣ ان الارض ما هي الا فقاعة في محيط . وقوله ايضاً في صفحة ١٠٩ ولعل ادق وصف للارض بالنسبةللكون هو انها هباءة دقيقة لا ترى الا بالمجهر في هذا الفضاء الفلكي الواسـع بالنسبة الى الاجرام السماوية المتناثرة في انحاء الكون .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ما يدري جميلا الزهاوي ان الارض كالذرة بين الكائنات التي يراها الانسان بعينيه (اعنده علم الغيب فهو يرى) . وما يدري الصواف ان الارض ما هي الا فقاعة في محيط وانها هباءة دقيقة لا ترى الا بالمجهر في هذا الفضاء الفلكي الواسع . هل وجد ذلك في كتاب الله تعالى او فيما صح عن رسول الله ﷺ . او انزل عليه الوحي بذلك . واذا كان كل هذا معدوما فلا شك انه وصاحبه قد قفوا ما ليس لهما به علم . وليس لهما مستند فيما زعماه سوى التخرص واتباع الظن الكاذب . وقد قال الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اؤلئك كان عنه مسؤلا) وقال تعالى (قتل الخراصون . الذين هم في غمرة ساهون) وقال تعالى (وما يتبـع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحـق شيئا ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعالى (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا . فاعرض عمن تولىعن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعـلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) .

الوجه الثاني ان الله تعالى عظم شأن الارض في كتابه ونوه بذكرها اكثر مما عظم من شأن الشمس والقمر والكواكب . وقرن خلقها مع خلق السموات في عدة ايات من القران . واخبر انه خلقها وما فيها في اربعة ايام وانه خلق السموات وما فيهن في يومين وذلك يدل على عظم الارض . وقد قال الله تعالى (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقال تعالى (ومن اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة) الآية . وقال تعالى (ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) وقال تعالى (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) الاية. وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) الآية . وقال تعالى (وسع كرسيه السموات والارض) وقال تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن) الاية. الى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على عظم الارض وسعتها

وقد جاء في تعظيم خلق الأرض احاديث كثيرة عن النبي ﷺ .

منها ما رواه الأمام احمد والشيخان والترمذي والنسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جاء حبر من الأحبار الى رسول الله ﷺ فقال يامحمد انا نجدان الله يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلائق على اصبع فيقول انا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ (وما قدروا الله حق قدره) الآية .

ومنها ماروواه الامام احمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس قال كيف تقول يا ابا القاسم يوم يجعل الله السماء على ذه واشار بالسبابة والأرض على ذه والماء على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كل ذلك يشير باصابعه فانزل الله عزوجل (وما قدروا الله حق قدره) قال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح.

ومنها ما رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « قال موسى عليه السلام يا رب علمني شيئاً اذكرك وادعوك به قال قل يا موسى لا اله الا الله قال كل عبادك يقولون هذا قال يا موسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة مالت بهن لا اله الا الله » قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

ومنها ما رواه الامام احمد والبخاري في الادب المفرد والطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال « ان نبي الله نوحاً صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة قال لابنه اني قاص عليك الوصية آمرك باثنتين وانهاك عن اثنتين آمرك بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا اله الا الله في كفة رجحت بهن لا اله الا الله ولو ان السموات السبع والارضين السبع كن حلقة مبهمة فصمتهن **لا** اله الا الله » وذكر تمام الحديث .

ومنها ما رواه ابن مردويه عن ابي ذر رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقة

ملقاة بأرض فلاة وان فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة»

والاحاديث الدالة على عظم الارض كثيرة جداً وفيما ذكرته ههنا كفاية ان شاء الله تعالى .

وفيما ذكرته من الآيات والاحاديث اوضح دليل على عظم الارض . وفيها ابلغ رد على من صغر الارض وحقرها وزعم انها كالذرة او كالفقاعة في المحيط او كالهباءة التي لا ترى الا بالمجهر بالنسبة الى اجرام الكواكب . وقد قال الله تعالى (قل أأنتم اعلم ام الله) .

الوجه الثالث ان الله تعالى قـــال (اذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت) وقال تعالى (اذا السماء انفطرت . واذا الكواكب انتثرت) قال البغوي وغيره في قوله تعالى (واذا النجوم انكدرت) اي تناثرت من السماء وتساقطت على الارض كما قال تعالى (واذا الكواكب انتثرت) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قـــال « يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث ريحا دبوراً فيضرمها ناراً » رواه ابن ابي حاتم باسناد ضعيف . وكذا ذكر البغوي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال ابن كثير وكذا قال عامر الشعبي .

قلت ويشهد لهذا الاثر ما رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله الداناج قال حدثني ابو سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وســـلم قال « الشمس والقمر مكوران يوم القيامة » ورواه البزار من حديث عبد الله الداناج قال سمعت ابا سلمـــة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس اليه فحدث قال حدثنا ابو هريرة رضي الله عنـــه ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال « ان الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة » فقال الحسن وما ذنبهما فقال احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول وما ذنبهما اسناده صحيح على شرط مسلم .

وروى ابو يعلى عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الشمس والقمر ثوران عقيران في النار » قال الهيثمي فيه ضعفاء قد وثقوا .

قلت وما تقدم عن ابي هريرة رضي الله عنه يشهد له ويقويه

وروى ابن ابي حاتم عن الشعبي انه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) وجهنم هو هذا البحر الاخضر تنتثر الكواكب فيه وتكور فيه الشمس والقمر ثم يوقد فيكون هو جهنم .

وروى الامام احمد وابن جرير والحاكم عن يعلى ابن امية رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البحر هو جهنم » قال الحاكم صحيح الاسناد ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وفيما ذكرنا دليل على عظم الارض لان الشمس والقمر والنجوم تنتثر يوم القيامة في البحر فيسعها كلها . ولو كانت الارض كالذرة او كالفقاعة في المحيط او كالهباءة التي لا ترى الا بالمجهر بالنسبة الى اجرام الكواكب لما وسعت الارض كوكباً واحداً ولا بعض كوكب . وهذا ظاهر البطلان لمخالفته لما دلت عليه الآيات والاحاديث التي ذكرنا والله اعلم .

الوجه الرابع ان يقال ان جميلا الزهاوي كان جهمياً كذاباً افاكاً كما يعلم ذلك من كتابه الذي سماه الفجر الصادق . وهو في الحقيقة الفجر الكاذب والظلمة الحالكة . وقد رد عليه الشيخ العلامة سليمان بن سحمان رحمه الله

تعالى رداً شافياً كافياً في كتابه الذي سماه « الضياء الشارق . في رد شبهات المأذق المارق » ورد ايضاً في آخره على من قرظ كتاب جميل بقصيدة اجاد فيها وافاد واولها :

ألا قل لاهل الجهل من كل ماذق ... وكل كفور من ذوي الغي مارق
كلام جميل لا جميلا فينتقى ... ولا بسديد يرتضى في الحقائق
على انه همط وخرط ملفق ... اكاذيب لا تعزى الى نقل صادق
اتى فيه بالكفر الصريح مجاهراً ... ومرتضياً ما قد اتى من شقاشق

الى ان قال :

كتاب حوى افكا وزوراً ومنكراً ... وكفراً وتعطيلا لرب الخلائق
فعطل اوصاف الكمال لربنا ... وعن كونه من فوق سبع الطرائق
وانكر معراج الرسول حقيقة ... بذات رسول الله سحقاً لمارق
وانكر رؤيا المؤمنين لربهم ... فتباً له تباً وسحقاً لماذق
وسمى كتاب الله والسنن التي ... اتت عن رسول الله ازكى الخلائق
ظواهر لا تبدي يقيناً لانها ... على زعمه ظنية في الحقائق
فلا يستفيد المؤمنون بها الهدى ... ولكن بمعقولات اهل الشقاشق
فان خالفت معقول من اسسوا لهم ... قواعد كفر شامخات الشواهق
فحق على كل امرىء بل وواجب ... تؤول عن مدلولها بالمخارق
وتصرف للمرجوح عن حكم راجح ... لاجل مقالات الغواة الموارق
والا فبالتفويض حتما لديهم ... اذا لم تؤول في خلاف الحقائق
وتفويضهم ابطالها عن حقائق ... تدل عليها بالمعاني الشقائق

الى ان قال :

وقدم حكم العقل حتما بزعمه ... على النقل فيما قد رأى كل مارق

فتباً لمن يبدي ثناء ومدحة ... لتأليفه او ما قد حوى من شقاشق

فما كان فجراً صادقاً في ظهوره ... ولكنه فجران يبدو لرامق

ووالله ما ابدى صواباً ولم يكن ... على المنهج الاسنى وليس برائق

وليس يروق الكفر الا لزائغ ... عن الحق او مستغرق بالعوائق

وجوزان يدعى سوى الله بالرجا ... وبالخوف والتعظيم فعل المشاقق

وان يستغيث المشركون بغيره ... وان يلجئوا في كل خطب مضايق

فتبا لعباد القبور الذين هم ... حماة ذوي الاهواء من كل مارق

فقد نبذوا الوحيين خلف ظهورهم ... وقد حكموا القانون بين الخلائق

ومع ما ذكرنا عن جميل الزهاوي من الاقوال الوخيمة والعقائد الباطلة الذميمة فقد اعتمد الصواف على تخرصه وظنه الكاذب في تصغير الارض وتحقيرها وقرر ذلك في ثلاثة مواضع من رسالته . وهذا يدل على انه كان مقبول القول عنده . وكفى بالرجل جهلا ان يعتمد على تخرص جميل الزهاوي واشباهه من اهل الاهواء والبدع .

وما ذكره الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى عن جميل الزهاوي انه سمى ادلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية وانه يجب تأويلها او تفويضها فقد قال الصواف مثله في صفحة ٢٢ و٢٣ من رسالته حيث زعم ان النصوص الدالة على جريان الشمس ظنية وليست قطعية الدلالة. قال والتوقف فيها او تفويض الامر فيها الى الله اسلم واحكم . ثم قال وفي التأويل مندوحة في الامور غير القطعية خاصة في مثل هذه الامور .

قلت وهذه جراءة عظيمة على الله وعلى كتابه وعلى رسوله ﷺ . وقد رددت على هذا القول الباطل في الصواعق الشديدة فليراجع هناك .

وقول جميل الزهاوي في تصغير الارض وتحقيرها وفي تسمية الادلة من الكتاب والسنة ظواهر ظنية وانها تؤول او تفوض قد ذكره في كتابه الفجر الكاذب . وهذا نص كلامه .

قال « وأما ما تمسكت به الوهابية من النقول التي تثبت الاشارة اليه تعالى فهي ظواهر ظنية لا تعارض اليقينيات فتؤول اما اجمالا ويفوض تفصيلها الى الله كما عليه اكثر السلف . واما تفصيلا كما هو رأي الاكثرين . فما وردمن الاشارة اليه في السماء محمول على انه تعالى خالق السماء وان السماء مظهر قدرته لما اشتملت عليه من العوالم العظيمة التي لم تكن ارضنا الحقيرة الاذرة بالنسبة اليها . وكذلك العروج اليه تعالى هو بمعنى العروج الى موضع يتقرب اليه بالطاعة فيه. الى غير ذلك من التأويلات » انتهى كلامه . وقد رد عليه الشيخ العلامة سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى فأجاد وافاد .

وقول جميل في تصغير الارض وتحقيرها هو مما أخذه عن فلاسفة الافرنج المتاخرين. وأما تسميته لادلة الكتاب والسنة ظواهر ظنية وانها تؤول او تفوض فهو مما اخذه عن اهل الكلام الباطل الذي ذمه السلف وحذروا منه ومن اهله.

قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى . والرازي يطعن في دلالة الادلة اللفظية على اليقين وفي افادة الاخبار العلم وهذان مقدمتا الزندقة والتوقف في دلالتها شك يقتضي كفر المتوقف وقد قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فنفى الله الايمان عمن لم يحكم الرسول وعمن وجد في نفسه حرجاً من حكمه . وتأويلها بما يخالف ظاهرها وما دلت عليه تكذيب لها فهو من تحريف الكلم عن مواضعه من جنس تأويل القرامطة الباطنية الذي اتفق

سلف الامة وأئمتها على ذمه وصاحوا باهله من اقطار الارض ورموا في آثارهم بالشهب . وقد صنف الامام احمد كتاباً في الرد على هؤلاء وسماه الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله انتهى .

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في « اغاثة اللهفان » ومن حيله ومكائده الكلام الباطل والآراء المتهافتة والخيالات المتناقضة التي هي زبالة الاذهان ونحاتة الافكار والزبد الذي يقذف به القلوب المظلمة المتحيرة التي تعدل الحق بالباطل والخطأ بالصواب . قد تقاذفت بها امواج الشبهات. ورانت عليها غيوم الخيالات . فمركبها القيل والقال . والشك والتشكيك وكثرة الجدال ليس لها حاصل من اليقين يعول عليه . ولا معتقد مطابق للحق يرجع اليه . يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً. فقد اتخذوا لاجل ذلك القرآن مهجورا. وقالوا من عند انفسهم فقالوا منكراً من القول وزورا. فهم في شكهم يعمهون . وفي حيرتهم يترددون . نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا لا يعلمون . واتبعوا ما تلته الشياطين على ألسنة اسلافهم من اهل الضلال فهم اليه يحاكمون . وبه يخاصمون . فارقوا الدليل . واتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل .

ثم قال رحمه الله تعالى ومن كيده بهم وتحيله على اخراجهم من العلم والدين. أن القى على ألسنتهم ان كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد اليقين. واوحى اليهم ان القواطع العقلية والبراهين اليقينية في المناهج الفلسفية والطرق الكلامية فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن. واحالهم على منطق يونان . وعلى ما عندهم من الدعاوي الكاذبة العرية عن البرهان وقال لهم تلك علوم قديمة صقلتها العقول والاذهان . ومرت عليها القرون

والازمان . فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى اخرجهم من الايمان كاخراج الشعرة من العجين انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

واذا علم هذا فليعلم ايضاً ان الصواف قدسلك مسلك جميل الزهاوي وقلده فيما زعمه من تصغير الارض وتحقيرها وتسمية الادلة من الكتاب والسنة ظواهر ظنية وانها تؤول او تفوض . وجميل الزهاوي قد سار خلف فلاسفة الافرنج المتأخرين وخلف اهل الاهواء والبدع المضلين . فهو عيال على هؤلاء وأولئك كما ان الصواف عيال عليه وعليهم (يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) وقد قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) قال البغوي في قوله (فردوه الى الله والرسول) اي الى كتاب الله والى رسوله ما دام حياً وبعد وفاته الى سنته . والرد الى الكتاب والسنة واجب ان وجد فيهما فان لم يوجد فسبيله الاجتهاد .

وقال ابن كثير في قوله تعالى «فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول» قال مجاهد وغير واحد من السلف اي الى كتاب الله وسنة رسوله .

قلت قد رواه ابن جرير في تفسيره عن مجاهد وميمون بن مهران وقتادة والسدي

قال ابن كثير وهذا امر من الله عز وجل بان كل شيء تنازع الناس فيه من اصول الدين وفروعه ان يرد التنازع في ذلك الى الكتاب والسنة كما قال تعالى « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ». فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق . وماذا بعد الحق الا الضلال . ولهذا قال تعالى (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) اي ردوا الخصومات والجهالات الى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا اليهما فيما شجر بينكم (ان كنتم تؤمنون بالله

واليوم الآخر) فدل على ان من لم يتحاكم في محل النزاع الى الكتاب والسنةولا يرجع اليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الاخر انتهى .

قلت ومن اعرض عن ادلة الكتاب والسنة على جريان الشمس وسبحهافي الفلك ودؤبها في الجريان وزعم انها ظنية وليست قطعية الدلالة وانـه ينبغي التوقف فيها او تفويضها وان في تأويلها عن ظاهرها مندوحة فلا شك انه لم يرد الامر المتنازع فيه الى الله والرسول وانما رده الىفلاسفه الافرنج المتأخرين واتباعهم من المتخرصين المتبعين للظنون الكاذبة . ومن كان كذلك فهو ممن يشك في ايمانه بالله واليوم الاخر .

وايضاً فقد قال الله تعالى « قل اغـير الله ابتغى حكمـاً وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين . وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم. وان تطع اكثر من فيالارض يضلوك عن سبيل الله انيتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون . ان ربـك هو اعلم من يضـل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » .

قال قتادة في قوله تعالى (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا) قال صدقاً فيما قال وعدلا فيما حكم . وقال ابن كثير يقول صدقاً في الاخبار وعدلا في الطلب فكل ما اخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك وكل ما امر به فهو العدل الذي لا عدل سواه وكل ما نهى عنه فباطل فانه لا ينهى الا عن مفسدة . وقوله (لا مبدل لكلماته) اي ليس احد يعقب حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في الاخرةانتهى.

ومن اعرض عن ادلة الكتاب والسنة وتمسك بما سواهما من اقوال الناس وآرائهم فقد ابتغى حكماً غير الله ورسـوله ولم يؤمن بان كلمـة الله تعالى قد

تمت صدقاً وعدلا .

ومن هذا الباب الاعراض عما اخبر الله به من جريان الشمس وسبحها في الفلك ودؤبها في الجريان وانه يأتي بها من المشرق . وما اخبر به من طلوعها ودلوكها وغروبها . وما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من جريانها وطلوعها وزوالها وغروبها وغير ذلك مما جـــاء في الاحاديث الصحيحة . والعدول عن ذلك الى ما تخرصه فلاسفة الافرنج من ثبات الشمس وما تخيله الصواف بعقلهمن كونها تدور على نفسها كما تدور المروحةالسقفية الكهربائية على محورها . فهـذا التخرص والتخيل ناشيء عن ابتغاء حـكم غـــير الله تعالى وعن عدم الايمان بان كلمة الله قد تمت صـــدقاً وعدلا . ولو كان يرى وجوب التحاكم الى الله تعالى ويؤمن بان كلمة الله تعالى قد تمت صدقاً وعدلا لما زعم ان اقل ما يقال في النصوص الدالة على جريانالشمس وسبحها فيالفلك انها ظنية وليست قطعية الدلالة وان التوقف فيها او تفويض الامر فيها اسلم واحكم وان في تأويلها عـن ظاهرها مندوحة . وما عـلم المسكين ما يلزم على هذا القول الباطل من تكذيب الله تعالى وتكذيب كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد جاء في صحيح البخاري عـن عـلي رضي الله عنه انه قال « حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله » والذي يعرفه المسلمون من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى زماننا هذا عنالارض والشمس والقمر هو ما اخبر الله بهفي كتابهوما اخبربهرسول الله ﷺ من جريان الشمسوالقمر وسبحها في الفلك ودؤوبهما في الجريان وما اخبر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم واجمع عليهالمسلمون من استقرار الارض وارسائها بالجبال وجعلها اوتاداً لها . فمن حدث الناس بهـذا فقد حدثهم بما يعرفونه مـن ادلة الكتاب

والسنة والاجماع . ومن حدثهم بخلاف ذلك وقال في نصوص الكتاب والسنة انها ظنية وليست قطعية الدلالة وان التوقف فيها او تفويض الامر فيها اسلم واحكم وان في تأويلها عن ظاهرها مندوحة فقد حدث الناس بما لا يعرفونه واغراهم على تكذيب الله تعالى وتكذيب كتابه ورسوله صلى اللهعليهوسلم .

فصـــــل

وقال الصواف في صفحة ٢٨ ما نصه

ما رأي فضيلة الاخ في بلاد فنلندا مثلا والشمس لا تغيب عنها لمدة ستة اشهر ويمضي عليها نصف سنة وهي طالعة مشرقة ثم تغيب وتبقى غائبة لمدة ستة اشهر اخرى ويمضي العام على هذه البلاد وامثالها بيوم وليلة . ويومها نصف عام وليلتها النصف الثاني .

والجواب ان يقال هذا من اوضح الادلة على جريان الشمس وسيرها في البروج والمنازل . فاذا كانت في المنازل الشامية طلعت على ما تحت القطب الشمالي وغابت عما تحت القطب الجنوبي ولا تزال كذلك ما دامت في المنازل الشامية . فاذا رجعت الى المنازل اليمانية غابت عمـــا تحت القطب الشمالي وطلعت على مـا تحت القطب الجنوبي ولا تزال كذلك مـا دامت في المنازل اليمانية . ولو كانت الشمس ثابتة لا تفارق موضعها كما زعمه الصواف واشباهه من المقلدين لاهل الهيئة الجديدة لما كانت تدور على البروج والمنازل وتطلع على ما تحت القطب الشمالي في الصيف وعلى ما تحت القطب الجنوبي في الشتاء وتكون بينهما اذا كانت في خط الاستواء . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى (الشمس والقمـر بحسبان) قـال بحساب ومنازل رواه الحاكم في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وقد توهم الصواف ان له حجة فيما ذكره ههنا وانما هـو حجة عليه كما لا

يخفى على من له ادنى علم ومعرفة .

فصـــــل

وفي صفحة ٣٠ زعم الصواف ان الايات من كتاب الله تعالى توجه الافكار والانظار الى الفلك الاعظم الذي خلقه الله وامرنا بالتفكر فيه

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ان الله تعالى لم يأمر عباده بالتفكر في الفلك وان يوجهوا الافكار والانظار اليه وانما امرهم بالنظر والتفكر في خلق السموات والارض وما فيهما من الايات الدالة على عظمته وكمال قدرته وانه الاله الواحد الاحد الذي لا تنبغي العبادة الا له وحده دون من سواه قال الله تعالى « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لأولي الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » وقال تعالى « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون » وقال تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون. ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون » وقال تعالى « هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون. وماذرأ لكم في الارض مختلفاً

الوانه ان في ذلك لاية لقوم يذكرون . وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهاراً وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون . وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم »

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في الكلام على الآيات من سورة آل عمران ومعنى الآية ان الله تعالى يقول (ان في خلق السموات والارض) اي هذه في ارتفاعها واتساعها وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات وثوابت وبحار وجبال وقفار واشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الالوان والطعوم والروائح والخواص (واختلاف الليل والنهار) اي تعاقبهما وتقارضهما الطول والقصر فتارة يطول هذا ويقصر هذا ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيراً ويقصر الذي كان طويلا وكل ذلك تقدير العزيز العليم . ولهذا قال تعالى (لآيات لأولي الالباب) اي العقول التامة الزكية التي تدرك الاشياء بحقائقها على جلياتها وليسوا كالصم والبكم الذين لا يعقلون . الذين قال الله فيهم (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون . وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) ثم وصف تعالى اولي الالباب فقال (الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم)اي لا يقطعون ذكره في جميع احوالهم بسرائرهم وضمائرهم والسنتهم (ويتفكرون في خلق السموات والارض) اي يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وحكمته واختياره ورحمته انتهى .

الوجه الثاني ان الله تبارك وتعالى ذكر الفلك في موضعين من القرآن لا غير . فقال تعالى في سورة الانبياء (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقال تعالى في سورة يس (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) فذكر تبارك وتعالى من اياته الليل وسلخ النهار منه وجريان الشمس لمستقرها وتقدير القمر منازل وكلها من الايات الدالة على عظمته وكال قدرته . ولم يأمر تبارك وتعالى بالتفكر في الفلك لا في هذه الايات ولا في غيرها من القرآن . فمن زعم ان الله تعالى امر عباده بالتفكر في الفلك فقد افترى على الله الكذب . وكذلك من زعم ان الايات من كتاب الله توجه الافكار والانظار الى الفلك الاعظم فقد كذب على الله وعلى كتابه .

الوجه الثالث ان مراد الصواف بالامر بالتفكر في الفلك وتوجيه الافكار والانظار اليه هو ما صرح به في صفحة ٢٥ من ان المراد به التحقيق العلمي والوصول الى الاسرار الكامنة وراء هذه المخلوقات الكونية الهائله . وما صرح بهايضاً فيما نشره في جريدة الدعوة من ان المراد به النظر للبحث والعلم والتحقيق . يعني البحث عن الاجرام العلوية وعن مقادير احجامها ووزنها وابعادها ووصول نور كل منها الى الارض وما بينها من التفاوت في الحجم والوزن والبعد وعما فيها من جبال وبحار وسكان وغير ذلك مما توهمه اهل المراصد من فلاسفة الافرنج وحشاه الصواف في رسالته وزعم ان ذلك من العلم والتحقيق في علم الفلك وان الله تعالى امر عباده بالتفكر فيه وان الايات

من كتاب الله تعالى توجه الافكار والانظار اليه . وهذا من الكذب على الله وعلى كتابه كما تقدم تقريره وقد قال الله تعالى (وقد خاب من افترى) .

فصل

وقال في صفحة ٣٠ ان علم الفلك كان من اول العلوم التي لفتت انظار العلماء المسلمين وجلبت اهتمامهم وعنايتهم بها .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال لم يكن علم الفلك من اول العلوم التي لفتت انظار علماء المسلمين وجلبت اهتمامهم وعنايتهم كما زعمه الصواف . بل ولم يكن من آخرها. وانما العلوم التي لفتت انظار علماء المسلمين وجلبت اهتمامهم وعنايتهم هي العلوم الشرعية التي قد اشتمل عليها الكتاب والسنة . واعظمها وأهمها علم التوحيد فهو الذي كان المسلمون يهتمون به ويعتنون بتعلمه وتعليمه قبل العلوم كلها . وقد مكث النبي ﷺ في اول البعثة عشر سنين يدعو الى التوحيد ويعتني بتعليمه وتبليغه . ثم بعد ذلك كان يعلم امته انواع العلوم الشرعية شيئاً فشيئاً حتى اكمل الله له الدين . وبلغ البلاغ المبين . وترك امته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك

قال ابو ذر رضي الله عنه لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء الاذكر لنا منه علما رواه الامام احمد والطبراني وابن حبان في صحيحه . قال الهيثمي ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقري وهو ثقة .

وروى الطبراني ايضاً عن ابي الدرداء رضي الله عنه نحوه . قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح .

ومع شدة حرصه ﷺ على تعليم امته كل شيء فلم يذكر عنه انه كان يعلمهم البروج الاثني عشر ومنازل الشمس والقمر ودرجات الفلك وعرض البلدان وطولها والسمت والنظير وفصول السنة واوقات الكسوف والخسوف وغير ذلك مما يعتني به الفلكيون فضلا عما يهذو به فلاسفة الافرنج ومقلدوهم من ضعفاء البصيرة من المسلمين فيما يتعلق بالارض والشمس والقمر والنجوم .

بل قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه ذم الكلام في النجوم . فروى الامام احمد وابو داود وابن ماجه باسانيد صحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد »

قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى فقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بان علم النجوم من السحر وقال تعالى « ولا يفلح الساحر حيث أتى » .

وروى رزين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتبس باباً من علم النجوم لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر »

قوله لغير ما ذكر الله اي من الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر كما قال تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) الاية وقال تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) .

ومن الاهتداء بها الاستدلال بها على جهة القبلة وعلى الجهات التي يقصدها المسافرون في البر والبحر .

فاما التخرص في معرفة موادها ومقادير اجرامها وابعادها وغير ذلك من الدعاوي الطويلة العريضة التي قد شغف بالخوض فيها اهل الهيئة الجديدة

ومقلدوهم من العصريين فذلك داخـــل في قوله ﷺ « من اقتبس علماً من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر » بلا ريب والله اعلم .

وروي عنه ﷺ انه نهى عن النظر في النجـوم وعن مجالسة من ينظر فيها وانه خـاف على امته من التصديق بهـا وامرهم بالامساك اذا ذكرت . فروى الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ « نهى عن النظر في النجوم » .

وروى عبد الله بن الامام احمد في زوائد المسند عـن علي رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ « لا تجالسوا اصحاب النجوم » قال الهيثمي فيه هارون ابن مسلم صاحب الحناء لينه ابو حاتم ووثقه الحاكم وبقية رجاله ثقات .

وروى ابو يعلى والطبراني في الكبير والاوسط عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال خرجت مع رسول الله ﷺ من المدينة فالتفت اليها فقال « ان الله قد طهر هذه القرية من الشرك ان لم تضلهم النجوم » قال الهيثمي فيه قيس بن الربيع وثقه شعبه والثوري وضعفه الناس وبقية رجاله ثقات .

قلت وقد ذكر الذهبي فى الميزان عن ابن عدي انه قال في قيس بن الربيع عامة رواياته مستقيمة والقول ما قـــال شعبه وانه لا بأس به وقال عفان كان ثقة .

قلت وعلى هذا فحديثه حسن .

وقد اورده الهيثمي ايضاً في اخر كتاب المناقب من مجمع الزوائد فقال . وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قال رسـول الله ﷺ « لقد برأ الله هذه الجزيرة من الشرك ما لم تضلهم النجوم » رواه البزار وابو يعلى بنحوه والطبراني في الاوسط ورجال ابي يعلى ثقات .

وروى ابو يعلى وابن عدي والخطيب في كتاب النجوم عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخاف على امتي من بعدي خصلتين تكذيباً بالقدر وتصديقاً بالنجوم » .

قال المناوي في شرح الجامع الصغير وهو حسن لغيره .

وروى الطبراني عن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان اخوف ما اخاف على امتي في اخر زمانها النجوم وتكذيب بالقدر وحيف السلطان » قال الهيثمي فيه ليث بن ابي سليم وهو لين وبقية رجاله وثقوا .

وروى الامام احمد وابو يعلى والبزار والطبراني عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ثلاث اخاف على امتي الاستسقاء بالانواء وحيف السلطان وتكذيب بالقدر وتصديق بالنجوم »

وروى عبد بن حميد عن رجاء بن حيوة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « انما اخاف على امتي التصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر وحيف الائمة » .

وروى ابن عساكر عن ابي محجن الثقفي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اخاف على امتي ثلاثاً حيف الائمة وايماناً بالنجوم وتكذيباً بالقدر »

وروى الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا ذكر اصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا » . قال الهيثمي فيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح .

وروى الطبراني ايضاً عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله . قال الهيثمي وفيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف .

قلت قد ذكر الذهبي في الميزان عن ابن عدي انه قال ارجو انه لا بأس به.

وروى حميد بن زنجويه عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً « تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا » .

وروى حميد بن زنجويه ايضاً عن نعيم ابن ابي هند قال قال عمر رضي الله عنه « تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم امسكوا وتعلموا من النسب ما تصلون به ارحامكم وتعلمون ما يحل لكم من النساء ويحرم عليكم ثم انتهوا » .

وروى حميد بن زنجويه ايضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال « رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف ابي جاد ليس له عند الله خلاق » .

وهذه الاحاديث يشد بعضها بعضاً وفيها دليل على ان علم النجوم علم محظور وشعبة من شعب السحر ما عدا الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر.

ويستفاد منها ايضاً انه لا يجوز التصديق بما يزعمه المنجمون واهل الهيئة الجديدة من علم النجوم لان مزاعمهم فيها مبنية على الرجم بالغيب ولا يجوز التصديق بذلك .

الوجه الثانى ان يقال لو كان علم الفلك من اول العلوم التي لفتت انظار علماء المسلمين وجلبت اهتمامهم وعنايتهم لما كان الصحابة والتابعون وتابعوهم باحسان وائمة العلم والهدى من بعدهم يهملونه . ولكنه علم لا يخلو في الغالب من تعاطي علم الغيب وما كان كذلك فهو علم مرد مهلك . وما سلم منه من تعاطي علم الغيب فهو علم كثير العناء قليل الجدوى .

الوجه الثالث ان علم الفلك نوعان احدهما معرفة البروج الاثني عشر ودرجات الفلك ومنازل الشمس والقمر وعـرض البلدان وطولها ومعرفة السمت والنظير وفصول السنةوما تقطعه الشمس فيالیوم والليلة مندرجات الفلك وما يقطعه القمر منها ومعرفة السنةالشمسية والسنة القمرية ومابينهما من التفاوت ومعـرفة اوقات الكسوف والخسوف . وهـذا النوع هو الذي كان يشتغل به علماء الفلك قبل ظهور اهـل الهيئة الجديدة وهـو علم كثير العناء قليل الجدوى يصد المشتغل به عما هو اهم منـه من العلوم الدينية . ولم يكن الصحابة ولا التابعون وتابعوهم باحسان وائمـة العلم والهدى من بعدهم يتعلمون من هذا النـوع الا ما تدعو الحاجة اليه لمعـرفة القبلة والاهتداء في ظلمات البر والبحر واما ما سوى ذلك من علم الفلك فلم يكونوا يشتغلون به فضلا عن الاهتمام والعناية به . وعلى هذا فقول الصواف ان علم الفلك كان مـن اول العلوم التي لفتت انظار علماء المسلمين وجلبت اهتمامهم وعنايتهم قول لا اساس له من الصحة .

النوع الثاني تخرص اهل الهيئة الجديدة في الارض والاجرام العلوية وما تحويه . وهـذا النوع مبني على تعاطي عـلم الغيب الذي استأثر الله بعلمه . وتعاطي علم المغيبات حرام شديد التحريم فضلا عن ان يكون من اول العلوم التي لفتت انظار علماء المسلمين وجلبت اهتمامهم وعنايتهم كما زعمه الصواف . ومدار رسالة الصواف على هذا العلم المحـــرم كما لا يخفى على من نور الله قلبه بنور العلم والايمان .

فصـــل

قال الصواف في صفحة ٣٠ (علم الفلك)

ثم عرفه بانه علم يبحث عن الاجـرام السماوية وما تحويه وما تنتظمه من نجوم وكواكب وما يحدث في الكون من رياح وبرق ورعد .

قلت وهذا التعريف يشمل شيئين احدهما التخرص عن الاجرام السماوية وما تحويه وهذا هو الذي عليه اهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج . والثاني دعوى معرفة ما يحدث في الكون من رياح وبرق ورعد وغير ذلك مما يكون من الحوادث في المستقبل . وهذا هو الذي كان عليه المنجمون في قديم الدهر وحديثه . وكلا الامرين من تعاطي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه ومن القسم الثاني ما ذكره محمد فريد وجدي في كتابه « دائرة المعارف » حيث قال كان لعلم الفلك في القرون الوسطى بأوروبا شأن كبير ولكن في اخذ الطوالع ومعرفة طبائع الاوقات من نحوس وسعود .

قلت وهذا وما ذكره الصواف في آخر كلامه الذي تقدم ذكره آنفاً هو التنجيم المحرم بالاجماع .

قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى التنجيم هو الاستدلال بالاحوال الفلكية وحركات النجوم على الحوادث .

وقال الخطابي رحمه الله تعالى علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه اهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التى لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كاخبارهم باوقات هبوب الريح ومجيء المطر وظهور الحر والبرد وتغير الاسعار وما كان في معانيها من الامور التي يزعمون انهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها ويدعون لها تأثيرا في السفليات وانها تتصرف على احكامها وتجري على قضايا موجباتها وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه به لا يعلم الغيب احد سواه .

قلت ومن هذا الباب ما يذاع في كثير من الاذاعات من الاخبار عما سيكون في المستقبل من الغيوم والامطار والرياح او عدم ذلك. ويسمون

هذه الاخبار النشرات الجوية . وهي من تعاطي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه قال الله تعالى (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير) وقال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) الآية .

وروى الامام احمد والبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وماتدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير) .

وكثيراً ما يتفق المنجمون على حدوث امر في المستقبل فيفضحهم الله تعالى ويبطل قولهم ويجعل الامر بعكس ما زعموه ليعلم الجاهلون بحالهم انهم كذبة متخرصون (ان يتبعون الا الظن) .

وقد ذكر المؤرخون من ذلك اخباراً كثيرة منها ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة عن العماد الكاتب انه قال اجمع المنجمون على خراب العالم في شعبان لان الكواكب الستة تجتمع فيه في الميزان فيكون طوفان الريح في سائر البلدان . وذكر ان ناسا من الجهلة تاهبوا لذلك بحفر مغارات في الجبال ومدخلات واسراب في الارض خوفاً من ذلك . قال فلما كانت تلك الليلة التي اشاروا اليها واجمعوا عليها لم ير ليلة مثلها في سكونها وركودها وهدوئها . وقد ذكر ذلك غير واحد من الناس في سائر اقطار الارض . وقد نظم الشعراء في تكذيب المنجمين في هذه الواقعة وغيرها اشعاراً كثيرة حسنة منها :

مزق التقويم والزيج فقدبان الخطأ
انما التقويم والزيج هباء وهوا

قلت للسبعة ابــرام ومنــع وعطـا
ومتى ينزلن في المــيزان يستولي الهوا
ويثور الرمل حــتى يمتلي منـه الصفا
ويعم الارض رجــف وخـراب وبلى
ويصير القاع كالقــف وكالطـود العـرا
وحكمــتم فابى الحــاكم الا ما يشا
ما اتى الشرع ولا جاءت بهذا الانبيا
فبقيتم ضحــكة يضحك منها العلما
حسبكم خزيا وعا رأ ما يقول الشعرا
ما اطمعــكم في الحــكم الا الامــرا
فعلى اصطر لاب بطليموس والزيـج العفا
وعليه الخزي ما جادت على الارض السما

وقد ذكر السيوطي هذا الخبر في تاريخه فقال . وفي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة اجتمعت الـكواكب الستة في الميزان فحكم المنجمون بخراب العالم في جميـع البلاد بطوفان الريـح فشرع الناس في حفر مغارات في التخوم وتوثيقها وسد منافذها عن الريـح ونقلوا اليها الماء والزاد وانتقلو اليهـا وانتظروا الليلة التي وعدوا فيهـا بريـح كريـح عاد وهي الليلة التاسعة من جمـادى الآخرة فلم يأت فيها شيء ولا هب فيها نسيم بحيث اوقدت الشموع فلم تتحرك فيها ريـح تطفيها وعملـت الشعراء في ذلك فمما قيل فيه قـول ابي الغنائم محمد بن المعلم .

قل لابي الفضل قول معترف مضى جمادى وجاءنا رجب
وما جرت زعزعاً كما زعموا ولا بــدا كوكب له ذنب

وما ذكره السيوطي في تعيين الشهر الذي اتفق المنجمون على هبوب

الريح العاتية فيه انه جمادى الآخرة يخالف ما ذكره ابن كثير عن العماد الكاتب ان ذلك في شعبان . ولعل الصواب ما ذكره السيوطي ويشهد لذلك قول ابي الغنائم والله اعلم .

وقد ذكر هذا الخبر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في مفتاح دار السعادة وذكر معه تسعة اخبار مما اتفق المنجمون على وقوعه ففضحهم الله تعالى وابطل قولهم وجعل الامر بعكس ما زعموه .وذكر ابياتاً حسانا لابي تمام وغيره من الشعراء في تكذيب المنجمين والرد عليهم فمن اراد الوقوف على ذلك فليراجعه في مفتاح دار السعادة.

وقد حدثني بعض قضاة المدينة النبوية ان المنجمين في الهند في زماننا اجمعوا على انه في يوم كذا من شهر كذا في سنة كذا يكون في المدينة ريح عاصف وظلمة وصواعق شديدة ومطر عظيم وبرد كثير فصدقهم الجهال فيما زعموه من هذا الباطل وارتقبوا وقوع ذلك فلما جاء اليوم الذي وعدوا به كان الامر فيه بعكس ما زعمه اعداء الله تعالى فكانت الريح ساكنة لا تحرك شيئاً وكان الجو صافياً جداً ولم يكن في ذلك اليوم غيم ولا شيء مما زعموا وقوعه.

قلت ولما كان في يوم الاربعاء الموافق لليوم الرابع من شهر ذي القعده سنة ١٣٨٨ هـ اصاب مكة وجدة وما بينهما وما بين مكة وجبل كرا مطر عظيم وسيول جارفة . وقد ارتفع السيل في الحرم ارتفاعاً كثيراً وبلغ في باب الكعبة نحو ذراعين وحمل سيارات كثيرة في شارع الابطح وصدم بعضها ببعض ودخل بيوتاً ودكاكين كثيرة في مكة وجدة وافسد أموالا كثيرة . وقد اذاع المنجمون في بعض بلاد الكفر انه سيصيب مكة في يوم الاربعاء من الاسبوع الثاني وهو الموافق لليوم الحادي عشر من الشهر

والسنة المذكورين آنفاً مطــــر عظيم وسيل جارف يشبه ما اصابها في رابع الشهر . واذاع المنجمون في بعض بــــلاد الافرنج انه سيكـــــون في بلاد الحجاز مطر عظيم يستمر اربعــــا وعشرين ساعة . وقد صدقهم الجهال في هذا الزعم الكاذب وارتقبوا مـــا وعدوهم به مـن الطوفان . وزادهم فتنة وتصديقاً باقوال المنجمين ان الغيوم لم تزل متراكمة فوق مكة في تلك الايام ولكن بدون مطر . ولما كان في اليوم الثامن من ذي القعدة وهو يوم الاحد اغلق الجهـــال بعض ابواب المسعى التي من جهـــة المشـرق ووضعوا عليها من جهة المسعى خشبا غلاظاً لتمنعهـــا ان تنفتـــح اذا جاءها السيل الذي وعد به المنجمون . ولما كان في اليوم العاشر وهو يوم الثلاثاء اغلقوا جميـــع ابواب المسعى وردموها بالخشب سوى مصراع واحد من جهة الصفا تركوه للناس يدخلون منه ويخرجون . وقد كنت ارى صنيعهم في الابواب واتعجب منه ولا ادري ما مرادهم من ذلك لاني لم اسمــع باكاذيب المنجمين عليهم . ولما كان بعـــد صلاة المغرب من ليلة الاربعــاء جلست مع بعض العلماء في الحرم فذكرت له ما رأيت من صنيعهم في ابواب المسعى فاخبرني بمازعمه المنجمون من وقوع السيل العظيم المماثل لما وقع منذ اسبوع فقلت كذب المنجمون وسيظهر كذبهم ويفتضحون ان شاء الله تعالى واني لارجو ان تكون السماء في الغد صحواً ليس فيها قزعة وبينما نحن جلوس اذ وقع علينا مطر خفيف فانفض الجهال وتسابقوا الى الابواب يخرجون من الحرم فعجبنا من صنيعهم ومـن تلاعب الشيطان بهم . وقد نمنـا تلك الليلة والغيوم متراكمة ، ولما خرجت لصــــلاة الصبح من يوم الاربعاء الذي وعد المنجمون بوقوع الطوفان فيه اذا السماء صحو ليس فيها قزعة . وقد اقمت بعد ذلك عدة ايام في مكةشرفها اللهتعالى والسماء لا تزال في تلك الايام صحواً ليس فيهاقزعة .فالحمد للهعلى ابطال قول المنجمين واظهار كذبهم لعباده.ولقد

احسن الشاعر حيث يقول :

دع المنجـم يكبو في ضـلالته ان ادعى علم ما يجري به الفلك
تفرد الله بالعلم القديم فــلا الانسان يشركه فيه ولا الملك

ومـن اكاذيب المنجمين زعمهـم ان لكل واحد مـن اهل الارض نجما في السماء . وقد روى ابو نعيم في الحلية عن محمد بن كعب القرظي انه قال كذبوا والله ما لاحدمن اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتبعون الكهنة ويتخذون النجوم علة ثم قرأ (هل انبئكم على من تنزل الشياطين.تنزل على كل افاك اثيم) .

وقال البخاري في صحيحه قال قتادة خلق الله هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول بغير ذلك اخطأ واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري وصـــله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه وزاد في آخره . وان ناساً جهلة بامر الله قد احدثوا في هذه النجوم كهانة من اعرس بنجم كذا كان كذا ومن سافر بنجم كذا كان كذا ولعمري ما من النجوم نجم الا ويولد به الطويل والقصير والاحمر والابيض والحسن والدميم وماعلم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب انتهى .

ورواه ابن ابي حاتم بنحوه وزاد في آخره . وقضى الله انه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون .

ورواه الخطيب في كتاب النجوم عن قتادة ولفظه قال انما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصـال جعلها زينة للسماء وجعها يهتـدى بها وجعلها رجوماً للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه واخطأ حظه واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم به . ثم ذكر بقيته بنحو ما في رواية عبد بن حميد وزاد في

آخره ولو ان احداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقـــه الله بيده واسجد له ملائكته وعلمه اسماء كل شيء .

وقد اورده الحافظ ابن كثير في تفسيره من رواية ابن ابي حاتم ثم قال هو كلام جليل متين صحيح انتهى .

وقال الداودي قول قتادة في النجوم حسن الا قوله أخطأ واضاع نصيبه فانه قصر في ذلك بل قائل ذلك كافر .

وقال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمـه الله تعالى صناعة التنجيم والاستدلال بها على الحوادث محرم باجمـــاع المسلمين واخذ الاجرة على ذلك سحت ويمنعون من الجلوس في الحوانيت والطرقات ويمنع الناس ان يكرموهم والقيام في منعهم عن ذلك من افضل الجهاد في سبيل الله تعالى انتهى .

هذا ما يتعلق بالمنجمين وعلمهم في الفلك والنجوم .

واما اهل الهيئة الجديدة واتباعهم فقد سلكوا في عـــلم الفلك والنجوم مسلكاً آخر وذلك بما يزعمونه من معرفة مـــواد الاجرام العلوية ومقادير احجامها وابعادها وتحديد المدة التي يصل فيها نور كل منها الى الارض . وما يزعمونه ايضاً من تعدد الشموس والاقمار . ومـــا يزعمونه ايضاً من وجود الجبال والوهاد والاودية في الشمس والقمر وســـائر السيارات . وان فيها مخلوقات نحو سكنة الارض . وان فيها بحاراً وانهاراً . وانهم قاسوا اكثر من الف جبل في القمر فوجدوا ان علو بعضها ينيف على عشرين الف قدم .وانهم يعرفون ما يحدث في القمر من البراكين والانفجارات . وكذلك ما يحدث في الشمس من الانفجـارات وما تفقده من وزنها في الثانيـة الواحدة من ملايين الاطنان بسبب احتراقها . الى غير ذلـك من التخرصات والتحكم على الغيب والتعاطي لما استأثر الله بعلمه قال الله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه

احداً . الا من ارتضى من رسول) الآية . وقـــال تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون) .

وهذا الذي ذكرناه عـن اهل الهيئة الجديدة من تعاطي عـلم الغيب ان لم يكن شراً من التنجيم فليس بدونه . ومعهذا فكثير من العصريين قدافتتنوا بما يقوله اهل الهيئة الجديدة من المزاعم الباطلةوالتخرصات والظنون الكاذبة ورأوا ان ذلك من تقدم العلم في اكتشاف الامـــور الكونية . وكلما تخرص متخرص من الافرنج في الاجرام العلوية بشيء وزعم انه اكتشفه تلقوا قوله بالقبول والتسليم وتمسكوا بهاعظم مايتمسكون بنصوص الكتاب والسنةواشتد انكارهم على من رد ذلك من المسلمين . واذا رأوا ما يخالف اقـوال اعداء الله تعالى من ادلة الكتاب والسنة أولوه على ما يوافق اقوالهم كانهم معصومون من الخطأ والزلل او كأنهم قد اوحي اليهم بمـا يزعمونه من تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة .

وقد قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم ومـا يفترون . ولتصغى اليه افئـدة الذين لا يؤمنون بالآخـــرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) الآيات الى قـــوله تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون . ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) .

وقد روى البخاري في التاريخ والطـبراني وابن عبد البر وغـيرهم عن عصمة بن قيس صاحب رسـول الله ﷺ انه كان يتعـوذ في صلاته من فتنة المغرب .

وذكر ابن عبد البر ايضاً عنه انه كان يتعوذ بالله من فتنة المشرق فقيل له فكيف فتنة المغرب قال تلك اعظم واعظم .

وهذا الاثر له حكم المرفوع لانه اخبار عن امر غيبي فلا يقال من قبل الرأي وانما يقال عن توقيف .

والواقع يشهد لهذا الاثر بالصحة فان الفتن اول ما ظهرت في هذه الامة ظهرت من قبل المشرق . ومن اعظمها شرا فتنة الجهمية والرافضة . واما في زماننا فظهور الفتن من قبل المغرب اكثر وذلك بسبب استيلاء بعض الدول الافرنجية على اكثر الممالك الاسلامية . وبثهم فيها ثقافتهم المشئومة وتعاليمهم المسمومة . فكان لهذه الثقافة والتعاليم اسوأ الاثر في تلك البلاد بحيث فسدت عقائد الاكثرين منهم وظهرت فيهم الزندقة والالحاد والاستهزاء بالعلوم الدينية واهلها وتعظيم ما يلقيه اعداء الله اليهم من ظنونهم وتخرصاتهم التي هي من وحي الشيطان وتضليله .

ومن تأمل ما دخل على المسلمين من الشر بسبب الفتن المشرقية وما دخل عليهم من الشر بسبب الفتن المغربية تبين له ان فتنة المغرب اعظم شرا من فتنة المشرق واشد نكاية في هدم الاسلام وطمس اعلامه واطفاء نوره فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فان قيل ان اهل الهيئة الجديدة قد توصلوا الى معرفة الاجرام السماوية وما تحويه بواسطة ارصادهم ونظاراتهم فيكون ذلك من قبيل المشاهدة لا من قبيل الظن والتخرص وتعاطى علم الغيب .

فالجواب ان يقال ان ارصاد اعداء الله ونظاراتهم اضعف واعجز من ان يتوصل بها الى اكتشاف ما في السماء الدنيا وهي مسيرة خمسمائة سنة فضلا

عن التوصل بها الى اكتشاف ما يهذون بهمن المسافات التي تبلغ ملايين الملايين من السنين .

وقد ثبت بنصوص القرآن ان الشمس والقمر والكواكب في السماء قال الله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) قال مجاهد وسعيد بن جبير وابو صالح والحسن وقتادة البروج هي الكواكب العظام . وقال البغوي هي النجوم الكبار قال وسميت بروجاً لظهورها . وقال تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين) وقال تعالى مخبراً عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال لقومه (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) وقال تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد) وقال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) . ففي هذه الآيات النص على ان الشمس والقمر في السماء . والنص على ان الله تعالى جعل الكواكب زينة للسماء الدنيا ورجوماً للشياطين .

وقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال « بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة » رواه عن النبي ﷺ اربعة من الصحابةوهم عبد الله بن عمرو وابوهريرة والعباس وابو سعيد رضي الله عنهم . وروي ايضا عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفا وله حكم الرفع كنظائره .

وقد ذكرت هذه الاحاديث في الصواعق الشديدة مع الادلة على سكون

الارض وثباتها فلتراجع هناك .

واذا كان بين السماء والارض هذا البعد الشاسع فالتوصل بالارصاد والنظارات الى اكتشاف ما في السماء غير ممكن .

ولو فرض ان الارض ليست بكروية وان وجهها مستو ليس فيه مرتفع ولا منخفض فهل يقول عاقل ان اهل الارصاد في اوروبا يمكنهم ان يكتشفوا ما في الصين بارصادهم ونظاراتهم ويروا ما فيه من الجبال والوهاد والبحار والانهار والاودية والمدن والقرى ويقيسوا ما فيه من الجبال ويعرفوا قدر ارتفاعها

لا اظن ان عاقلا يقول بامكان ذلك . بل انه يبعد اكتشافهم لمسافة خمسة ايام في الارض فكيف بمسافة خمسمائة سنة في السماء فضلا عما يزعمونه من اكتشاف ما يبعد عنهم بمسافة ملايين الملايين من السنين

وليس العجب من هؤلاء الدجالين الذين يخرقون على الناس ويوهمونهم بما يشبه اضغاث الاحلام من تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة . وانما العجب من اناس مسلمين ينتسبون الى العلم والمعرفة وهم مع هذا يصدقون اعداء الله في كل ما قالوه في الارض والسموات والشمس والقمر والنجوم ولو كان مخالفاً لما في القرآن والاحاديث الصحيحة واجماع المسلمين ويرون ان ذلك من تقدم العلم في اكتشاف الامور الكونية

وقد تقدم حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال « من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » وفي رواية رزين «من اقتبس باباً من علم النجوم لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر»

وتقدمت ايضاً الاحاديث في الخوف على هذه الامة من التصديق بالنجوم. وفي بعض الروايات « ان اخوف ما اخاف على امتي في آخر زمانها النجوم وتكذيب بالقدر وحيف السلطان »

وتقدم ايضاً ما رواه ابن مسعود وثوبان رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « واذا ذكر النجوم فامسكو » اي عن التصديق بها كما تفيده الاحاديث المذكورة قبل هذا الحديث والله اعلم .

فصل

وذكر الصواف في صفحة ٣١ ابا جعفر المنصور ثم قال وهو الخليفة الثاني

والجواب ان يقال هذا الاطلاق خطأ لان الخليفة الثاني على الاطلاق انما هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فأما المنصور العباسي فلا يقال فيه انه الخليفة الثاني على وجه الاطلاق بل لا بد من التقييد بان يقال ثاني خلفاء بني العباس او الخليفة الثاني من بني العباس .

فصل

وفي صفحة ٣١ أيضاً ذكر الصواف عن بعض الفلكيين ان مدار الشمس بيضوي الشكل ـ يعني انه غير مستدير .

والجواب ان يقال هذا قول باطل مردود لمخالفته لمدلول الكتاب والسنة والاجماع والمعقول الصحيح قال الله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقال تعالى (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) والفلك في اللغة هو الشيء المستدير

قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيميه رحمه الله تعالى الافلاك مستديرة بالكتاب والسنة والاجماع فان لفظ الفلك يدل على الاستدارة ومنه قوله تعالى (كل في فلك يسبحون) قال ابن عباس رضي الله عنهما في فلكة كفلكة المغزل . ومنه قولهم تفلك ثدي الجارية اذا استدار . واهل الهيئة والحساب متفقون على ذلك .

وقال الشيخ ايضاً قد ثبت بالكتاب والسنة واجماع علماء الامة ان الافلاك مستديرة. ثم ذكر الادلة على ذلك ومنها قوله تعالى (وكل في فلك يسبحون) ثم ذكر كلام ابن عباس رضي الله عنهما الذي تقدم ذكره قال وهذا صريح بالاستدارة والدوران . واصل ذلك ان الفلك في اللغة هو الشيء المستدير يقال تفلك ثدي الجاريه اذا استدار ويقال لفلكة المغزل المستديرة فلكة لاستدارتها .فقد اتفق اهل التفسير واللغة على ان الفلك هو المستدير . والمعرفة لمعاني كتاب الله انما تؤخذ من هذين الطريقين من اهل التفسير الموثوق بهم من السلف ومن اللغة التي نزل القرآن بها وهي لغة العرب . قال والحس مع العقل يدل على ذلك فانه مع تأمل دوران الكواكب القريبة من القطب في مدار ضيق حول القطب الشمالي ثم دوران الكواكب المتوسطة في السماء في مدار واسع وكيف يكون في اول الليل وفي آخره يعلم ذلك . وكذلك من رأى حال الشمس وقت طلوعها واستوائها وغروبها في الاوقات الثلاثه على بعد واحد وشكل واحد ممن يكون على ظهر الارض علم انها تجري في فلك مستدير انتهى

وقد جزم الصواف في صفحة ٤٩ ان الافلاك مستديرة فنقض ما قرره في في صفحة ٣١

فصل

وفي صفحة ٣١ ايضاً ذكر الصواف عن الفلكيين من أهل بغداد ممن كان في زمان الرشيد والمامون انهم شكوا في ثبات الارض بل قال بعضهم بحركتها

والجواب عن هذا من وجهين احدهما ان ما ذكره في هذا الموضع قد قرر خلافه في صفحة ٤٣ حيث قال كان اول من قال بحركة الارض حول محورها كوبرنيكس في عام ١٥٤٣

وقد كفانا الصواف مؤنة الرد عليه حيث رد هو على نفسه

وما ذكره في صفحة ٤٣ قد ذكر مثله محمد فريد وجدي في دائرة المعارف فقال في الكلام على علم الفلك بعد ان ذكر المشتغلين به في زمان بني العباس وما بعده ما نصه

في كل هذه القرون كان مذهب بطليموس هو المعول عليه وهو المذهب الذي يعتبر الارض مركز الكون . فلما نشأ كوبرنيك البروسي في منتصف القرن السادس عشر – اي الميلادي – احيا مذهب فيثاغورس الذي يفرض ان الشمس مركز المجموعة الشمسية وان الارض وبقية السيارات تدور حولها

وذكر محمد فريد ايضاً في الكلام على الارض ان فيثاغورس قال بدوران الارض حول الشمس فقبل الناس نظريته زمانا طويلا حتى نبغ الفلكي الاسكندر بطليموس الذي كان عائشاً قبل الميلاد بنحو قرن ونصف فقرر ان الارض وان كانت كروية الا انها ساكنة غير متحركة وان الشمس هي التي تدور حولها فراجت نظريته هذه في العقول وبقيت شائعة سائدة حتى ظهر الفلكي البولوني الشهير كوبرنيك في القرن السادس عشر الميلادي فقرر رأي فيثاغورس وايده بالادلة الرياضية وتلقاها علماء الهيئة في كل مكان ولا تزال هي السائدة الى اليوم انتهى

قلت انما كانت سائدة عند فلاسفة الافرنج ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من العصريين . فأما عند المتمسكين بالكتاب والسنة فهي باطلة مردودة لمخالفتها للادلة الكثيرة من الكتاب والسنة والاجماع والمعقول الصحيح . وقد ذكرت الادلة على بطلانها في اول الصواعق الشديدة فلتراجع هناك

الوجه الثاني لو فرضنا صحة ما زعمه الصواف من وجود من يشك في ثبات الارض او يقول بحركتها من الفلكيين الذين كانوا في زمان بني العباس فقولهم مردود عليهم لمخالفته للادلة الكثيرة من الكتاب والسنة واجماع المسلمين على سكون الارض وثباتها . وقد ذكرتها في اول الصواعق الشديدة فلتراجع هناك

فصـــل

وفي صفحة ٣٢ ذكر الحاكم العبيدي وسماه الخليفة الفاطمي

والجواب ان يقال ليس الحاكم واهل بيته بخلفاء ولا فاطميين وانمـــاهم ملوك جبابرة فجرة وادعياء كذبة . وقد اوضح المحققون من العلماء امـرهم وكشفوا اسرارهم وهتكوا استارهم .وانا اذكر ههنا طرفا من كلام العلماء فيهم ليعلم من يسميهم خلفاء وينسبهم الى فاطمة بنت رسول الله ﷺ انه تائـه في بيداء الجهالة والضلالة ومخالف لاهل الامانة والعدالة.قال الذهبي رحمه الله تعالى كان العبيديون على الاسلام شراً من التتر . قال وكانوا اربعة عشر متخلفاً لا مستخلفاً انتهى .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية في اخبار سنه اثنتين وعشرين وثلثمائة . وفيها كان موت المهدي صاحب افريقية وهو ابو محمد عبيدالله المدعي انه علوي وتلقب بالمهدي وبنى المهدية ومات بها . قال ابن خلكان وقد اختلف في نسب المهدي هذا اختلافاً كثيراً جداً فقال صاحب تاريخ القـــيروان . هو عبيدالله بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمـد بن عـلي بن الحسين بن علي بن ابي طالب.وقال غيره هو عبيدالله بن الحسين بن احمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . وقيل غير ذلـك في نسبه . قال ابن خلكان والمحققون ينكرون دعواه في النسب .

قال ابن كثير وقد كتب غير واحد من الائمة منهم الشيخ ابو حامد الاسفراييني والقاضي الباقلاني والقدوري ان هؤلاء ادعياء ليس لهم نسب صحيح فيما يزعمونه وان والد عبيدالله المهدي هذا كان يهودياً صباغاً بسلمية وقيل كان اسمه سعد وانما لقب بعبيدالله زوج امه بن الحسين بن احمد بن محمد بن عبدالله بن ميمون القداح . وسمي القداح لانه كان كحالا يقدح العيون . وكان الذي وطأ له الامر بتلك البلاد ابو عبدالله الشيعي ثم استدعاه فلما قدم عليه من بلاد المشرق وقع في يد صاحب سلجماسة فسجنه فلم يزل الشيعي يحتال له حتى استنقذه من يده وسلم اليه الامر ثم ندم الشيعي على تسليمه الامر واراد قتله ففطن عبيدالله لما اراد به فارسل الى الشيعي من قتله وقتل اخاه معه . ويقال ان الشيعي لما دخل السجن الذي قد حبس فيه عبيد الله هذا وجد صاحب سلجماسة قد قتله ووجد في السجن رجلا مجهولا محبوسا فاخرجه الى الناس لانه كان قد اخبر الناس ان المهدي كان محبوساً في سلجماسة وانه انما يقاتل عليه فقال للناس هذا هو المهدي وكان قد اوصاه ان لا يتكلم الا بما يأمره به والا قتله فراج امره . فهذه قصته وهؤلاء سلالته والله اعلم .

وقال ابن كثير ايضاً في اخبار سنة اثنتين واربعمائه

(ذكر الطعن من أئمة بغداد وغيرهم من البلاد في نسب الفاطميين وانهم ادعياء كذبة) .

وفي ربيع الاخر منها كتب ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين وهم ملوك مصر وليسوا كذلك وانما نسبهم الى عبيد بن سعد الجرمي . وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والاشراف والعدول والصالحين والفقهاء والمحدثين وشهدوا جميعاً ان الحاكم بمصر هو منصور

ابن نزار الملقب بالحاكم ـ حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار ـ ابن معد بن اسماعيل ابن عبدالله بن سعيد ـ لا اسعده الله ـ فانه لما صار الى بلاد المغرب تسمى بعبيدالله وتلقب بالمهدي . وان من تقدم من سلفه ادعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي ابن ابي طالب ولا يتعلقون بسبب وانه منزه عن باطلهم وان الذي ادعوه اليه باطل وزور وانهم لا يعلمون احداً من اهل بيوتات علي بن ابي طالب توقف عن اطلاق القول في انهم خوارج كذبة . وقد كان هذا الانكار لباطلهم شائعاً في الحرمين وفي اول امرهم بالمغرب منتشراً انتشاراً يمنع ان يدلس امرهم على احد او يذهب وهم الى تصديقهم فيما ادعوه . وان هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار ملحدون زنادقة معطلون . وللاسلام جاحدون . ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون . قد عطلوا الحدود واباحوا الفروج واحلوا الخمر وسفكوا الدماء وسبوا الانبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية . وكتب في سنة اثنتين واربعمائة . وقد كتب خطه في المحضر خلق كثير . فمن العلويين المرتضى والرضا وابن الازرق الموسوي وابو طاهر ابن ابي الطيب ومحمد ابن محمد بن عمرو بن ابي يعلى . ومن القضاة ابو محمد ابن الاكفاني وابو القاسم الجزري وابو العباس ابن الشبوري . ومن الفقهاء ابو حامد الاسفراييني وابو محمد ابن الكسفلي وابو الحسن القدوري وابو عبد الله الصيمري وابو عبد الله البيضاوي وابو علي بن حمكان . ومن الشهود ابو القاسم التنوخي في كثير منهم . وكتب فيه خلق كثير . هذه عبارة ابي الفرج ابن الجوزي . قال ابن كثير ومما يدل على ان هؤلاء ادعياء كذبة كما ذكر هؤلاء السادة العلماء والائمة الفضلاء وانهم لا نسب لهم الى علي بن ابي طالب ولا الى فاطمة كما يزعمون قول ابن عمر للحسين بن علي حين اراد الذهاب الى العراق وذلك حين كتب عوام اهل الكوفة بالبيعة اليه فقال له ابن عمر لا تذهب اليهم فاني

اخاف عليك ان تقتل وان جدك قد خير بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة على الدنيا . وانت بضعة منه وانه والله لا تنالها لا انت ولا احـد من خلفك ولا من اهل بيتك . فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجـــه المعقول من هذا الصحابي الجليل يقتضي انه لا يلي الخلافة احد من اهل البيت الا محمد بن عبدالله المهدي الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى بن مريم . رغبة بهم عن الدنيا وان لا يدنسوا بها . ومعلوم ان هؤلاء قد ملكوا ديار مصر مدة طويلة فدل ذلك دلالة قوية على انهم ليسوا من اهل البيت كما نص عليه سادة الفقهاء . وقد صنف القاضي الباقلاني كتاباً في الرد على هؤلاء وسماه « كشف الاسرار وهتـك الاستار » بين فيـــه فضائحهم وقبائحهم ووضح امـرهم لكل احد . ووضوح امرهم ينبيء عن مطاوي افعالهم واقوالهم . وقد كان الباقلاني يقول في عبارته عنهم هم قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض والله سبحانه اعلم . انتهى ما ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى .

وقال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمـــه الله تعالى ما ملخصه وهؤلاء القوم ـ يعني العبيديين ـ يشهد عليهم علماء الامة وأئمتها وجماهيرها انهم كانوا منافقين زنادقة يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر . وكذلك النسب قد علم ان جمهور الامة تطعن في نسبهم ويذكرون انهم من اولاد المجوس او اليهود وهذا مشهور من شهادة علماء الطوائف مـــن الحنفية والمالكية والشافعيه والحنابلة واهل الحديث واهـــل الكلام وعلماء النسب والعامة وغيرهم . وهذ امر قد ذكره عامة المصنفين لاخبار الناس وايامهم حتى بعض من قد يتوقف في امرهم كابن الاثير الموصـلي في تاريخه ونحـوه فانه ذكر ما كتبه علماء المسلمين بخطوطهم من القدح في نسبهم . وامـا جمهور المصنفين

من المتقدمين والمتأخرين حتى القاضي ابن خلكان في تاريخه فانهم ذكروا نسبهم . وكذلك ابن الجوزي وابو شامة وغيرهما من اهل العلم بذلك حتى صنف العلماء في كشف اسرارهم وهتك استارهم كما صنف القاضي ابو بكر الباقلاني كتابه المشهور في كشف اسرارهم وهتك استارهم وذكر انهم من ذرية المجوس وذكر من مذاهبهم مابين فيه ان مذاهبهم شر من مذاهب اليهود والنصارى بل ومن مذاهب الغالية الذين يدعون الهية علي او نبوته فهم اكفر من هؤلاء وكذلك ذكر القاضي ابو يعلى في كتابه المعتمد فصلا طويلا في شرح زندقتهم وكفرهم وكذلك ذكر ابو حامد الغزالي في كتابه الذي سماه «فضائل المستظهرية وفضائح الباطنية . قال ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض . وكذلك القاضي عبد الجبار بن احمد وامثاله من المعتزلة المتشيعة الذين لا يفضلون على علي غيره بل يفسقون من قاتله ولم يتب من قتاله يجعلون هؤلاء من اكابر المنافقين الزنادقة . فهذه مقالة المعتزلة في حقهم فكيف تكون مقالة اهل السنة والجماعة . بل والرافضة الامامية مع انهم من اجهل الخلق وانهم ليس لهم عقل ولا نقل ولا دين صحيح ولا دنيا منصورة فهم يعلمون ان مقالة هؤلاء مقالة الزنادقة المنافقين ويعلمون ان مقالة هؤلاء الباطنية شر من مقالة الغالية الذين يعتقدون الهية علي رضي الله عنه . واما القدح في نسبهم فهو مأثور عن جماهير علماء الامة من علماء الطوائف وقد تولى الخلافة غيرهم طوائف وكان في بعضهم من البدعة والظلم ما فيه فلم يقدح الناس في نسب احد من اولئك كما قدحوا في نسب هؤلاء . ولا نسبوهم الى الزندقة والنفاق كما نسبوا هؤلاء . وقد قام من ولد علي طوائف من ولد الحسن وولد الحسين كمحمد بن عبد الله بن حسن واخيه ابراهيم بن عبد الله بن حسن وامثالهما ولم يطعن احد لا من اعدائهم ولا من غير اعدائهم لا في نسبهم ولا في اسلامهم . وكذلك الداعي القائم بطبرستان وغيره من العلويين. وكذلك بنو

حمود الذين تغلبوا بالاندلس مدة وامثال هؤلاء لم يقدح احد في نسبهم ولا في اسلامهم وقد قتل جماعة من الطالبيين على الخلافة لا سيما في الدولة العباسية وحبس طائفة كموسى بن جعفر وغيره ولم يقدح اعداؤهم في نسبهم ولا دينهم وسبب ذلك ان الانساب المشهورة امرها ظاهر متداول مثل الشمس لا يقدر العدو ان يطفئه . وكذلك اسلام الرجل وصحة ايمانه بالله ورسوله امر لا يخفى وصاحب النسب والدين لو اراد عدوه ان يبطل نسبه ودينه وله هذه الشهرة لم يمكنه ذلك فان هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله ولا يجوز ان تتفق على ذلك اقوال العلماء . وهؤلاء بنو عبيد القداح ما زالت علماء الامة المأمونون علماً وديناً يقدحون في نسبهم ودينهم . لا يذمونهم بالرفض والتشيع فان لهم في هذا شركاء كثيرين بل يجعلونهم من القرامطة الباطنية الذين منهم الاسماعيلية والنصيرية ومن جنسهم الخرمية المحمرة وامثالهم من الكفار والمنافقين الذين كانوا يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر ـ الى ان قال ـ بل ما ظهر عنهم من الزندقة والنفاق ومعاداة ما جاء به الرسول ﷺ دليل على بطلان نسبهم الفاطمي فان من يكون من اقارب النبي ﷺ القائمين بالخلافة في امته لا تكون معاداته لدينه كمعاداة هؤلاء . فلم يعرف في بني هاشم ولا ولد ابى طالب بل ولا بني امية من كان خليفة وهو معاد لدين الاسلام فضلا عن ان يكون معادياً له كمعاداة هؤلاء بل اولاد الملوك الذين لا دين لهم يكون فيهم نوع حمية لدين آبائهم واسلافهم . فمن كان من ولد سيد ولد آدم الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق كيف يعادي دينه هذه المعاداة . ولهذا نجد جميع المأمونين على دين الاسلام باطناً وظاهراً معادين لهؤلاء الا من هو زنديق عدو لله ورسوله او جاهل لا يعرف ما بعث الله به رسوله وهذا مما يدل على كفرهم وكذبهم في نسبهم ـ الى ان قال ـ وقد علم الناس من سيرة الحاكم ما علموه وما فعله هشتكين الدرزي مولاه بامره من دعوة الناس الى عبادته

ومقاتلته اهل مصر على ذلك ثم ذهابه الى الشام حتى اضل وادي التيم بن ثعلبه. والزندقة والنفاق فيهم الى اليوم . وعندهم كتب الحاكم وقد اخذتها منهم وقرأت ما فيها من عبادتهم الحاكم واسقاطه عنهم الصلاة والزكاة والصيام والحج وتسمية المسلمين الموجبين لهذه الواجبات المحرمين لما حرم الله ورسوله بالحشوية . الى امثال ذلك من انواع النفاق التي لا تكاد تحصى . وبالجملة فاسم الباطن الذي يدعونه مضمونه الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر بل هو جامع لكل كفر ـ الى ان قال ـ وبنوا ارصاداً على الجبال وغير الجبال يرصدون فيها الكواكب يعبدونها ويسبحونها ويستنزلون روحانياتها التي هي شياطين تنزل على المشركين الكفار كشياطين الاصنام . ولاجل ما كانوا عليه من الزندقة والبدعة بقيت البلاد المصرية مدة دولتهم نحو مائتي سنة قد انطفأ نور الاسلام والايمان فيها حتى قالت فيها العلماء انها كانت دار ردة ونفاق كدار مسيلمة الكذاب . والقرامطة الخارجون بارض العراق الذين كانوا سلفا لهؤلاء القرامطة ذهبوا من العراق الى المغرب ثم جاءوا من المغرب الى مصر فان كفر هؤلاء وردتهم من اعظم الكفر والردة وهم اعظم كفراً وردة من كفر اتباع مسيلمة الكذاب ونحوه من الكذابين فان اولئك لم يقولوا في الالهية والربوبية والشرائع ما قاله أئمة هؤلاء . ولهذا يميز بين قبورهم وقبور المسلمين كما يميز بين قبور المسلمين والكفار فان قبورهم موجهة الى غير القبلة . انتهى .

وقال شيخ الاسلام ايضاً في موضع آخر ثم الاسماعيلية الذين كانوا ملوك القاهرة وكانوا يزعمون انهم خلفاء علويون فاطميون وهم عند اهل العلم من ذرية عبيد الله القداح . وقال فيهم ابو حامد الغزالي ـ في كتابه الذي صنفه في الرد عليهم ـ ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض .

وقد صنف القاضي وصف مذاهبهم في كتبه وكذلك غير هؤلاء من علماء المسلمين . وهؤلاء الغالية كفار باتفاق المسلمين . انتهى .

وقال شيخ الاسلام ايضاً في موضع آخر أئمة الباطنية كبني عبيد بن ميمون القداح الذين ادعوا انهم من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر ولم يكونوا من ولده بل كان جدهم يهودياً ربيباً لمجوسي فاظهر التشيع ولم يكونوا في الحقيقة على دين واحد من الشيعة لا الامامية ولا الزيدية بل ولا الغالية الذين يعتقدون الهية علي او نبوته بل كانوا شراً من هؤلاء كلهم ولهذا كثرت تصانيف العلماء المسلمين في كشف اسرارهم وهتك استارهم وكثر غزو المسلمين لهم . وقصصهم معروفة . وابن سينا واهل بيته من اتباعهم على عهد حاكمهم المصري . ولهذا دخل ابن سينا في الفلسفة . وهؤلاء يجعلون محمد بن اسماعيل هو الامام المكتوم وانه نسخ شرع محمد بن عبدالله بن عبد المطلب ويقولون ان هؤلاء الاسماعيلية أئمة معصومون بل قد يقولون انهم افضل من الانبياء وقد يقولون انهم الهة ولهذا ارسل الحاكم غلامه هشتكين الدرزى الى وادي تيم الله بن ثعلبة بالشام فاضل اهل تلك الناحية وبقاياه فيهم الى اليوم يقولون بالهية الحاكم وقد اخرجهم عن دين الاسلام. وقد ادعى الربوبية وكتب باسم الحاكم الرحمن الرحيم واستمال كثيراً من الجهال وبذل لهم المال ونادوه باسم الاله وصنف له بعض الباطنية كتاباً ذكر فيه ان روح آدم انتقل الى علي ثم اليه . وهؤلاء الباطنية لهم في معاداة الاسلام واهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة . وضررهم على امة محمد ﷺ اعظم من ضرر الكفار التتر واكفر من المشركين المحاربين من الافرنج وغيرهم فان هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة اهل البيت وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا رسوله ولا بامر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار . ويتاولون كلام الله ورسوله على امور يفترونها بدعوى انها من علم الباطن . وليس لهم

حد محدود فيما يدعونه من الالحاد في اسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله ورسوله عن مواضعه . ولا يرون الصلوات الخمس ولا صيام شهر رمضان ولا حج البيت الحرام ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك . وهؤلاء يدعون المستجيب لهم اولا الى التشيع والتزام ما توجبه الرافضة وتحريم ما يحرمونه ثم بعد هذا ينقلونه درجة بعد درجة حتى ينقلوه في الاخر الى الانسلاخ من الاسلام وان المقصود هو معرفة اسرارهم وهو العلم الذي به تكمل النفس كما تقول الفلاسفة الملاحدة . فمن حصل له هـــذا العلم وصل الى الغاية وسقطت عنه العبادات التي تجب على العامة كالصلوات وصيام رمضان وحج البيت وحلت له المحرمات التي لا تحل لغيره . ثم ذكر ما تقدم عن ابي حامد الغزالي انه قال فيهم ظاهــــر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض . انتهى .

فصـــل

وذكر الصواف في صفحة ٣٧ عن عبد الرزاق نوفل انه نقل عن الفلكيين انهم قالوا بان الارض كوكب من الكواكب التي تدور حول الشمس وتتبعها في سيرها اينما ســـارت . قال وهي تدور بنـــا حول نفسها مرة كل اربع وعشرين ساعة .

والجواب ان يقــال هذا قول باطـل مردود بالادلة الكثيرة مـن الكتاب والسنة والاجمـاع والمعقول الصحيح وقد استوفيت الرد عليـه في الصواعق الشديدة فليراجع هناك .

فصـــل

وقال في صفحة ٣٨ ان الارض تدور حول الشمس في فلك يبلغ محيطه

٥٨٠ مليون ميل فمعدل سرعتنا في هذه الحركة يبلغ ٦٠ الف ميل في الساعة او بنحو الف ميل في الدقيقة . والنظام الشمسي كله بما فيه الارض ينهب الفضاء نهباً بسرعة لا تقل عن ٢٠ الف ميل في الساعة اي اكثر من ٣٠٠ ميل في الدقيقة متجهة نحو برج هركيوليس

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ان اثبات مثل هذه الامور يحتاج الى نص قاطع من كتاب الله تعالى او من سنة رسوله ﷺ . ولم يقم على شيء مما تخرصوه دليل البتة لا من المنقول ولا من المعقول الصحيح . وقد انقطع الوحي من السماء بموت النبي ﷺ ولم يبق مع المدعين سوى التخرصات والظنون الكاذبة . وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون . ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) وقال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون) وقد جمعت هذه الآية الكريمة بين الامر باتباع ما انزل الله والنهي عن اتباع ما سوى ذلك من اقوال المتخرصين .

الوجه الثاني ان يقال ليس للارض فلك تدور فيه كما زعم ذلك اهل الهذيان والتخرص وانما الفلك للشمس والقمر والنجوم والليل والنهار قال الله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد

كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لهـــا ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) .

قال ابن جرير قوله (وكل في فلك يسبحون) يقـول وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون . وبنحـو الذي قلنا في ذلك قال اهل التأويل .

وقال ابن كثير قوله تبارك وتعالى (وكل في فلك يسبحون) يعني الليل والنهـار والشمس والقمر كلهـم يسبحون اي يدورون في فلك السماء . قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراساني .

وقال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى . والله سبحانه قد اخبر بان الشمس والقمر والليل والنهـار كل ذلك يسبح في الفلك فقـال تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهاروالشمسوالقمر كل فيفلكيسبحون) . والفلك هو المستدير كما ذكر ذلكمن ذكره منالصحابةوالتابعينوغيرهممنعلماء المسلمين . والمستدير يظهر شيئاً بعد شيء فيراه القريب منه قبلالبعيد عنه .

وقال الشيخ ايضاً لفظ الفلك يدل على الاستدارة وعلى سـرعة الحركة كما في دوران فلكة المغزل ودوران الرحى .

وقال ايضاًوالسباحةتتضمنالجريبسرعة كما ذكرذلكاهلاللغة . انتهى .

واما الارض فانهـا ساكنة ثابتة لا تتحرك ولا تزول من موضعهـا فضلا عن ان يكون لها فلك تدور فيه . وقد ذكرتالادلةعلى سكونها في الصواعق الشديدة فلتراجع هناك .

واما تحديدهم لمحيط فلك الارض الذي توهموه بعقولهم الفاسدة بما ينيف على سبعين الف سنة وتحديدهم ايضاً لمعـدل سرعتهـا في الساعة والدقيقة وما

زعموه ايضاً من النظام الشمسي وسرعة سيره في الساعة والدقيقة واتجاهه نحو برج هركيوليس . فكله هذيان لا يقوله عاقل . ونسبة هذا الهذيان الى المسلمين فرية بلا مرية .

وقد قال الله تعالى (وبنينا فوقكم سبعاً شداداً) وقال تعالى (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) وقال تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير) .

وقد ذكرت في الصواعق الشديدة ما ذكره العلماء من الاجماع على ان السموات مستديرة . وما ذكروه ايضاً من الاجماع على ان الارض مثل الكرة. وبيان انها مثبتة في وسط كرة السماء كالنقطة في الدائرة . وذكرت ايضاً النص على ان بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة . وان كثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة . فلو كان للارض فلك يبلغ محيطه ٥٨٠ مليون ميل كما زعم ذلك من زعمه من فلاسفة الافرنج ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من ضعفاء البصيرة من المسلمين لكان مدارها من فوق الكرسي بمسافة بعيدة وهذا ظاهر البطلان .

وايضاً فالسموات السبع الشديدة البناء التي ليس لها فروج وليس فيها فطور قد احاطت بالارض من كل جانب . والكرسي من فوق السموات قد احاط بالجميع فلا طريق للارض الى اختراق السموات والكرسي والصعود الى ما فوق ذلك حتى يتهيأ لها الدوران في الفلك الذي توهموه بعقولهم الفاسدة.

وانما قال اعداء الله ما قالوه من هذا الهذيان الذي يضحك منه كل عاقل

لانهم يرون ان سعة الجو غير متناهية وانه ليس فوقنا سموات مبنية شداد كثف كل واحدة منهن خمسمائة سنة . والارض في وسط السماء الدنيا منهن وكل سماء منهن محيطة بما تحتها وما حوت .

وقد وجد اعداء الله لتخرصاتهم وهذيانهم قبولا عند الاغبياء من المسلمين . وهذا من اكبر مقاصد اعداء الله فانهم حريصون على اضلال المسلمين وردهم الى الكفر كما اخبر الله عنهم بذلك في قوله تعالى (ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) وقال تعالى (قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون . يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم) . وفي هذه الآية الاخيرة الحث على التمسك بالكتاب والسنة . وفي الآيات التي قبلها التحذير من طاعة اعداء الله تعالى والاصغاء الى تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة التي تصد عن سبيل الله تعالى وتورد من اصغى اليها موارد العطب . فمن تمسك بالكتاب والسنة حصلت له الهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة . ومن اعرض عنها وتمسك بظنون الناس وتخرصاتهم فقد ضل وشقي في الدنيا والآخرة . قال الله تعالى (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما « من اقتدى بكتاب الله لا يضل في الدنيا

ولا يشقى في الآخرة . ثم تلا هذه الآية (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) رواه رزين وغيره .

وقال الله تعالى (قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقـون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنـــا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهـــم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هـــم المفلحون . قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) .

واذا علم هذا فلا بد للمتكلم فـــيما يتعلق بالارض والسموات والشمس والقمر والنجوم من أحد امرين اما التمسك بما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ في ذلك وما اجمع المسلمون عليه من ذلك ونبذ التخرصات والظنون الكاذبة وراء الظهر . واما التمسك بتخرصات اهل الهيئـة الجديدة واتباعهم ونبذ ما عارض ذلك من ادلة الكتاب والسنة والاجماع وراء الظهر . فليختر المرء ما يناسبه من احد الامرين . فأما الجمع بينهما فغير ممكن لانهما ضـــدان فلا يجتمعان . وكثير مـن العصريين المفتونين بتخرصات اهـل الهيئة الجديدة وظنونهم الكاذبة يرومون الجمع بين مـــا اخبر الله به ورسوله ﷺ وبين تخرصات اهل الهيئة الجديدة وظنونهم الكاذبة وذلك بحمل الآيات والاحاديث على غير محاملها لتتفق مع ظنون اهل الهيئة الجديدة وتخرصاتهم فيجمعون

بين قبول الباطل وبين الالحاد في آيات الله تعالى وتحريف الكلم عن مواضعه .

الوجه الثالث ان الله تعالى نص على جريان الشمس في مواضع من كتابه. ونص ايضاً على انها تسبح في الفلك . ونص ايضاً على انه يأتي بها من المشرق . ونص ايضاً على طلوعها وتزاورها ودلوكها وغروبها . وقال تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار) والدأب ادامة السير كما نص على ذلك أئمة اللغة وقرر معناه اهل التفسير . وفي هذه الآيات اوضح دليل على ان الشمس تجري وتدور على الارض لقيام معايش العباد ومصالحهم.

وقد نص رسول الله ﷺ على جريان الشمس وطلوعها وارتفاعها وزوالها ودنوها من الغروب وغروبها واخبر انها تذهب بعد الغروب حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ثم يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها . وكل ذلك يدل على دوران الشمس على الارض على الدوام ورد ما هذى به المتخرصون من كون النظام الشمسي ينهب الفضاء نهباً بسرعة متجهاً نحو برج هركيوليس .

الوجه الرابع ان كلام الصواف ينقض بعضه بعضاً . فقد ذكر في هذا الموضع ان النظام الشمسي ينهب الفضاء نهباً بسرعة متجهة نحو برج هركيوليس . وذكر في صفحه ٤٣ ان الشمس والكواكب السيارة واقمارها تجري في الفضاء نحو برج النسر بسرعة غير معهودة لنا على الارض . وقال في صفحة ٦١ ان الشمس ثابتة ومتحركة في آن واحد ثابتة على محورها ومتحركة حول هذا المحور اي دائرة حول نفسها ومثلها مثل المروحة السقفية الكهربائية . وهذا تناقض عجيب وهكذا الباطل لا تجده الا مختلفاً ينقض

بعضه بعضاً كما قال الله تعالى(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

فصـــــل

وقال الصواف في صفحة ٣٨ اما عمـر الارض فقد بدأ الانسان تكهناته عنه من آماد بعيدة. ففي القرن السابع عشر قال احد المفكرين واسمه جيمس أوثر ان العالم بدأ يوم ٢٦ اكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبـــل الميلاد . وجاء في احد الكتب الهندية المقدسة ان عمر العالم ١٩٧٢٩٤٩٠٥٦ سنة . وفي العصر الحديث بدأت الجهود التي يبذلها الفلكيون في المراصد تلتقي عنـد ادق رقم يمكن ان يعتبر اصح تقدير لعمر الكرة الارضية . فقد دلت اخر التقديرات القائمة على دراسات فلكية وابحاث علمية في مراصد ليك ومونت ويلسون وبالومار على ان عمـــر الكرة الارضية حوالي ٥٤٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة . ونسبة الخطأ في تقدير هـذا الرقم يقرب مـن ٢٠٪ ويعتمد الفلكيون في عمر الكرة الارضية على النظرية القائلة بان شيئاً حدث في الفضاء في قـــديم الزمان جعل المادة تتناثر من مركز مشترك واحد . وقـد دلت الدراسة التي استمرت ٢٠ عاماً للضوء المنبعث من الكواكب البعيدة على ان هذه الكواكب لا تزال ممعنة في الابتعاد في الفضاء . وان سرعتها تزداد كلما ازداد ابتعادهـــا . وقد قضى الفلكيون في معرفة ذلك سبعة اعوام بالمراصد المذكورة يراقبون ٨٠٠ كوكب و ٢٦ مجموعة من الكواكب .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ان التكهن من امور الجاهلية وليس من علوم المسلمين . ومع هذا فقد ادخله الصواف في علم الفلك الذي نسبه الى المسلمين . وهذا من اكبر الخطأ واعظم الفرية . وقد قال الله تعالى (ان

الذين اتخـذوا العجل سينا لهم غضب من ربهـم وذلة في الحياة الدنيا و كذلك نجزي المفترين) قال ابو قلابة هي والله لكل مفتر الى يوم القيامة .

الوجه الثاني ان التكهن هو التحكم عـــلى الغيب والتعاطي لما استأثر الله بعلمه .

قال ابن منظور فى لسان العرب كهن له وتكهن له قضى له بالغيب. وكذا قال صاحب القاموس . قال ابن منظور ويقال كهن لهم اذا قال لهم قول الكهنة ونقل مرتضى الحسيني في تاج العروس عـن التوشيح ان الكهانة ادعاء علم الغيب . قال ومثله في ضوء النبراس وافعال ابن القطاع والارشاد .

وقال الخطابي الكاهن هـو الذي يدعي مطالعة عـلم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن .

وقال ابن الاثير الكاهـن الذي يتعاطى الخبر عـن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الاسرار .

قلت ويقال ايضاً للذي يدعي علم الغيب العراف والحازي .

قال الجوهري العراف الكاهن .

وقال الشيخ ابو محمد المقدسي في المغني العراف الذي يحدس ويتخرص .

وقال ابن الاثير العـراف المنجم او الحازي الذي يدعي عـلم الغيب وقد استأثر الله به . وقال ابن منظور في لسان العرب يقـال للحازي عراف قال والعراف الكاهن • وفي الحديث « من اتى عرافاً او كاهناً فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ » اراد بالعراف المنجم او الحازي الذي يدعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه .

وقال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية . العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم كالحازي الذي يدعي علم الغيب او يدعي الكشف انتهى .

اذا علم هذا فكل من ادعى شيئاً من علم الغيب فهو طاغوت كافر ومن صدقه فهو ممن امن بالطاغوت .

وقد اخبر الله تعالى عن الكاهن بأنه افاك اثيم . وفي هذا ابلغ ذم للكهان وابلغ تحذير من تصديقهم فيما يدعونه من علم الغيب قال الله تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثيم . يلقون السمع واكثرهم كاذبون) قال قتادة هم الكهنة يسترق الجن السمع ثم يلقون الى اوليائهم من الانس .

وقال ابن كثير على قوله (تنزل على كل افاك اثيم) اي كذوب في قوله وهو الافاك اثيم وهو الفاجر في افعاله فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة انتهى .

وقد روى البزار عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ليس منا من تطير او تطير له او تكهن او تكهن له او سحر او سحر له » قال المنذري اسناده جيد وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح خلا اسحاق بن الربيع وهو ثقة .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ نحوه قال المنذري واسناده حسن .

وروى رزين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « من اقتبس باباً من علم النجوم لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر

المنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر » وروي عن علي رضي الله عنه انه قال « الكاهن ساحر والساحر كافر » ذكره الذهبي في كتاب الكبائر .

وروى الطبراني عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لن ينال الدرجات العلى من تكهن او استقسم او رجع من سفر تطيراً » قال المنذري والهيثمي رواه الطبراني باسنادين ورجال احدهما ثقات .

قلت وقد رواه ابن مردويه وابو نعيم والبغوي بنحوه . ولفظ البغوي « من تكهن او استقسم او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيامة » .

الوجه الثالث ان الصواف ذكر اقوال المتكهنين في بدأ العالم ومدة عمره وعمر الارض واقرها وذلك يدل على رضاه بهذا التكهن وتصديقه به . وتلك مصيبة من اعظم المصائب على هذا المسكين لو كان يعقل .

فقد روى الامام احمد واهل السنن والبخاري في التاريخ الكبير عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « من اتى كاهناً فصدقه بما يقول او اتى امرأة حائضاً او اتى امرأة في دبرها فقد بريء مما انزل على محمد ﷺ » وفي رواية بعضهم « من اتى حائضا او امرأة في دبرها او كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ » .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في شرح التوحيد ظاهر الحديث انه يكفر متى اعتقد صدقه باي وجه كان . قال وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر فلا ينقل عن الملة ام يتوقف فيه فلا يقال يخرج عن الملة ولا ما يخرج وهذا اشهر الروايتين عن احمد رحمه الله تعالى . وقال القرطبي المراد بالمنزل الكتاب والسنة انتهى .

وروى الامام احمد ايضاً والحاكم في مستدركه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اتى عرافاً او كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم » قال الحاكم صحيح على شرطهما جميعاً ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وروى البزار عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من تطير او تطير له او تكهن او تكهن له او سحر او سحر له ومن اتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم » قال المنذري اسناده جيد وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح خلا اسحاق بن الربيع وهو ثقة .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في شرح التوحيد كل من تلقى هذه الامور عمن تعاطاها فقد برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونها اما شرك كالطيرة او كفر كالكهانة والسحر فمن رضي بذلك وتابع فهو كالفاعل لقبوله الباطل واتباعه انتهى .

وروى البزار ايضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « من اتى كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم » قال المنذري اسناده جيد قوي .

وروى البزار ايضاً وابو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال « من اتى عرافاً او ساحراً او كاهناً فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم » قال المنذري اسناده جيد . وقال الهيثمي رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا هبيرة بن يريم وهو ثقة . ورواه البزار ايضاً والطبراني في الكبير والاوسط بنحوه قال الهيثمي ورجال الكبير والبزار

ثقات . وقال المنذري رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات .

وقد رواه ابو نعيم في الحلية من حديث عمرو بن قيس الملائي عن ابي اسحاق – يعني السبيعي – قال حدثنا هبيرة بن يريم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « من اتى كاهناً او ساحراً فصدقه بما يقول فقد بريء مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم » ثم قال ابو نعيم رواه الثوري عن ابي اسحاق مثله . ورواه علقمة وهمام بن الحارث عن عبد الله موقوفاً .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله تعالى في شرح التوحيد فيه دليل على كفر الكاهن والساحر لانهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر . والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر ايضاً انتهى .

وروى الطبراني في الاوسط عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد بريء مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم ومن اتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة اربعين ليلة » قال الهيثمي فيه رشدين بن سعد وهو ضعيف وفيه توثيق في احاديث الرقاق وبقية رجاله ثقات .

قلت وما تقدم من الاحاديث الصحيحة يشهد له ويقويه .

وروى الطبراني ايضاً عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اتى كاهناً فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة اربعين ليلة فان صدقه بما قال كفر » اسناده ضعيف ولكنه يتقوى بما تقدم وما يأتي .

وروى الامام احمد ومسلم عن صفية بنت ابي عبيد عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من اتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة اربعين ليلة » .

وروى الطبراني في الاوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اتى عرافاً لم تقبل له صلاة اربعين ليلة » قال الهيثمي رجاله ثقات .

وروى الطبراني ايضاً في الاوسط عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اتى عرافاً لم تقبل له صلاه اربعين ليلة » قال الهيثمي رواه الطبراني عن شيخه مصعب بن ابراهيم بن حمزة الدهري ولم اعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح .

وايضاً فان التصديق بالتكهن من الايمان بالجبت والطاغوت وقد قال الله تعالى (الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا . اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) .

قال عمر رضي الله عنه الجبت السحر والطاغوت الشيطان . وكذا قال الشعبي ومجاهد .

وقد تقدم حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعاً وفيه « والكاهن ساحر » وعن علي رضي الله عنه مثله وتقدم ايضاً .

وعن الشعبي ايضاً الجبت الكاهن . وقال محمد بن سيرين ومكحول الجبت الكاهن والطاغوت الساحر . وقال سعيد بن جبير وابو العالية الجبت الساحر بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن .

وقال الجوهري الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك.

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الطواغيت كهان تنزل عليهم الشياطين رواه ابن ابي حاتم باسناد حسن .

ويشهد له قول الله تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثيم) وقد تقدم قول قتادة انهم الكهنة .

والمقصود ههنا التحذير من تصديق الذين يتكهنون ويدعون علم الغيب وبيان ان من صدقهم في ذلك فهو ممن آمن بالجبت والطاغوت شاء ام ابى .

فليستيقظ الصواف من رقدته ولينتبه من غفلته ولا يكن كحاطب الليل يضع في حطبه الافاعي القاتلة وهو لا يشعر . بل ان ضرر الافاعي اهون مما وضعه الصواف في رسالته من الاقوال الباطلة المتضمنة لمحادة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم واتباع غير سبيل المؤمنين لان ضرر هذه الاقوال الباطلة على الدين وضرر الافاعي على البدن وشتان ما بين الضررين .

الوجه الرابع ان ما زعمه اعداء الله تعالى من معرفة الشهر الذي بدأ فيه العالم وتعيين اليوم الذي بدأ فيه من ذلك الشهر وتحديد عمر العالم وعمر الارض فكله تخرص مردود بقول الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون) وقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا . الا من ارتضى من رسول) الآية . وقوله تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله) الاية . وقوله تعالى (ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله) الاية . وقوله تعالى (ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير) وقوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) الاية .

وفي الحديث الصحيح ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم «اخبرني عن الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل » رواه الامام احمد ومسلم

واهل السنن من حديث عمر رضي الله عنه .

ورواه الامام احمد والشيخان وابن ماجه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

ورواه النسائي من حديث ابي هريرة وابي ذر رضي الله عنهما .

واذا كان اشرف الملائكة واشرف البشر لا يعلمان متى تقوم الساعة فغيرهما من المخلوقين اولى واحرى ان لا يعلموا ذلك فضلا عما يزعمه المتخرصون من معرفة الشهر الذي بدأ فيه العالم وتعيين اليوم الذي بدأ فيه من ذلك الشهر وتحديد عمر العالم وعمر الارض .

ولقد احسن الشاعر حيث يقول :

الغيب يعلمه المهيمن وحده ــــ وعن الخلائق اجمعين مغيب

وقال آخر :

الزجر والطير والكهان كلهم ــــ مضللون ودون الغيب اقفال

الوجه الخامس انه لم يجيء في كتاب الله تعالى ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للارض عمراً معلوماً اذا انتهى زالت من مكانها وذهبت بالكلية . بل الذي يدل عليه القرآن العظيم ان الارض لا تزال باقية على الابد الا انها تبدل يوم القيامة . قال الله تعالى (فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد . واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ) فقد دلت هذه الايات على ان الارض لا تزال باقية على الابد . واما تبديلها يوم القيامة فقد قال تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) قال

ابن كثير اي وعده هذا حاصل يوم تبدل الارض غير الارض وهي هـذه على غير الصفة المالوفـه المعروفة . ثم ذكـر الاحاديث والاثار الواردة في تبديل الارض وهي كثيرة فلتراجع في آخر تفسير سورة ابراهيم .

واما زعم الفلكيين ان عمر الارض حوالي الف واربعـمائة مليون سنة فهو تخرص مردود عليهم .

الوجه السادس ان الصواف سمى رسالته المسلمون وعلم الفلك وذكر في مقدمتها في صفحة ١٢ ان ما جمعه فيها فهو مما تركه العلماء الاعلام . وقال في صفحة ٥١ و ٦٥ انهم سلفه الصالح . وقال في صفحة ٦٧ انهم علماؤه الاعلام . وقد نقل في هذا الموضع الذي نرد عليه عن « جيمس اوثر » وعـن الفلكيين اصحاب المراصد في « ليك ومونت ويلسون وبالومار » ونقل ايضاً في صفحة ٤٠ عن « لابلاس » وفي صفحة ٤٣ عن « سيمون » وفي صفحة ٥٨ عن الدكتور « توماس جولد » وفي صفحة ٦٠ عن المرصد الامريكي وعن الدكتور « دونالد مينزل » وفي صفحة ٧١ عن « اللورد افبري » وفي صفحة ٨٠ عـن البريطاني « سبريل هازارد » وزميـله « البروفيسور شميدت » وفي صفحـة ١٠٨ عن « ارثر فندلاي » و « سيمون ينوك » وهؤلاء كلهم من الافرنج ومع هذا فقد جعل الصواف تخرصاتهم وظنونهـم الكاذبة وتحكمهم على الغيب من علوم المسلمين . بل ظاهر كلامه انه يرى انهم من المسلمين ومن العلماء الاعلام والسلف الصالح . نعوذ بالله من تقليب الافئدة والابصار .

واما قوله وجاء في احد الكتب الهندية المقدسة الخ .

فجوابه ان يقال انما تكون الكتب مقدسة اذا كانت منزلة من الله تعالى او مأثورة عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

فأما ما وضعه اعداء الرسل من عند انفسهم وما توحيه الشياطين اليهم فهو باطل مردود وليس بمقدس .

وكتاب الهند الذي نقل الصواف عنه تحديد عمر العالم هو من هذا الجنس الباطل المردود لما فيه من التحكم على الغيب والتعاطي لما استأثر الله بعلمه .

واما قوله ويعتمد الفلكيون في عمر الكرة الارضية على النظريه القائلة بان شيئاً حدث في الفضاء في قـــديم الزمان جعل المادة تتناثر من مركز مشترك واحد .

فجوابه ان يقال هذا من تخرصات اهل الهيئة الجديدة وظنونهم الكاذبة . وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عـن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون . ان ربك هو اعلم من يضل عـن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) وقال تعالى (قتل الخراصون . الذين هم في غمرة ساهون) .

وقد ذكرت في الصواعق الشديدة ما ذكره الالوسي عن اهل الهيئة الجديدة في ذلك وتعقبته بالرد فليراجع ذلك في المثـال الخامس عشر من الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة .

واما قوله وقد دلت الدراسة التي استمرت ٢٠ عـاماً للضوء المنبعث من الكواكب البعيـدة على ان هذه الكواكب لا تزال ممعنة في الابتعاد في الفضاء وان سرعتها تزداد كلما ازداد ابتعادها .

فجوابه ان يقال هذا من جنس ما قبله من التخرصات والظنون الكاذبة

وهذا القول الباطل مبني على قولهم ان سعة الجو غير متناهية وانه ليس فوقنا سموات مبنية. وقد استوفيت الرد على هذا القول الباطل في الصواعق الشديدة في المثال الثالث من الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة فليراجع هناك .

ولو كان الامر على ما زعموه من نفي وجود السموات وانه ليس فوقنا الا فضاء لا نهاية له وان الكواكب لا تزال ممعنة في الابتعاد فيه لكان يختفي ضوءها عن اهل الارض شيئاً فشيئاً حتى لا يروا منهـا شيئاً . ويكفي في معرفة بطلان قولهم ما يشاهده الناس من استمرار ضوء كل كوكب على حاله على مر الازمان .

وايضاً فان الله تعالى قال (وبنينا فوقكم سبعاً شدادا) وقال تعالى (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومـا لها من فروج) وقال تعالى (الذي خلق سبع سمـوات طباقاً مـا ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير) .

وقد حكى غير واحد من العلماء الاجماع على ان السموات مستديرة وقرروا ان كل سماء محيطة بالسماء التي تحتها وما حوت . والكواكب قد جعلت زينة للسماء الدنيا بنص القرآن . فالسموات الشداد التي ليس لها فروج وليس فيها فطور محيطة بالكواكب من كل جانب ولا طريق لها الى ما زعموه من الابتعاد المتوهم .

وايضاً فان الله تعالى قد جعل السماء سقفاً لما تحتها من المخلوقات وجعل الكواكب زينـة لهذا السقف المحفوظ فقال تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة

الكواكب)وقال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح)وقال تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً) وقال تعالى (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) وقال تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين) وهذه الزينة لا تزال على حالها ما بقيت الدنيا فاذاقامتالقيامةزالتهذه الزينةعنمحلهاوانتثرتعلى الارض كما اخبر اللهتعالى بذلك في قوله (اذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت) وقوله تعالى (اذا السماء انفطرت واذا الكواكبانتثرت) قالالبغوي وغيره فيقوله تعالى (واذا النجوم انكدرت) اي تناثرت منالسماء وتساقطت على الارضكما قال تعالى (واذا الكواكبانتثرت)

وروى ابن ابي حاتم عن الشعبي انه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول «(وان جهنم لمحيطة بالكافرين)وجهنمهو هذا البحر الاخضرتنتثر الكواكب فيه وتكور فيه الشمس والقمر ثم يوقد فيكون هو جهنم » .

وروى ابن ابي حاتم ايضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال« يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث ريحاً دبوراً فيضرمها ناراً » وكذا ذكر البغوي في تفسيره عن ابن عباس رضي اللهعنهما قال ابن كثير وكذا قال عامر الشعبي .

وفيما ذكرته ههنا من الآيات وقول حبر الامة كفاية في رد ما زعمه اعداء الله تعالى من كون الكواكب لا تزال ممعنة في الابتعاد عن الارض .

وايضاً فانالله تعالى قد جعل الكواكب زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدي بها اهل الارض في ظلمات البر والبحر . ولو كانت لا تزال ممعنة في الابتعاد عن الارض كما زعمه اعداء الله تعالى لفاتتهذهالمصالح منها.

وفي بقائها على حالها على مر الازمان اوضح دليل عـــلى بطلان ما توهموه بعقولهم الفاسدة .

واما قوله وقد قضى الفلكيون في معرفة ذلك سبعـــة اعوام بالمراصد المذكورة يراقبون ٨٠٠ كوكب و ٢٦ مجموعة من الكواكب .

فجوابه ان يقال ان الله سبحانه وتعالى قد جعل الكواكب زينة للسماء الدنيا . وما في السماء لا يعلم الا من طريق الوحي . وقد انقطع الوحي من السماء بموت النبي صلي الله عليه وسلم . فاما المراصد والنظارات فهي اضعف واعجز من ان يتوصل بها الى العلم بما في السماء . وانما يعتمد اعداء الله تعالى على تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة . وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) . وما زعموه من وجود المجموعات من الكواكب فهو باطل .

وقد استوفيت الرد عليه في الصواعق الشديدة في المثال الثامن عشر من الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة فليراجع هناك .

فصـــل

قال الصواف في صفحة ٣٩ (علم طبقات الارض) ولقد نشأ بسبب هذه التحقيقات علم سمي « بعلم طبقات الارض » وهو علم يختص بدراسة الارض ومعرفة تاريخها ونشأتها وعمرها وكيف تكونت طبقاتها وما طرأ على كل طبقة من تغيير . نتيجة لعوامل جيولوجية او حيوية . وقد تمكن بعض العلماء من معرفة اشياء مهمة عن الارض ومكوناتها وما تحت قشرتها وهو مايسمونه بعلم الجيولوجيا . وكل هذه الدراسات تضيف في كل لحظة وحين ادلة مشرقة على عظمة الخالق ووجود الصانع الحكيم العليم القدير .

والجواب ان يقال اما دعوى معرفة تاريخ الارض ونشأتها وعمرها وكيف تكونت طبقاتها وما طرأ على كل طبقة من تغيير فذلك من التحكم على الغيب والتعاطي لما استأثر الله بعلمه قال الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) الآية . وليست هذه الامور مما يدرك علمه بالعوامل الجيولوجية اوالحيوية وانما تعلم من طريق الوحي وقد انقطع الوحي بموت النبي ﷺ « وقد قال الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا) .

وأما قوله وقد تمكن بعض العلماء من معرفة اشياء مهمة عن الارض ومكوناتها .

فجوابه ان يقال ليس للارض ولا غيرها من المخلوقات خالق ومكون غير الله تعالى . قال الله تعالى (يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون) .

واضافة التكوين الى العناصر هو مذهب الطبيعيين الذين يزعمون ان الايجاد والتكوين ناشيء عن الطبيعة وذلك شرك بالله تعالى لان الله تعالى هو الذي خلق العناصر وخلق ما تكون منها فلا يضاف التكوين الى غيره .

وأما قوله وكل هذه الدراسات تضيف في كل لحظة وحين ادلة مشرقة على عظمة الخالق ووجود الصانع .

فجوابه ان يقال ان في القرآن والاحاديث الصحيحة كفاية وغنية في الدلالة على عظمة الخالق ووجود الصانع . ولا يحتاج معهما الى ما سواهما من اقوال الناس وآرائهم فضلا عن تخرصات اعداء الله وظنونهم الكاذبة وتحكمهم على الغيب .

قـال الله تعالى (اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهـم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وقال تعالى (وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمـون) الآيات الى قـوله تعالى (فقـد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) وقال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هـدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالى (هذا بصائر للناس وهـدى ورحمة لقـوم يوقنون) وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهـدي به الله مـن اتبع رضوانه سبل السلام ويخـرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهـم الى صراط مستقيم) وقال تعالى (انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحـق فمـن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل) وقال تعـالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) وقال تعـالى (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون) الى قوله (فآمنوا بالله ورسـوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) والايات في هذا المعنى كثيرة .

وروى الامام احمد وابن ماجه والحاكم في مستدركه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك » ورواه ابن ابي عـاصم في كتاب السنة بنحوه قال المنذري واسناده حسن .

وروى ابن ماجه ايضاً عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله

ﷺ « وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء» قال ابو الدرداء صدق والله رسول الله ﷺ تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء.

واذا علم هذا فمن اقبح الجهل ان تجعل التخرصات والظنون الكاذبة من اعداء الله ادلة على عظمة الخالق ووجود الصانع وان يقال انها ادلة مشرقة وهي في الحقيقة بعكس ذلك ظلمات بعضها فوق بعض .

فصـــل

وقال الصواف في صفحه ٣٩ و ٤٠ و ٤١ ما ملخصه :

(خلق الارض) قال الله سبحانه وتعالى (اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي) هذه الاية من الايات المعجزات التي اخبرت بمغيب لا يعلمه الا الله . وجاء العلم الحديث يشير الى ما اشارت اليه هذه الاية البليغة . فقد اختلفت الاراء العلمية منذ القديم على كيفية نشوء الارض حتى توصل العلماء اخيراً بعد البحوث العميقة وبعد الاختراعات العجيبة للمراصد والمجاهر وبعد تقدم ابحاث الجيولوجيا والتحاليل الارضية توصلوا الى النظرية الصحيحة في خلق الارض وسميت بنظرية « لابلاس » هذه النظرية قررت ان الارض والشمس ومختلف الكواكب والاجرام انما كانت سديماً في الفضاء وان الارض انفصلت عن هذا السديم . وهذا هو الذي اشار اليه القرآن العظيم في الاية التي صدرنا بها هذا الموضوع قبل « لابلاس » وقبل غيره من علماء الدنيا . ويؤيد هذه النظرية كما يقول العلماء ادلة كثيرة منها شدة حرارة باطن الارض ـ الى ان قال ـ وبتقدم العلم امكن الى حد ما معرفة العناصر المكونة للشمس بتحليل لطيف

فلكل عنصر عند احتراقه لون خاص به . فوجـــد انها تتكون من نفس العناصر التي تتكون منها الارض . بل اكتشفت عناصـــر في الشمس قبل اكتشاف وجودها في الارض . وبذلك قرر العلم اليوم ما قرره القرآن واشار اليه قبل الف واربعمائة عــام من ان الارض والشمس والنجوم اي السماء والارض وما فيهما انما كانت سديماً انفصل الى اجزاء (كانتا رتقاً ففتقناهما).

والجواب ان يقال اما ما زعمه من توصـــل الفلكيين الى معرفة كيفية نشوء الارض فهو زعم باطل مردود بقـــول الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله .

وكيفية خلق الارض من امور الغيب التي لا يعلمها الا الله تعالى او من اطلعه الله على ذلك من المرسلين . قال الله تعالى (عالم الغيب فـــلا يظهر على غيبه احدا . الا من ارتضى من رسول) الاية وقـال تعالى (ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم) .

وليس الغيب مما يتوصل اليه بالبحوث والمراصـــد والمجاهر والابحاث الجيولوجية والتحاليل الارضية كما زعمه الصواف .

ومن ادعى علم الغيب بهذه الطرق فهو طاغوت .ومن صدقه فهو ممن آمن بالطاغوت شاء ام ابى .

واما نظرية «لابلاس» فليست بصحيحة كما زعمه الصواف وانما هي ظن وتخرص وقد قال الله تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) .

وقد ذكر الله تعـالى خلق الارض في مـواضع كثيرة من القرآن وفصل ذلك في سورة حم السجدة فقال تعالى (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض

في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كـــرهاً قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين واوحي في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) .

فلم يذكر تبارك وتعالى ان الارض كانت سديماً في اول الامـر ولا انها انفصلت عن سديم .

والسديم هو الضباب الرقيق قـاله ابن منظور في لسان العرب وصاحب القاموس وغيرهما من اهل اللغة .

وقد روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهـــما ان اليهود اتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السموات والارض فقال صـــلى الله عليه وسلم « خلق الله تعالى الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثا وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعـاء الشجر والمـاء والمدائن والعمـران والخراب فهذه اربعة (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين) لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منـه وفي الثانية القى الآفـة على كل شيء ممـا ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم واسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في اخر ساعة» .

وفي هذا الحديث بيان خلق السماء والارض وما فيهما وليس فيه ما يدل على ان الارض كانت سديماً في اول الامر ولا انها انفصلت عن السديم .

وروى ابن جرير ايضاً عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال « ان الله بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين في الاحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة » وهذا الاثر يدل على ما دل عليه الحديث قبله من تقدم خلق الارض على خلق السموات .

وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن مجاهد قال خلق الله الارض قبل السماء فلما خلقت ثار منها دخان فذلك قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان) فسواهن سبع سموات بعضهن فوق بعض وسبع ارضين بعضهن فوق بعض .

وفي الايات التي ذكرنا مع حديثي ابن عباس وعبد الله بن سلام رضي الله عنهم دليل على ان الارض خلقت قبل السماء وما فيها من الشمس والقمر والنجوم . وقد صرح مجاهد ان الارض خلقت قبل السماء . وهو انما تلقى التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وفي كل ما ذكرنا رد لما قررته نظرية « لابلاس » من ان الارض والشمس ومختلف الكواكب والاجرام كانت سديماً في الفضاء وان الارض انفصلت عن هذا السديم . وبيان انها نظرية فاسدة لا كما يزعم الصواف انها نظرية صحيحة.

وفي ذلك ايضاً رد لما ذكره الالوسي في صفحة ٩٤ من كتابه الذي سماه « ما دل عليه القرآن . مما يعضد الهيئة الجديدة » عن الفلاسفة المتأخرين انهم ذهبوا الى ان العالم كله كان قطعة واحدة فاصابته صدمة فتفرق الى ما يرى من الاجرام .

والظاهر ان هذه النظرية هي نظرية « لابلاس » التي ذكرها الصواف وانما اختلف تعبيرهم عنها . وقد ذكرتها في الصواعق الشديدة في المثال الخامس عشر من الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة وتعقبتها بالرد فليراجع هناك .

واما قوله وجاء العلم الحديث يشير الى ما اشارت اليه الآية البليغة .

فجوابه ان يقال ليست تخرصات الفلكيين وظنونهم الكاذبة بعلم كما توهمه الصواف واشباهه من العصريين وانما هي تحكم على الغيب وذلك هو الجهل على الحقيقة .

واما زعمه ان الاية من سورة الانبياء اشارت الى ما جاء في نظرية « لابلاس » .

فجوابه ان يقال ليس في الاية الكريمة ما يشير الى ان الارض والشمس ومختلف الكواكب والاجرام كانت سديماً في الفضاء وان الارض انفصلت عن هذا السديم .

وانما الذي في الاية ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقهما الله . وقد اختلف المفسرون في المراد بذلك . قال ابن الجوزي وللمفسرين في المراد به ثلاثة اقوال . احدها ان السموات كانت رتقاً لا تمطر وكانت الارض رتقاً لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات رواه عبد الله بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال عطاء وعكرمة ومجاهد في رواية والضحاك في آخرين.

قلت وهذا مروي عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه ابن ابي حاتم باسناد حسن عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا اتاه يسأله عن (السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما) قال اذهب الى ذلك الشيخ فاسأله

ثم تعال فاخبرني بما قال لك قال فذهب الى ابن عباس رضي الله عنهما. فسأله فقال ابن عبـــاس رضي الله عنهما نعم كانت السموات رتقاً لا تمطر وكانت الارض رتقاًلاتنبت فلما خلق للارض اهلا فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل الى ابن عمر رضي الله عنهما فاخبره فقال ابن عمـر رضي الله عنهما الان قد علمت ان ابن عباس قد اوتي في القران علماً صدق. هكذا كانت قال ابن‌عمر رضي الله عنهما قدكنت اقول ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القران فالآن علمت انه قد اوتي في القران علماً .

قال ابن الجوزي والثاني ان السموات والارض كانتا ملتصقتين ففتقهما الله تعالى رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة .

والثالث انه فتق من الارض ست ارضين فصارت سبعاً ومن السماء ست سموات فصارت سبعاً رواه السدي عن اشياخه وابن ابي نجيح عن مجاهدانتهى.

وقال السدي عن ابي مالك وعن ابي صـــالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات) قال ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليـــه فسماه سماء ثم ايبس الماء فجعله ارضاً واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضـين في يومين في الاحد والاثنين وخلق الجبال فيهاواقوات اهلها وشجرها وماينبغي لها في يومين في الثلاثا والاربعا وذلك حين يقول (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمـــين . وجعل فيها

رواسي من فوقها وبارك فيها) يقول انبت شجرها (وقـدر فيها اقواتها) يقول اقواتها لاهلها (في اربعة ايام سواء للسائلين) يقول قل لمن يسألك هكذا الامر (ثم استوى الى السماء وهي دخان) وكان ذلك الدخان من تنفس المـاء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض (واوحى في كل سماء امرها) قال خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد ومالا يعلمه غيره ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظاً تحفظ من الشياطين فلما فرغ من خلق ما احب استـوى على العرش فذلك حين يقول (خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) ويقول (كانتا رتقاً ففتقناهما) رواه ابن جرير .

فهذه اقوال المفسرين في تفسير الآية من سورة الانبيـاء وليس في شيء منها ان الارض كانت في اول الامر سديما ولا انها انفصلت عن السديم

وقد قال شيخ الاسلام ابو العبـــاس ابن تيمية رحمه الله تعالى من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه انتهى

وقد اختلف المفسرون في مقدار الستة الايام التي خلقت فيهـا السموات والارض على قولين . قال ابن كثير والجمهور على انها كايامنا هذه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وكعب الاحبار ان كل يوم منهـــا كالف سنة مما تعدون رواهن ابن جرير وابن ابي حاتم . واختار هـذا القول الامام احمد بن حنبل في كتابه الذي رد فيه على الجهمية وابن جرير وطائفة من المتأخرين والله اعلم انتهى .

قلت ويؤيد القول الاخير ما تقدم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السموات والارض الحديث. وفيه ان الله تعالى خلق آدم واسكنه الجنة واخرجه منها في اخر ساعة من يوم الجمعة الذي هو اخر الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض . فهذا يدل على ان تلك الساعة كانت بقدر سنين كثيرة وان تلك الايام ليست كايامنا هذه والله اعلم .

وأما قوله ويؤيد هذه النظرية ادلة منها شدة حرارة باطن الارض .

فجوابه ان يقال واي دليل في شدة حرارة باطن الارض على انها كانت سديماً في اول الامر اوانها انفصلت عن السديم.

واما قوله وبتقدم العلم امكن الى حد ما معرفة العناصر المكونة للشمس فوجد انها تتكون من نفس العناصر التي تتكون منها الارض .

فجوابه ان يقال ليس هذا بعلم وانما هو تخرص وظن كاذب ومنازعة للرب تبارك وتعالى فيما استأثر به من علم الغيب • وقد تقدم التنبيه على ان هذا هو الجهل على الحقيقة .

واما قوله العناصر المكونة للشمس .

فجوابه ان يقال ليس للشمس ولا غيرها من المخلوقات خالق ومكون غير الله تعالى . قال الله تعالى (يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون) .

واضافة التكوين الى العناصر هو مذهب الطبيعيين الذين يزعمون ان الايجاد والتكوين ناشيء عن الطبيعة وذلك شرك بالله تعالى لان الله تعالى هو

الذي خلق العناصر وخلق ما تكون منها فلا يضاف التكوين الى غيره .

واما قوله فوجد انها تتكون من نفس العناصر التي تتكون منها الارض.

فجوابه من وجهين احدهما ان يقال ما زعمه ههنا فهو تخرص وظن كاذب وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) . ومن هو الذي ذهب الى الشمس وحلل عناصرها وقابل بينها وبين عناصر الارض حتى عرف مشابهة كل منهما للاخر .

وعناصر الشمس من امور الغيب التي لا تعلم الا من طريق الوحي . ولم يأت عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ بيان عن عناصر الشمس وقد قال الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا) .

ولو كانت عناصر الشمس مثل عناصر الارض لكانت تراباً واحجاراً وماء مثل الارض . ولو كانت كذلك لما كانت سراجاً وهاجاً كما وصفها الله بذلك في كتابه وانما تكون باردة غير مضيئة .

ولو كانت عناصر الارض مثل عناصر الشمس لاحترق ما على الارض ولم يمكن ان يعيش عليها شيء من الحيوانات ولا النباتات .

الوجه الثاني ان كلام الصواف ينقض بعضه بعضاً فقد زعم ههنا انه بتقدم العلم امكن الى حد ما معرفة عناصر الشمس فوجد انها تتكون من نفس العناصر التي تتكون منها الارض . ثم نقض ذلك في صفحة ٥٨ حيث ذكر عن الفلكيين ان الشمس انما هي كرة هائلة من الغازات الملتهبة . وكل من هذين القولين باطل وضلال اذ لا مستند لهما سوى التخرصات والظنون الكاذبة.

واما قوله بل اكتشفت عناصر في الشمس قبل اكتشاف وجودها في الارض

فجوابه ان يقال ان دعوى اكتشاف العناصر في الشمس دعوى باطلة لا مستند لها سوى التخرصات والظنون الكاذبة . وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) وقال تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) .

والشمس في السماء بنص القرآن وبين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة بنص الاحاديث الثابتة عن النبي ﷺ . فمن أين لبني آدم ان يكتشفوا عناصر الشمس من هذا البعد الشاسع .

واما قوله وبذلك قرر العلم اليوم ما قرره القران واشار اليه قبل الف واربعمائة عام من ان الارض والشمس والنجوم اي السماء والارض وما فيهما انما كانت سديماً انفصل الى اجزاء (كانتا رتقاً ففتقناهما) .

فجوابه ان يقال قد بينت مراراً ان ما سماه الصواف هنا علما فليس بعلم وانما هو جهل على الحقيقة .

واما قوله ان الارض والشمس والنجوم كانت سديماً انفصل الى اجزاء .

فجوابه ان يقال هذا قول باطل وقد تقدم رده قريباً . وحمل الاية من سورة الانبياء على هذا القول الباطل من الالحاد في ايات الله وتحريف الكلم عن مواضعه .

فصل

قال الصواف في صفحة ٤١ و ٤٢ (حركة الارض والشمس) قال الله تبارك وتعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر

قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) .

اعتبر اكتشاف حركة الارض بدورانها حول نفسها وحول الشمس من اروع ما اكتشفه علم الفلك . وقد سبق القران هذا العلم بما يزيد على الف عام ولم يصل العلم الحديث الى ما قرره القران من حركةالشمس الا اخيراً. واعتبر العلم اكتشاف هذه الحركة حدثاً جديداً في كتاب الدنيا . لقد جمعت الاية الشريفة علماً اعتبر اكتشافه في العصر الحديث نصراً للعلم والعلماء . اذ تقول الآية ان المجموعةالشمسية وما حولها تتحرك فيالفلك وان الشمس تجري الى بعيد فيه وليس الى قريب اذ لا ينبغي لها ان تلحقالقمر بالنزول الى فلكه وانها تجري لمستقر لها .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ليس للارض حركة كمازعمه الصواف تقليداً لكوبرنيك وهرشل واتباعهما من فلاسفة الافرنج ومنيقلدهم ويحذو حذوهم من العصريين .

والقول بحركة الارض مخالف للادلة الكثيرة من الكتاب والسنة واجماع المسلمين . وقد ذكرت الادلة على سكونها مستوفاة في اول الصواعق الشديدة فلتراجع هناك .

وكل قول خالف ما جاء عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما اجمع عليه المسلمون فمضروب بهعرض الحائط ومردود على قائله كائناً من كان.

الوجه الثاني ان الله تعالى فـــرق بين الارض والشمس فاثبت للشمس الجريان في عدة مواضع من كتابه . واثبت لها السبح في الفلك . ونص على انه يأتي بها من المشرق . ونص على طلوعها ودلوكها وغروبها وتزاورها . ونص

على انها هي والقمر بحسبان وانه سخرهما لعباده دائبين . والدؤوب ادامة السير كما نص على ذلك ائمة اللغة .

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في اثبات جريان الشمس وسيرها في الفلك احاديث كثيرة صحيحة ذكرتها في الصواعق الشديدة .

واما الارض فقد تظافرت الادلة الكثيرة من الكتاب والسنة على سكونها وثباتها واجمع المسلمون على ذلك . واجمع عليه اهل الكتاب ايضاً كما حكاه القرطبي عنهم في تفسيره ودلت على ذلك الادلة العقلية الصحيحة . فابى الصواف واشباهه من اتباع الافرنج ومقلديهم الا ان يجمعوا بين ما فرق الله ورسوله بينهما وان يخالفوا اجماع المسلمين . وهذا عين المحادة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . وقد قال الله تعالى (الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم) وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

الوجه الثالث ان الآيتين من سورة (يس) ليس فيهما ما يدل على حركة الارض بوجه من الوجوه . ومن استدل بهما على حركة الارض فهو مفتر على الله . وقد قال تعالى « ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب أليم »

الوجه الرابع ان الآيتين حجة على الصواف واشباهه من اتباع اهل الهيئة الجديدة . فان فيهما النص على جريان الشمس الى مستقرها . والنص على انها تسبح في الفلك . وهذا يرد ما قرره الصواف في صفحة ٦١ من ان الشمس ثابتة على محورها ومتحركة حول هذا المحور وانها مثل المروحة السقفية الكهربائية .

وقد جاء بيان جريان الشمس الى مستقرها في الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ لابي ذر حين غربت الشمس « تدري اين تذهب » قلت الله ورسوله اعلم قال « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قول الله تعالى « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » متفق عليه واللفظ للبخاري ورواه الامام احمد وابو داود الطيالسي والترمذي بنحوه وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. قال وفي الباب عن صفوان بن عسال وحذيفة بن اسيد وانس وابي موسى انتهى

وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً «أتدرون أين تذهب هذه الشمس » قالوا الله ورسوله اعلم قال « ان هذه تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلاتزال كذلك حتى يقال لهاارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي الى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارجعي ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها » فقال رسول الله ﷺ « اتدرون متى ذاكم . ذاك حين لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيراً » .

وهذا الحديث يوضح المراد من قوله تعالى (والشمس تجري لمستقرلها) .

وفيه الرد على من تأول الاية على غير تأويلها كالصواف واشباهه من

المتخرصين القائلين في كتاب الله بغير علم .

فان قيل ان الشمس لا تزال طالعة على الارض ولكنها تطلع على جهة منها وتغرب عن الجهة الاخرى فاين يكون مستقرها الذي اذا انتهت اليه سجدت واستاذنت في الرجوع من المشرق .

فالجواب ان يقال حسب المسلم ان يؤمن بما جاء في الاحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ويعتقد انه هو الحق ولا يتكلف ما لا علم له بهمن تعيين الموضع الذي تسجد فيه الشمس بل يكل علم ذلك الى عالم الغيب والشهادة .

وقد جاء في الصحيحين ومسند الامام احمد عن ابي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى « والشمس تجري لمستقر لها » قال « مستقرها تحت العرش »

فهذا المستقر الذي اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتهت اليه الشمس سجدت واستاذنت في الرجوع من المشرق فيؤذن لها فاذا كان في اخر الزمان سجدت كما كانت تسجد فلم يقبل منها واستأذنت في الرجوع من المشرق فلم يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها

وقد قال ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية في الكلام على حديث ابي ذر رضي الله عنه وما جاء فيه من سجود الشمس ما ملخصه . لا يدل على انها – اي الشمس – تصعد الى فوق السموات من جهتنا حتى تسجد تحت العرش بل هي تغرب عن أعيننا وهـ ، مستمرة في فلكها الذي هي فيه فاذا ذهبت فيه حتى تتوسطه وهو وقت نصف الليل فانها تكون ابعد ما تكون من العرش لانه مقبب من جهة وجه العالم وهذا محل سجودها كما يناسبها كما انه اقرب ما تكون من العرش وقت الزوال من جهتنا فاذا كانت في محل

سجودها استأذنت الرب جل جلاله في طلوعها من المشرق فيؤذن لها فتبدو من جهة المشرق وهي مع ذلك كارهة لعصاة بني آدم ان تطلع عليهم . فاذا كان الوقت الذي يريد الله طلوعها من جهة مغربها تسجد على عادتها وتستأذن في الطلوع من عادتها فلا يؤذن لها . فجاء انهـا تسجد ايضاً ثم تستأذن فلا يؤذن لها ثم تسجد فلا يؤذن لها وتطول تلك الليلة فتقول يا رب ان الفجر قد اقترب وان المدى بعيد فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فاذا رآها الناس امنوا جميعاً وذلك حين لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيراً . وفسروا بذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) قيل لوقتها الذي تؤمر فيه ان تطلع من مغربها . وقيل مستقرها موضعها الذي تسجد فيه تحت العرش . وقيل منتهى سيرها وهو آخر الدنيا .

قلت والقول الثاني اظهر ويؤيده ما تقدم من روايه مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال «اتدرون اين تذهب هذه الشمس» الحديث.

قال ابن كثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قرأ والشمس تجري لا مستقر لها اي ليست مستقرة فعلى هذا تسجد وهي سائرة انتهى .

وقال ابن العربي انكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن .

قلت انما ينكر ذلك من يرتاب في صدق النبي ﷺ . فاما من لا يشك في صدقه ويعتقد انه كما اخبر الله عنه بقوله (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى) فلا ينكر ذلك ولا يرتاب فيه .

الوجه الخامس ان يقال من المزاعم الباطلة والتخرصات والظنون الكاذبة زعم الصواف وسلفه اهل الهيئة الجديدة واتباعهم انهم اكتشفوا حركة

الارض ودورانها حول نفسها وحول الشمس . وهـؤلاء ينطبق عليهم قول الله تعالى (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً . فاعرض عمن تولى عـن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيـا . ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمـــن اهتدى) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعالى (قتل الخراصون . الذين هم في غمرة ساهون) وقال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عـن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون . ان ربك هو اعـلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) .

الوجه السادس ان يقال من قلب الحقائق زعـم الصواف ان اهـل الهيئة الجديدة من العلماء وان تخـرصاتهم وظنونهم الكاذبة مـن العلم . والصحيح المطابق للواقع ان يقال انهم هم الجاهلون المحادون لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وان تخرصاتهم هي الجهل الكثيف .

العلم قـال الله قـال رسـوله ... قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأي فلان

ولا يغتر بأباطيل اعداء الله وتخرصاتهم ويرى انها علوم رائعة الا من هو من اجهل الناس .

الوجه السابع من جراءة الصواف على الله تعالى وعلى القول في كتابه بغير علم زعمه ان القرآن قد سبق جهل اهل الهيئة الجديدة الى القول بحركة الارض ودورانها حول نفسها وحـول الشمس وهذا من الافتراء على الله تعالى وقـد قال الله تعالى (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) .

الوجه الثامن من قرمطة الصواف زعمه ان الآية من سورة « يس » تقول ان المجموعة الشمسية وما حولها تتحرك في الفلك وان الشمس تجري الى بعيد فيه وليس الى قريب اذ لا ينبغي لها ان تلحق القمر بالنزول الى فلكه.

وهذا من الالحاد في آيات الله وتحريف الكلم عن مواضعه .

واين في الآية من سورة « يس » او غيرها من آيات القرآن ذكر المجموعة الشمسية وما حولها .

واين في الآية ان الشمس تجري في الفلك الى بعيد فيه وليس الى قريب .

واين في الآية ان الشمس لا ينبغي لها ان تلحق القمر بالنزول الى فلكه .

وقد تقدم قريباً حديث ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في بيان المراد من قول الله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) والعمدة عليه لا على ما خالفه . وليس فيه ما يشير الى ان هناك مجموعة شمسية . ولم يرو عن النبي ﷺ باسناد صحيح ولا ضعيف ان هناك مجموعة شمسية . ولم يرو ذلك عن احد من الصحابة ولا التابعين ولا تابعيهم باحسان ولا ائمة العلم والهدى من بعدهم . وانما قال ذلك اهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج معتمدين على ارصادهم وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة . وتلقى ذلك اتباعهم من العصريين بالقبول والتسليم . وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) .

واما قوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر) فمعناه كما قال مجاهد لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جاء سلطان هذا ذهب

هذا واذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا . وقال عكرمة يعني ان لكل منهما سلطاناً فلا ينبغي للشمس ان تطلع بالليل .

الوجه التاسع ان القول في القرآن بمجرد الرأي حرام شديد التحريم . وقد ورد الوعيد الشديد على ذلك كما في الحديث الذي رواه الامام احمد والترمذي وابن جرير والبغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال « من قال في القرآن برأيه او بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار » هذا لفظ ابن جرير وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وروى الترمذي ايضاً وابو داود وابن جرير والبغوي عن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من قال في القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ » قال الترمذي هذا حديث غريب . قال وهكذا روي عن بعض اهل العلم من اصحاب النبي ﷺ وغيرهم انهم شددوا في هذا في ان يفسر القرآن بغير علم . وأما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من اهل العلم انهم فسروا القرآن فليس الظن بهم انهم قالوا في القرآن او فسروه بغير علم او من قبل انفسهم . وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا انهم لم يقولوا من قبل انفسهم. ثم روى باسناده عن قتادة انه قال ما في القرآن آية الا وقد سمعت فيها شيئاً . وروى ايضاً عن مجاهد انه قال لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج ان اسال ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت . انتهى كلام الترمذي

وقال البغوي قال شيخنا الامام قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئاً من غير علم. قال وأما التفسير وهو الكلام في اسباب نزول الآية وشانها وقصتها فلا يجوز الا بالسماع بعد ثبوته

من طريق النقل انتهى

ولا يخفى على من له ادنى علم وفهم ان ما زعمه الصواف في معنى الآيتين من سورة «يس» لم يكن من طريق النقل الثابت وانما هو تخرص وتخبيط بمجرد الرأي فهو بذلك متعرض للوعيد الشديد .

الوجه العاشر ان يقال من الخطأ ما يستعمله الصواف وكثير من العصريين من اضافة القول الى القرآن اوالى بعض الايات منه كقول الصواف في صفحة ٤٢ (اذ تقول الاية ان المجموعة الشمسية الى اخره) وقوله في صفحة ٤٣ (هذا قول القرآن) . وهذا الصنيع منه خلاف ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين . وكذلك التابعون وتابعوهم باحسان فانهم ما كانوا يقولون قال القرآن كذا ويقول القرآن كذا. ولا قالت الاية كذا وتقول الاية كذا . وانما كانوا يقولون قال الله كذا ويقول الله كذا . فيضيفون القول الى قائله المتكلم به وهو الله تعالى . والقرآن كلام الله وقوله . وليس الكلام هو المتكلم القائل حتى يضاف القول اليه

ولعل السبب في اضافة كثير من العصريين القول الى القرآن او الى بعض الايات منه هو ما كان عليه بعضهم من الميل الى قول الجهمية في القرآن انه مخلوق وان الله تعالى لا يتكلم ولا يقول فهم لذلك يقولون قال القرآن كذا ويقول القرآن كذا وقالت الاية كذا وتقول الاية كذا فراراً من ان يقولوا قال الله ويقول الله . ومن لم يكن منهم على رأي الجهمية فهو مقلدلمن كان على رأي الجهمية في العدول عن اضافة القول الى قائله والله اعلم .

فصل

قال الصواف في صفحة ٤٢ وحركة الارض وردت في غير هذه الاية

فيقول المولى سبحانه في سورة النمل (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون) فضرب الله المثل بحركة الارض بمرور الجبال وهي ابرز ما عليها . وليس ذلك في يوم القيامة اذ يقول جل شأنه ان في القيامة لن تكون هناك جبال ففي سورة طه (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) وفي سورة الواقعة (وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا)

والجواب عن هذا من وجهين احدهما ان يقال لم يرد في القرآن ما يدل على حركة الارض بوجه من الوجوه وما زعمه الصواف واشباهه في الآية من سورة النمل وغيرها من الآيات انها تدل على حركة الارض فكله من الالحاد في ايات الله وتحريف الكلم عن مواضعه . وقد قال الله تعالى (ان الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعلمون بصير) وفي هذه الاية تهديد شديد ووعيد اكيد لمن الحد في ايات الله تعالى ووضع كلامه على غير مواضعه

وهلا قرأ الصواف ما قبل الاية وما بعدها حتى يعلم انه لامتعلق له في الاية الكريمة وان ما ذكر فيها من مرور الجبال مثل مر السحاب انما يكون بعد النفخ في الصور لا قبله

وهلا قرأ ايضاً قول الله تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) وقوله تعالى (ان عذاب ربك لواقع . ما له من دافع . يوم تمور السماء مورا . وتسير الجبال سيرا . فويل يومئذ للمكذبين) وقوله تعالى (اذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت . واذا الجبال سيرت) الى قوله « علمت نفس ما احضرت » . وقوله تعالى « ان يوم الفصل كان ميقاتا . يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا . وفتحت السماء فكانت ابوابا . وسيرت الجبال فكانت سرابا » ففي هذه الايات اوضح دليل على ان

تسيير الجبال ومرورهامثل مر السحاب انما يكون يوم القيامة . وقد اوضح الله ذلك في ايات كثيرة من القرآن سوى ما ذكرنا ههنا. وقد ذكرتهامستوفاة في الصواعق الشديدة مع الرد على من استدل بالاية من سورة النمل على حركة الارض وسيرها فلتراجع هناك

الوجه الثاني ان الله تعالى انما ذكر في القرآن مرور الجبال وسيرها ولم يذكر عن الارض مروراً وسيراً ابداً . ولو كان الامر على ما زعمه الصواف واشباهه من اتباع اهل الهيئة الجديدة لنص تبارك وتعالى على سير الارض ومرورها ولم يخص الجبال بالنص دون الارض. وقد قال الله تعالى «مافرطنا في الكتاب من شيء » وقال تعالى « وما كان ربك نسيا »

وتخصيص الجبال بالمرور يدل على ان ذلك خاص بها دون الارض. وقد اوضح الله ذلك بقوله « ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة » وقوله تعالى « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا . فيذرها قاعا صفصفا . لا ترى فيها عوجا ولا امتا »

فصل

قال الصواف في صفحة ٤٢ و ٤٣ ما نصه

كما ورد في القرآن ان الله رب المشرق والمغرب وانه رب المشرقين والمغربين وانه رب المشارق والمغارب . اي ان المشرق والمغرب يختلف يوماً عن يوم فهناك اقصى واقرب مشرقين واقصى واقرب مغربين بينهما مشارق ومغارب . هذا قول القرآن الكريم من الف واربعمائة سنة . فما قول العلم .

كان اول من قال بحركة الارض حول محورها العالم « كوبرنيكس » في

عام ١٥٤٣ اي بعد تاريخ القرآن بالف سنة وقرر ان ما يظهر للناس من حركة الشمس والنجوم انما هو ناتج من دوران الارض . وقد اتهمه رجال الدين عندئذ بالكفر والمروق عن الدين . وتوالت بعد ذلك ابحاث علماء الفلك حتى وصلوا الى ما قرره القرآن الكريم . وليس هناك ابلغ ولا ادق مما يقوله حجة علم الفلك العالم «سيمون» من ان اعظم الحقائق التي اكتشفها العقل البشري في كافة العصور هي حقيقة ان الشمس والكواكب السيارة واقمارها تجري في الفضاء نحو برج النسر بسرعة غير معهودة لنا على الارض يكفي لتصويرها اننا لو سرنا بسرعة مليون ميل يومياً فلن تصل مجموعتنا الشمسية الى هذا البرج الا بعد مليون ونصف مليون سنة من وقتنا الحاضر . أليست هذه احدى معجزات القرآن العلمية

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ان الظاهر من صنيع الصواف حيث ذكر المشرق والمغرب والمشرقين والمغربين والمشارق والمغارب ثم عقب ذلك برأي (كوبرنيكس وسيمون) انه يرى ان المشرق والمغرب والمشرقين والمغربين والمشارق والمغارب للارض لانها هي التي تدور على الشمس على حد زعمهم الكاذب وتقريرهم الفاسد الذي ذكره ههنا عن « كوبرنيكس» وهو ان ما يظهر للناس من حركة الشمس والنجوم انما هو ناتج من دوران الارض . وهذا من قلب الحقيقة ومن الالحاد في آيات الله تعالى وتحريف الكلم عن مواضعه

الوجه الثاني ان يقال ليس في الايات التي ذكر الله فيها المشرق والمغرب والمشرقين والمغربين والمشارق والمغارب ما يدل على حركة الارض ودورانها بوجه من الوجوه وانما هي حجة على من انكر جريان الشمس في الفلك وسيرها من المشرق الى المغرب كل يوم . وسواء من زعم انها ساكنة لا تتحرك اصلا

ومن زعم انها ثابتة على محورها ومتحركة حول هــذا المحور مثل المروحة السقفية الكهربائية . ومن قال انها ومجموعتها تجري في الفضاء بسرعة عظيمة نحو برج النسر. ومن قال انها ونظامها تنهب الفضاء نهباً بسرعةعظيمةمتجهة نحوبرج هركيوليس . فكل هؤلاء متخرصون وضالون عن الحق. وفي الآيات التي اشرنا اليها ابلغ رد عليهم

وقد قال الله تعالى (قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) وقال تعالى (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) الآية . ثم قال تعالى (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) فذكر تبارك وتعالى في الاية الاولى انه يأتي بالشمس من المشرق . واضاف في الآية الثانية والاية الثالثة المطلع والمغرب اليها فدل على ان المراد بالمشرق والمغرب عند الاطلاق مشرق الشمس ومغربها. وكذلك المراد بالمشرقين والمغربين والمشـارق والمغارب . وهذا امر معلوم بالضرورة عند كل عاقل كما انه معلوم بالمشاهدة ايضاً: وقد قرر ذلك المفسرون وأئمة اللغة

قال ابن كثير في تفسير سورة الرحمن عند قوله تعالى (رب المشرقين ورب المغربين) يعني مشرقي الصيف والشتاء ومغربي الصيف والشتاء. وقال في الاية الاخرى (فلا اقسم برب المشارق والمغارب) وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروزها منــه الى الناس . وقال في الاية الاخرى (رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا) وهذا المراد منــه جنس المشارق والمغارب

وقال ايضاً في تفسير سورة الصافات . وقــال تعالى في الاية الاخرى (رب المشرقين ورب المغربين) يعني في الشتاء والصيف للشمس والقمر

وقال ابن منظور في لسان العرب . وقوله تعالى (رب المشرقين ورب المغربين) احد المغـــربين اقصى ما تنتهي اليه الشمس في الصيف والآخر اقصى ما تنتهي اليه في الشتاء . واحد المشرقين اقصى ما تشرق منه الشمس في الصيف واقصى ما تشرق منه في الشتاء . وبين المغــرب الاقصى والمغرب الادنى مائة وثمانون مغــرباً . وكذلك بين المشرقين وفي التهذيب للشمس مشرقان ومغربان فاحد مشرقيها اقصى المطـــالع في الشتاء والاخر اقصى مطالعها في القيظ . وكذلك احد مغربيها اقصى المغارب في الشتاء وكذلك في الجانب الاخر . وقوله جل ثناؤه (فـلا اقسم برب المشارق والمغارب) جمع لانه اريد انها تشرق كل يوم من موضع وتغرب في موضع الى انتهاء السنة . وفي التهذيب اراد مشرق كل يوم ومغربـه فهي مائة وثمانون مشرقاً ومائة وثمانون مغرباً . قـال والغروب غيوب الشمس غربت الشمس تغرب غروباً ومغيربانا غابت في المغرب . وكذلك غرب النجم وغرب انتهى .

الوجه الثالث ان ما ذكره الصواف عن كوبرنيكس وسيمون ليس بعلم كما زعم ذلك في قوله «فما قول العلم» وانما هي تخرصات وظنون كاذبة اوحاها الشيطان اليهم وفتنهم بها وفتن بها اتباعهم والمقـلدين لهم من الجهلة الاغبيـاء الذين لا يسمعون ولا يعقلون (ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا)

وقد قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصغي اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) الايات الى قوله تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعالى (وما

لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا . فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) وقال تعالى (قتل الخراصون. الذين هم في غمرة ساهون) .

الوجه الرابع ان كلام الصواف ينقض بعضه بعضاً فقد ذكر ههنا ان اول من قال بحركة الارض حول محورها « كوبرنيكس » . وذكر في صفحة ٣١ ان بعض الفلكيين في زمن العباسيين قالوا بحركة الارض . وهذا تناقض . والصحيح ما ذكره ههنا . وهذه الاولية بالنسبة لاحياء مذهب فيثاغورس اليوناني بعد ان كان عاطلا مهجوراً من قبل زمان المسيح بنحو مائة وخمسين سنة . واما على الاطلاق فالاولية لفيثاغورس فهو اول من قال بحركة الارض ودورانها حول الشمس .

ومن تناقض الصواف ايضاً انه ذكر في هذا الموضع ان الشمس والكواكب السيارة واقمارها تجري في الفضاء نحو برج النسر بسرعة غير معهودة لنا على الارض . وقال في صفحة ٣٨ ان النظام الشمسي كله ينهب الفضاء نهباً بسرعة متجهة نحو برج هركيوليس . وقال في صفحة ٦١ ان الشمس ثابتة ومتحركة في آن واحد . ثابتة على محورها ومتحركة حول هذا المحور اي دائرة حول نفسها مثل المروحة السقفية الكهربائية . وهذا تناقض عجيب . وقد تقدم التنبيه عليه . وهذه الاقوال المتناقضة كلها باطلة كما هو موضح فيما تقدم وفيما سيأتي ان شاء الله تعالى .

الوجه الخامس ان ما زعمه الصواف من كون « سيمون » حجة في علم الفلك مردود . وكذلك غير « سيمون » من الفلكيين فليس قول احد منهم

وتخرصه حجة على غيره .

وقد اجمع المسلمون على ان الرسول ﷺ هو الحجة .

قال مجاهد ليس احد بعد النبي ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله علية وسلم رواه البخاري في جزء رفع اليدين باسناد صحيح .

واختلف العلماء في قول الصحابي اذا لم يظهر له مخالف منهم . والصحيح انه حجة .

واختلفت الرواية عن الامام احمد رحمه الله تعالى في الاحتجاج بقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى . والصحيح انه ليس بحجة .

واما من سواه من التابعين ومن بعدهم فلا خلاف انه لا حجة في قول احد منهم .

واذا كانت اقوال علماء المسلمين بعد الصحابة ليست بحجة فاقوال فلاسفة الافرنج وتخرصاتهم اولى واحرى ان لا تكون حجة . ولا سيما في الاخبار عن الامور الغيبية التي لا تعلم الا من طريق الوحي فان اقوالهم فيها وتخرصاتهم مردودة عليهم بلا توقف .

الوجه السادس ان يقال من قلب الحقائق وصف هوس « سيمون » وهذيانه بانه من اعظم الحقائق التي اكتشفها العقل البشري في كافة العصور . وكفى بالرجل جهلا وغباوة ان يرى الهوس والهذيان من اعظم الحقائق .

الوجه السابع ان يقال ان العقول البشرية اضعف واعجز من ان تكتشف ما في السماء الدنيا التي بينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام . وهي عن اكتشاف ما هو ابعد من ذلك اضعف واعجز فضلا عن اكتشاف البرج

الذي زعمه « سيمون » في هوسه وهذيانه وحدد بعده الشاسع تحديد من ذهب اليه وقاسه او من كان معه نص عن الله تعالى او عن رسوله صلى الله عليه وسلم يطابق ما قاله .

والتحقيق ان ما قاله « سيمون » هو الجهل والهوس والهذيان الذي يشبه هذيان المجانين . ومع هذا فقد صادف هوسه وهذيانه آذاناً مصغية اليه وقلوباً فارغة من العلم النافع بل منكوسة ترى الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق . ولم يقف اهلها عند هذا الحد بل جعلوا كتاب الله ملعبة لهم يلحدون فيه ويتأولونه على ما يوافق تخرصات المتخرصين وهذيان المبرسمين . عافانا الله واخواننا المسلمين مما ابتلاهم به .

الوجه الثامن ان البروج كلها في السماء الدنيا بنص القرآن قال الله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) وقال تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم) .

قال مجاهد وسعيد بن جبير وابو صالح والحسن وقتادة البروج هي الكواكب العظام . وقال البغوي هي النجوم الكبار مأخوذ من الظهور يقال تبرجت المرأة اي ظهرت . وقال ايضاً وسميت بروجاً لظهورها.

وقال تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد) وقال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) ففي هذه الايات كلها النص على ان الكواكب في السماء . وفي الاية من سورة الصافات وما بعدها النص على انها في السماء الدنيا .

والنسر من جملة الكواكب الثوابت التي قد جعلت زينة للسماء الدنيا. وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة» رواه عن النبي ﷺ اربعة من الصحابة وهم عبدالله بن عمرو وابو هريرة والعباس وابو سعيد رضي الله عنهم. وروي ايضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً وله حكم الرفع كنظائره

وفي الايات التي ذكرنا مع هذه الاحاديث ابلغ رد على ما هذى به «سيمون» في بعد النسر

الوجه التاسع قال بعض السلف ان ارتفاع العرش عن الارض السابعة خمسون الف سنة . ورواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما . ولو كان الامر في بعد النسر على ما زعمه «سيمون» لكان محله فوق العرش وهذا من ابطل الباطل فانه ليس فوق العرش شيء سوى الله تعالى

الوجه العاشر ان الله تعالى قال (وبنينا فوقكم سبعاً شداداً) وقال تعالى (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) وقال تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير)

وقد حكى غير واحد من العلماء الاجماع على ان السموات مستديرة وقرروا ان كل سماء محيطة بالسماء التي تحتها وما حوت . والشمس في السماء بنص القرآن . وسياتي ما يدل على انها في السماء الدنيا . وعلى هذا فالسموات الشداد التي ليس لها فروج وليس فيها فطور قد احاطت بالشمس من كل جانب فليس لها طريق تنفذ منه وتذهب نحو البرج الذي توهمه «سيمون»

بعقله الفاسد

الوجه الحادي عشر ان الله تعالى قال (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً) وقال تعالى مخبراً عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال لقومه (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً . وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) . وفي هذه الايات النص على ان الشمس في السماء

وقد روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أما السماء الدنيا فان الله خلقها من دخان وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وزينها بمصابيح وجعلها رجوماً للشياطين وحفظاً من كل شيطان رجيم »

وروى البيهقي في كتاب الاسماء والصفات باسناد صحيح عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما انه قال « خلق الله سبع سموات وخلق فوق السابعة الماء وجعل فوق الماء العرش وجعل في السماء الدنيا الشمس والقمر والنجوم والرجوم »

وفي الايات التي ذكرنا مع هذين الحديثين ومع ما تقدم في الوجه الثامن من النصوص على ان الكواكب في السماء الدنيا ابلغ رد على ما هذى به «سيمون» في بعد النسر عن الشمس

وعلى هذا فنقول على سبيل الفرض والتقدير لو كان النسر ثابتاً في موضع من السماء لا يزايله ثم سارت الشمس نحوه لوصلت اليه في يوم واحد او أقل من ذلك لانها تقطع الفلك في يوم وليلة وتقطع من كل موضع منه الى ما يقابله من الناحية الاخرى في اثنتي عشرة ساعة . والمسافة بين جرمين يضمهما سماء واحد لا تكون اكثر من نصف الفلك والله اعلم

الوجه الثاني عشر ان يقال ان القرآن منزه عن تخرصات كوبرنيكس وهوس سيمون وهذيانه . وما زعمه الصواف من كون القرآن الكريم قد قرر ذلك وانه من معجزات القرآن العلمية فهو كذب على الله وعلى كتابه . وقد قال الله تعالى (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) وقال تعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب اليم) وقال تعالى (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) وقال تعالى (ان الذين اتخذوا العجل سينا لهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) قال ابو قلابة هي والله لكل مفتر الى يوم القيامة .

واين في القرآن ان للارض محوراً وانها تدور حوله وان ما يظهر للناس من حركة الشمس والنجوم انما هو ناتج من دوران الارض .

واين في القرآن ان للكواكب السيارة اقماراً وان هناك مجموعة شمسية وان الشمس والكواكب السيارة واقمارها تجري في الفضاء نحو برج النسر بسرعة غير معهودة للناس على الارض يكفي لتصويرها اننا لو سرنا بسرعة مليون ميل يومياً فلن تصل مجموعتنا الشمسية الى هذا البرج الا بعد مليون ونصف مليون سنة من وقتنا الحاضر .

اما يستحي الصواف من ايراد هذا الهذيان الذي يضحك منه الصبيان فضلا عن العقلاء .

اما يستحي من الجراءة العظيمة على الله وعلى كتابه .

اما يخاف ان يلحقه الوعيد الشديد الذي توعد الله به المفترين عليه .

الوجه الثالث عشر ان يقال ان تخرصات كوبرنيكس وهوس سيمون ليست من علوم المسلمين ومع هذا فقد ادخلها الصواف في علم الفلك الذي نسبه الى المسلمين . وهذا من اكبر الخطأ واعظم الفرية .

فصــــل

وقـد ساق الصواف في صفحة ٤٤ ومــا بعـدها الى صفحة ٥٤ كلاما للالوسي • وقد استوفيت الرد عليه في الصواعق الشديدة فليراجع هناك •

وقد ادخل فيه الصواف في صفحة ٥٢ جملة ليست منه ولم ينبه على ذلك. وهذا من عدم الامــانة في النقل . وهذه الجملة هي قوله « بل هناك شموس واقمار لكل كوكب ارضي او سماوي .

والجواب ان يقال هذا قول باطل لا مستند له سوى التخرصات والظنون الكاذبة . وقد استوفيت الرد على ما زعمه من تعــدد الشموس والاقمار في الصواعق الشديدة في المثال الحادي عشر من الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة فليراجع هناك .

واما قوله لكل كوكب ارضي . فان كان مراده ان الارض لها كواكب مثل السماء فهو قول باطل معلوم البطلان بالضرورة عنــد كل عاقل . وان كان مراده ان الكواكب صنفان بعضها ارضون وبعضها سمـوات كما قد قاله بعض اتباع الافرنج من العصريين فهو ايضاً من ابطل الباطل لان الله تبارك وتعالى قد جعل الكواكب زينة للسماء الدنيا ومصابيح تضيء لاهل الارض ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر . وجعلها ايضاً رجوماً للشياطين كما قال تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظاً من كل شيطان مارد) وقال تعالى (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) وقال تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين. وحفظناها من كل شيطان رجيم) وقال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً) وقال

تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) وقال تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون .

وما كان زينة للسماء ورجوماً للشياطين فليس بسموات ولا ارضين

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ٥٤ ما نصه (وقوف حركة الارض) يقول الحق تبارك وتعالى (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) الله تبارك وتعالى يذكر الناس بهذه الاية من آيات الكون ويخاطبهم وكأنه يقول لهم . اسمعوا وانظروا وتبصروا فلو ان الكرة الارضية توقفت عن دورانها وتعطلت حركتها واصبح نصفها المواجه للشمس نهاراً دائماً لا يبرح فمن يأتيكم بليل تسكنون وتستريحون من عناء النهار غير الله سبحانه وتعالى الذي يقلب الليل والنهار . ولو كان العكس فوقفت حركة الارض وكانت الشمس الى الجهة الاخرى التي تقابلنا وكان علينا الليل سرمدا دائماً فمن يأتينا بضياء غير الله سبحانه وتعالى

والجواب ان يقال ليس للارض حركة كما زعمه الصواف تقليداً لفلاسفة الافرنج ومن يوافقهم ويحذو حذوهم من العصريين . وقد تظافرت الادلة من الكتاب والسنة على سكونها وثباتها واجمع المسلمون على ذلك . وقد ذكرت ذلك مستوفى في اول الصواعق الشديدة فليراجع هناك ففيه رد لما زعمه الصواف من حركة الارض

وأما كلامه في معنى الايتين من سورة القصص فهو من الالحاد في آيات

الله وتحريف الكلم عن مواضعه

وقد نص الله تبارك وتعالى على جريان الشمس في عـدة آيات من القرآن والجريان ضد الثبات والاستقرار . ونص ايضاً على انهـــا تسبح في الفلك . والسبح هو المر السريع نص على ذلك أئمة اللغة.ونص ايضاً على انها هي والقمر بحسبان • ونص ايضاً على انه سخرهما دائبين . والدأب إدامة السير نص على ذلك غير واحد من أئمة اللغة وقرر معناه غـــير واحد من المفسرين . ونص ايضاً على انه ياتي بها من المشرق . ونص ايضاً على طلوعها وغروبها ودلوكها اي زوالها . وفي هذه النصوص اوضح دليل على ان الشمس هي التي تجري وتدور على الارض لقيام معايش العباد ومصالحهم . والنهار هو ضوء الشمس وهو تابع لها يسير بسيرها

وقد نص رسول الله ﷺ على جريان الشمس وطلوعهـــا وارتفاعها وزوالها ودنوها من الغروب وغروبها وانها تذهب بعـد الغروب حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة ثم يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها وانه يقال لها في آخر الزمان ارجعي ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها

ونص ايضاً على انها حبست ليوشع بن نون حـين حاصر القرية حتى فتحها الله عليه

وفي كل ما ذكرنا اوضح دليل على جريان الشمس ودورانها على الارض . وفيه ايضاً ابلغ رد لمـا زعمه الصواف في معنى الايتين من سورة القصص .

وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى في مفتاح دار السعادة . ثم تأمل حـال الشمس في طلوعها وغروبها لاقامة دولتي الليل والنهـار ولولا طلوعها لبطل

امر العالم وكيف كان الناس يسعون في معايشهم ويتصرفون في امورهم والدنيا مظلمة عليهم . وكيف كانوا يتهنون بالعيش مع فقد النور

ثم تأمل الحكمة في غروبها فانه لولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولاقرار مع فرط الحاجة الى السبات وجموم الحواس وانبعاث القوى الباطنة وظهور سلطانها في النوم المعين على هضم الطعام وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء . ثم لولا الغروب لكانت الارض تحمي بدوام شروق الشمس واتصال طلوعها حتى يحترق كل ما عليها من حيوان ونبات . فصارت تطلع وقتاً بمنزلة السراج يرفع لاهل البيت ليقضوا حوائجهم ثم تغيب عنهم مثل ذلك ليقروا ويهدءوا وصار ضياء النهار مع ظلام الليل وحر هذا مع برد هذا مع تضادهما متعاونين متظاهرين بهما تمام مصالح العالم . وقد اشار تعالى الى هذا المعنى ونبه عباده عليه بقوله عزوجل (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون)

وقال ابن القيم ايضاً ثم تأمل الحكمة في طلوع الشمس على العالم كيف قدره العزيز العليم سبحانه فانها لو كانت تطلع في موضع من السماء فتقف فيه ولا تعدوه لما وصل شعاعها الى كثير من الجهات لان ظل احد جوانب كرة الارض يحجبها عن الجانب الاخر وكان يكون الليل دائماً سرمداً على من لم تطلع عليهم والنهار سرمداً على من هي طالعة عليهم فيفسد هؤلاء وهؤلاء فاقتضت الحكمة الالهية والعناية الربانية ان قدر طلوعها من اول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من الافق الغربي ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في اول النهار فيختلف

عندهم الليل والنهار فتنتظم مصالحهم انتهى كلامه رحمه الله تعالى وهو معارض لكلام الصواف ومناقض له .

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ٥٥ ما نصه

وقد ذكر علماء الجيولوجيا والفلك ان الارض بعد انفصالها عن الشمس كانت تدور حول نفسها بسرعة اكبر مما هي عليه الآن . اذ كانت تتم دورتها حول نفسها مرة كل اربع ساعات . فالليل والنهـــار كانا في مجموعهما اربع ساعات فقط . وبتوالي النقص في سرعة دورانها حول نفسها زادت المدة التي تتم فيها دورانها هذا . فزادت مدة الليل والنهار الى خمس ساعات ثم ست حتى وصلت الى اربع وعشرين ساعة وهي التي نحن عليها الآن . وقد اظهر بعض العلماء انه تمكن من احتساب النقص في سرعة دوران الارض فوجد ان هذا النقص يبلغ حوالي ثانية واحدة كل مـائة وعشرين الف سنة . وعليـه فبعد ٤٣٢ مليون سنة ينقص دوران الارض بمقـدار سـاعة وعندئذ يصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة وهكـذا يتوالى النقص ويطـرد طول الليل والنهار وعلى هذا الاساس يقول العلماء ان الارض لا بد ان تقف يومـاً والله اعلم بذلك اليوم . وعند وقوفها يصبح الوجه المقابل للشمس نهاراً دائماً والوجه البعيد عنها ليلا دائماً وهذا ما اشار اليه الرب تبارك وتعالى في كتابه العزيز وما ذكر الناس به من تعاقب الليل والنهار وفضـــل الله على الناس في هذا التعاقب الذي جعل الله الليل فيه سكناً والنهار معاشاً فله الفضل وله الشكر وله الثناء الحسن والحمد لله رب العالمين .

والجواب ان يقال ما ذكره الصواف ههنا عن اهل الجهالة والضلالة من اهل الجيولوجيا والفلك فكلها تخرصات وظنون كاذبة . وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) . ولا يعتمد على مثل هذه الاباطيل ويرى انها حقائق علمية الا من هو من اجهل خلق الله .

ونسبة هذه الجهالات والضلالات الى المسلمين فرية عليهم وقد قال الله تعالى (ان الذين اتخذوا العجل سينا لهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) قال ابو قلابة هي والله لكل مفتر الى يوم القيامة .

فأما ما زعموه من انفصال الارض عن الشمس فجوابه من وجوه . احدها ان يقال ان دعوى انفصال الشيء عن الشيء في الازمان الماضية لا تثبت الا بدليل قاطع من كتاب الله تعالى او مما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ذلك من امور الغيب التي لا تعلم الا من طريق الوحي ولا دليل على ما زعموه من انفصال الارض عن الشمس البتة . وما ليس عليه دليل فهو من الرجم بالغيب وما كان كذلك فحقه ان يطرح ولا يعول عليه وقد قال الله تعالى (ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم) وقال تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) وقال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا) .

الوجه الثاني ان يقال لو كان الامر على ما زعموه من انفصال الارض عن الشمس لكانت الارض مثل الشمس في الحرارة والضياء وكانت تحرق ما يكون على ظهرها ولم يمكن ان يعيش عليها شيء من الحيوانات ولا النباتات. ولما كانت عديمة المماثلة للشمس في الحرارة والضياء دل ذلك على بطلان ما

زعموه من انفصالها عن الشمس .

الوجه الثالث ان يقال ما زعموه من انفصال الارض عن الشمس فهو زعم باطل وظن كاذب مردود بما اخبر الله به من تقدم خلق الارض على خلق السموات وما فيهن . قال الله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) وقال تعالى (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرها قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) .

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض فقال صلى الله عليه وسلم « خلق الله تعالى الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه اربعة (قل ائنكم لتكفرون بالذيخلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين) لمن سأله . قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية القى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم واسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها

في آخر ساعة » .

وروى ابن جرير ايضاً عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال « ان الله بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين في الاحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة » .

وروى ابن جرير ايضاً من طريق السدي عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات) قال ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم ايبس الماء فجعله ارضاً واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين في يومين في الاحد والاثنين وخلق الجبال فيها واقوات اهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وذلك حين يقول (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها)يقول انبت شجرها (وقدر فيها اقواتها) يقول اقواتها لاهلها (في اربعة ايام سواء للسائلين) يقول قل لمن يسالك هكذا الامر (ثم استوى الى السماء وهي دخان) وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض (واوحى في كل سماء امرها) قال خلق في

كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه غيره ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينـــة وحفظاً تحفظ من الشياطين فلما فـرغ من خلق ما احب استوى على العرش فذلك حـين يقول (خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) ويقول (كانتا رتقاً ففتقناهما) .

وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن مجاهد قال خلق الله الارض قبل السماء فلما خلقت ثار منها دخان فذلك قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان) فسواهن سبع سموات بعضهن فوق بعض وسبع ارضين بعضهن فوق بعض .

وقال البغوي في تفسيره عند قوله تعالى (واوحى في كل سماء امرها) قال قتادة والسدي يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجـــومها . وقال مقاتل واوحى الى كل سماءما اراد من الامروالنهيوذلك يوم الخميسوالجمعةانتهى.

وفي الآيات التي ذكرنا مع حديث ابن عباس رضي الله عنهما ومـا ذكـر بعده من الآثار عن الصحابة والتابعين دليل على ان الارض خلقت قبل السماء وما فيها من الشمس والقمر والنجوم . بل في حديث ابن عبـاس رضي الله عنهما النص على ان الشمس والقمر والنجوم خلقت يوم الجمعة وهو آخر الايام الستة التي خلق الله فيها الخليقة . وفي هذا ابلغ رد على مـا زعمـه طواغيت الافرنج من انفصال الارض عن الشمس لان المتقدم في الخلق لايكونمنفصلا عما هو مخلوق بعده.ثم ليس في المعقول الصحيح ما يؤيد ما زعموه من انفصال الارض عن الشمس فليس لهم على مـا زعموه من الانفصال دليـل البتة لا من المنقول ولا من المعقول

وأما ما زعموه من سرعة دوران الارض حول نفسها في اول الامر وان مدة الليل والنهار اذ ذاك كانت اربع ساعات فقط وبتوالي النقص في سرعة دورانها حول نفسها زادت مدة الليل والنهار الى خمس ساعات ثم الى ست حتى وصلت الى اربع وعشرين ساعة .

فجوابه من وجوه احدها ان يقال ما زعموه من دوران الارض حول نفسها فهو زعم باطل وظن كاذب مردود بالادلة الكثيرة من الكتاب والسنة واجماع المسلمين على سكون الارض وثباتها . وقد ذكرت ذلك مستوفى في اول الصواعق الشديدة فليراجع هناك

الوجه الثاني ان دعوى قصر مدة الليل والنهار في اول الامر ثم زيادتها شيئاً فشيئاً حتى وصلت الى اربع وعشرين ساعة لا تثبت الا بدليل قاطع من كتاب الله تعالى او مما ثبت عن رسول الله ﷺ لان ذلك من امور الغيب التي لا تعلم الا من طريق الوحي . ولا دليل على ما زعموه من قصر مدة الليل والنهار في اول الامر ثم زيادتها شيئاً فشيئاً البتة . وما ليس عليه دليل فهو من الرجم بالغيب . وتعاطي علم المغيبات حرام شديد التحريم . ومن ادعى علم الغيب فهو من رؤوس الطواغيت . ومن صدقه فهو ممن آمن بالطاغوت

الوجه الثالث ان ما توهموه بعقولهم الفاسدة من قصر مدة الليل والنهار في اول الامر ثم زيادتها شيئاً فشيئاً مردود بقول النبي ﷺ في خطبته في حجة الوداع « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض » الحديث رواه الامام احمد والشيخان من حديث ابي بكرة رضي الله عنه

ورواه ابن جرير والبزار من حديث ابي هريرة رضي الله عنه

ورواه ابن جرير ايضاً وابن مردويه والطبراني في الاوسط من حديث ابن عمر رضي الله عنهما . قال الهيثمي ورجال الطبراني ثقات

قال الجوهري الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره . وكذا قال ابن منظور في لسان العرب وصاحب القاموس

وقال ابن الاثير وابن منظور ايضاً الزمان يقع على جميع الدهر وبعضه

وفي هذه الاحاديث دليل على ان الزمان في عهد النبي ﷺ كان مثل الزمان يوم خلق الله السموات والارض وان مدة الليل والنهار كانت على هيئتها من اول الدنيا ولم تكن قصيرة في اول الامر ثم زادت شيئاً فشيئاً كما قد زعمه اعداء الله من فلاسفة الافرنج

الوجه الرابع ان النبي ﷺ قال « يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة » الحديث رواه ابو داود والنسائي والحاكم باسانيد صحيحة من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه المنذري والذهبي على ذلك

وروى الحافظ ابو يعلى عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان يوم الجمعة وليلة الجمعة اربعة وعشرون ساعة » الحديث

وروى الطبراني في الكبير عن ابن مسعود رضي الله عنه قال « ان ربكم تعالى ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات والارض من نور وجهه وان مقدار يوم من ايامكم عنده ثنتي عشرة ساعة » الحديث

وهذه الاحاديث مطلقة ليس فيها تقييد بالازمان المتاخرة دون الازمان المتقدمة . وهذا يدل على ان مدة الليل والنهار كانت اربعاً وعشرين ساعة

من اول الدنيا ولم تكن قصيرة في اول الامر ثم زادت شيئاً فشيئاً كما قد زعمه اعداء الله من فلاسفة الافرنج اعتماداً على ظنونهم الكاذبة وتوهماتهم الخاطئة

وأما قوله وقد اظهر بعض العلماء انه تمكن من احتساب النقص في سرعة دوران الارض فوجد ان هذا النقص يبلغ حوالي ثانية واحدة لكل مائة وعشرين الف سنة . وعليه فبعد ٤٣٢ مليون سنة ينقص دوران الارض بمقدار ساعة وعندئذ يصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة وهكذا يتوالى النقص ويطرد طول الليل والنهار

فجوابه من وجوه احدها ان تسميته للطواغيت المتعاطين لعلم الغيب باسم العلماء خطأ كبير وهو من قلب الحقائق لان المطابق لحال اعداء الله ان يوصفوا بالجهل والتخرص واتباع الظنون الكاذبة لا بالعلم .

الوجه الثاني ان يقال كل ما زعموه ههنا من حساب النقص في سرعة دوران الارض وما يبلغ النقص في مائة وعشرين الف سنة وما يبلغ بعد ٤٣٢ مليون سنة وما يبلغ مجموع ساعات الليل والنهار حينئذ فكله تخرص ورجم بالغيب . وهو مردود على قائليه وعلى من قبل تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة واعتمد عليها . وقد قال الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) وقال تعالى (قتل الخراصون) .

الوجه الثالث ان النبي ﷺ قال « بعثت والساعة كهاتين » رواه الامام احمد والشيخان من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الابهام « بعثت والساعة كهاتين » وفي رواية للبخاري « بعثت انا والساعة كهاتين » ويشير باصبعيه فيمدهما وفي رواية لاحمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مثلي ومثل الساعة

كهاتين » وفرق بين اصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام ثم قال « مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان» ثم قال « مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشي ان يسبق ألاح بثوبه اتيتم اتيتم » ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « انا ذلك » .

وروى الامام احمد ايضاً والشيخان وابو داود الطيالسي والترمذي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت انا والساعة كهاتين » زاد مسلم قال شعبة وسمعت قتادة يقول في قصصه كفضل احداهما على الاخرى فلا ادري اذكره عن انس او قاله قتادة وفي رواية له عن معبد وهو ابن هلال عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت انا والساعة كهاتين » قال وضم السبابة والوسطى .

وروى البخاري ايضاً وابن ماجه واللفظ له عن ابي هريرة رضي اللهعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت انا والساعة كهاتين » وجمع بين اصبعيه .

وروى الامام احمد ومسلم وابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول « بعثت انا والساعة كهاتين » ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى .

وروى الترمذي عن المستورد بن شداد الفهري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بعثت انا في نفس الساعة فسبقتها كما سبقتهذههذه» لاصبعيه السبابة والوسطى .

قال الحافظ ابن حجر قوله في نفس بفتح الفاء وهو كناية عن القرب اي بعثت عند نفسها انتهى .

وروى الامام احمد باسناد صحيح عن بريدة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بعثت انا والساعة جميعاً ان كادت لتسبقني » .

وروى الامام احمد ايضاً باسناد حسن عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير باصبعيه ويقول « بعثت انا والساعة كهذه من هذه » .

ورواه ابن جرير ولفظه قال كاني انظر الى اصبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشار بالمسبحة والتي تليها وهو يقول « بعثت انا والساعة كهذه من هذه » وفي رواية وجمع بين اصبعيه السبابة والوسطى .

وفي هذه الاحاديث على اختلاف الفاظها اشارة الى قلة المدة التي بين بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وبين قيام الساعة .

قال عياض وغيره والتفاوت اما في المجاورة واما في قدر ما بينهما ويعضده ـ اي القول الاخير ـ قوله كفضل احداهما على الاخرى .

وقال القرطبي في المفهم حاصل الحديث تقريب امر الساعة وسرعة مجيئها .

وقال البيضاوي معناه ان نسبة تقدم البعثة النبوية على قيام الساعة كنسبة فضل احدى الاصبعين على الاخرى ورجح الطيبي هذا القول ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري .

وقال الحسن البصري بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة : ذكره ابن كثير في تفسيره وقال هو كما قال .

وقال ابن كثير ايضاً بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة لانه خاتم الرسل الذي اكمل الله به الدين واقام به الحجة على العالمين .

وقال البغوي في تفسيره وكان النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة.

وذكر الحافظ بن حجر في فتح الباري عن الضحاك انه قال اول اشراطها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

واذا علم قرب زمن النبي صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة وانها كادت ان تسبقه علم بطلان ما يهذو به طواغيت الافرنج من انه بعد ٤٣٢ مليون سنة ينقص دوران الارض بمقدار ساعة ويصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة وانه هكذا يتوالى النقص ويطرد طول الليل والنهار .

ولا يخفى ان قولهم هذا يعارض قول النبي ﷺ « بعثت انا والساعة كهاتين » وقوله ايضاً « مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان » وقوله ايضاً « بعثت في نفس الساعة » وقوله ايضاً « بعثت انا والساعة جميعاً ان كادت لتسبقني » .

واذا تعارض قول النبي ﷺ وقول غيره من الناس فقول الغير مطرح مردود على قائله كائنا من كان

ولو كان الامر على ما زعمه اعداء الله من طول مدة الليل والنهار بعد ٤٣٢ مليون سنة لما كانت بعثة النبي ﷺ من اشراط الساعة . وفي الاحاديث التي ذكرنا ابلغ رد على هذا التخرص والظن الكاذب

الوجه الرابع ان ما زعمه اعداء الله تعالى من زيادة الليل والنهار مقدار ساعة في كل ٤٣٢ مليون سنة بناء على ما توهموه بعقولهم الفاسدة من نقصان

دوران الارض يقتضي ان يكون قد مضى على الارض ثمانية آلاف وستمائة واربعون مليون سنة منذ خلقت او منذ انفصالها عن الشمس على حد تعبيرهم الخاطيء وظنهم الكاذب. وهذا من الرجم بالغيب

وقد قال الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) وقال تعالى (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله) وقال تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله)

وقد ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف ان آدم عليه السلام عاش الف سنة وكان بينه وبين الطوفان الفان ومائتان واثنتان واربعون سنة وبين الطوفان وبين موت نوح عليه السلام ثلثمائة وخمسون سنة وبين نوح وابراهيم الف واربعون سنة وبين ابراهيم وموسى تسعمائة سنة وبين موسى وداود خمسمائة سنة وبين داود وعيسى الف ومائتا سنة وبين عيسى ومحمد صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين ستمائة وعشرون سنة . فكان من عهد آدم الى محمد ﷺ سبعة آلاف وثمانمائة واثنتان وخمسون سنة على ما ذكره ابن قتيبة . وقد مضى منذ ولد النبي ﷺ الى سنتنا هذه وهي سنة ١٣٨٨ هـ الف واربعمائة واحدى واربعون سنة فيكون منذ خلق آدم الى هذه السنة تسعة آلاف ومائتان وثلاث وتسعون سنة . وهذا يعارض ما تخرص به الفلكيون من طول المدة التي مضت على الارض منذ خلقت الى الآن

وما ذكره ابن قتيبة في تحديد المدة التي كانت منذ خلق آدم الى ان ولد النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما لا ينبغي الجزم به لان ذلك لم يثبت عن

الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي القرمطي اذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وانا واياهم مجمعــــون على رد نواميس الانبياء وعلى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم مدبراً لا نعرفه .

وذكر شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمـــه الله تعالى في رده على الرافضي نحو ذلك ايضاً نقله عن القاضي ابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني.

ورسالة عبيد الله الى القرمطي تسمى عندهم بالبلاغ الاكبر والناموس الاعظم اوصاه فيها بالدعاء الى مذهبهم الخبيث وامره بالاحتفاظ باخوانهم الفلاسفة وهذا مما يدعو كل مسلم الى زيادة البغض للفلاسفة ومقتهم والبعد عنهم.

ولكن الامر قد انعكس في زماننا فصار الانتساب الى الفلسفة مألوفاً عند كثير من المسلمين بل عند كثير من المنتسبين الى العلم فاذا بالغوا في مدح العالم والثناء عليه قالوا هو فيلسوف . وكذلك الكـــلام المشتمل على الحكم يسمونه فلسفة ويجعلون الوصف بذلك تعظيما له وثناء عليه . وهو في الحقيقة تهجين له وعيب وذم لانه ليس للاسلام فلاسفة وليس الفلاسفة من المسلمين . واقل ما يقال في ذلك انه خلاف عرف المسلمين ولغتهم وعدول عن ذلك الى عرف اليونان ولغتهم وذلك نوع من التشبه بهم . وفي الحديث الصحيح « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه الامام احمد وابو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وصححه ابن حبان وقال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية اسناده جيد . وقال الحافظ العراقي اسناده صحيح . وقـــال ابن حجر العسقلاني اسناده حسن . وقد احتج به الامام احمد رحمـــه الله تعالى وذلك يقتضي صحته عنده .

قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمـه الله تعالى وهذا الحديث

اقل احواله انه يقتضي تحريم التشبه بهم وان كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله (ومن يتولهم منكم فانه منهم) انتهى .

وقد قال الله تعالى (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً) وقال تعالى (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة) وقال تعالى (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) وقال تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) .

فسماها الله تعالى حكمة ولم يسمها فلسفة . وكذلك سمى اهلها علماء وأئمة وربانيين واحباراً ولم يسمهم فلاسفة . قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقال تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وقال تعالى (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت) وقال تعالى (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) .

وفي الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » .

فسماها حكمة ولم يسمها فلسفة .

وروى ابو نعيم وغيره عن سويد بن الحارث رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ اثنى على وفد الازد ووصفهم بانهم حكماء علماء ولم يقل انهم فلاسفة.

وفي حديث ابي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وانما ورثوا العلم

فمن اخذه اخذ بحظ وافر» رواه الامام احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي .

واذا كان العلماء ورثة الانبياء فالفلاسفة ورثة اليونان وكان معلمهم الاول ارسطو وزيراً للاسكندر بن فيلبس المقدوني ملك اليونان وكان هو والملك واصحابها مشركين يعبدون الكواكب والاصنام ويعانون السحر . فهذا ميراثهم الذي خلفوه لاتباعهم مع ما تقدم ذكره عنهم قريباً وما لم يذكر فهو اكثر .

واما معلمهم الثاني ابو نصر الفارابي التركي فقد خلف لهم من الميراث انواع الالحان والمعازف .

وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية :

انى يقاوم ذي العساكر طمطم — او تنكلوشا او اخو اليونان
اعني ارسطو عابد الاوثان او — ذاك الكفور معلم الالحان
ذاك المعلم اولا للحرف والثا — ني لصوت بئست العلمان
هذا أساس الفسق والحرف الذي — وضعوا اساس الكفر والهذيان

اذا عرف هذا فما اسفه رأي من رغب عن الاسماء التي اختارها الله لهذه الامة واختارها رسول الله ﷺ وكانت هي المعروفة عنده وعند اصحابه والتابعين لهم باحسان • وعدل الى اسماء اجنبية عن الاسلام واهل الاسلام ولغتهم وعرفهم .

وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى في رده على زنادقة البحرين لما خاطبوا رشيد رضا باسم الفيلسوف

ثم لو سلمنا ان الفيلسوف على عرف الفلاسفه واتباعهم من اهل الكلام

هو محب الحكمة وانه يمدح ويثنى به على العالم المصلح امرشد للعباد لم يكن هذا من عرف اهل الاسلام ولا من لغتهم ولا يمدح به احد من علماء الاسلام لانـه قد كان من المعلوم انه لم يكن يسمى به احد من علماء الصحابة ولا علماء التابعين ولا من بعدهم من الائمة المهتدين والعلماء المصلحين المرشدين ولا اكابر علماء اهل الحديث المجتهدين بل كان هذا الاسم في عرف اهل الاسلام لا يسمي به الا من كان من علماء الفلاسفة ومن نحا نحوهم من زنادقة هذه الامة فكان في الحقيقة ان هذا مما يعاب ويذم به من يسمى بذلك لا مما يمدح ويثنى بـه عليه . ولو اراد هولآء المتنطعون المتعمقون ان ينقلوا هذا عن احد من اهـــل العلم او يذكروه في شيء من دواوين اهل الاسلام لم يجدوا الى ذلك سبيلا البتة .اللهم الا ما يذكر عن اشباه هولآء الهمج الرعاع اتباع كل ناعق . الذين لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق من الفهم . إن هم الا كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

ومما ذكرنا يعلم ان اسم الفيلسوف ليس بمدح وانما هو ذم على الحقيقة وان هذا الاسم هو اللائق بنصير الشرك الطوسي واشباهه مـن ورثـة اليونان . ولا ينبغي ان يسمى به احد من علماء المسلمين .

واما قوله وكان يراقب النجوم والقمر ويرصد حركاتها بمرصد مراغة في مصر .

فجوابه ان يقال ان نصير الشرك الطوسي انما بنى المرصد بمدينة مراغة المعروفة باذربيجان . قال محمد فريد وجدي في دائرة المعارف ولما نبغ نصير الدين الطوسي بنى مرصدا في المراغة بالتركستان انفق عليه الاموال الطائلة وهذا هو الصحيح لا ما توهمه الصواف .

وأما قوله وبعد السنين الطوال طلع على الناس بكتبه الفذة في علم الفلك

فجوابه ان يقال وهو مع ذلك على مذهب اهل الهيئة القديمة في القول بجريان الشمس وثبات الارض . فاي فائدة للصواف من الجعجعة بذكره وذكر غيره من الفلكيين الذين هم على خلاف ما يراه هو واسلافه اهل الهيئة الجديدة من ثبات الشمس ودوران الارض حولها .

وأما قوله ولو اردنا ان نزيد لا تينا بالشيء الكثير الغزير من فعل سلفنا الصالح رحمهم الله ورضي عنهم وارضاهم وحشرنا واياهم مع المتقين الابرار .

فجوابه ان يقال قد ذكر الصواف في مقدمة رسالته في صفحة ١٢ ان ما جمعه في رسالته فهو مما تركه العلماء الاعلام والخلفاء العظام .

فاما علماؤه الذين اشار اليهم فهم اهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج وقد ذكرت قريبا اسماء جملة منهم. وذكرت في اول الكتاب جملة ممن نقل عنهم واعتمد على جهالاتهم وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة وهم جيمس اوثر . ولابلاس . وسيمون . وتوماس جولد . ودونالد مينزل . واللورد افبري . وسبريل هازارد . والبروفيسور شميدت . وارثر فندلاي . وسيمون نيوك واصحاب المرصد الامريكي . والمراصد في ليك . ومونت . ويلسون . وبالومار .

فهولاء كلهم من الافرنج وهم علماء الصواف الذين زعم انهم اعلام .

ومن علمائه ايضا واعلامه الذين اعتمد على تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة جميل صدقي الزهاوي وهو من الجهمية كما تقدم ايضاح ذلك في اول الكتاب

والجهمية كفار كما قد نص على ذلك ائمة السلف . قال شيخ الاسلام ابو

العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى المشهور من مذهب احمد وعامة ائمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن فان قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب . وحقيقة قولهم جحود الصانع وجحود ما اخبر به عن نفسه على لسان رسوله ﷺ بل وجميع الرسل . وقال غير واحد من الائمة انهم اكفر من اليهود والنصارى . وبهذا كفروا من يقول ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة وان الله ليس على العرش وانه ليس له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب ونحو ذلك من صفاته

وقال ايضا نفي الصفات كفر والتكذيب بان الله لا يرى في الآخرة كفر وكذلك ما كان في معنى ذلك كانكار تكليم الله لموسى واتخاذ الله ابراهيم خليلا انتهى

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الامام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبراني

فذكر رحمه الله تعالى ان خمسمائة عالم كفروا الجهمية . وقد ذكر عبدالله بن الامام احمد في كتاب السنة جملة منهم . وكان بعض الائمة يسميهم الزنادقة. وروي عن عبدالله بن المبارك ويوسف بن اسباط وغيرهما من اهل العلم والحديث انهم قالوا اصول اثنتين وسبعين فرقة هي اربع الخوارج والروافض والمرجئة والقدرية . قيل لابن المبارك فالجهمية قال ليست الجهمية من امة محمد ﷺ .

وكلام ائمة السلف في ذم الجهمية وتكفيرهم كثير جدا .

وعن احمد رحمه الله تعالى في تكفير من لم يكفر الجهمية روايتان .

وبالتكفير يقول ابو بكر بن عياش وسفيان بن عيينه وابو زرعة وابو حاتم الرازيان وحكى ابو زرعة وابو حاتم ذلك عمن ادركاه من العلماء في جميع الامصار

ومن علماء الصواف واعلامه ايضا نصير الشرك الطوسي وقد تقدم الكلام فيه قريباً .

ومن علمائه واعلامه ايضا ابو علي ابن الهيثم . وسيأتي الكلام فيه قريباً

ومن علمائه واعلامه ايضا علي بن عبد الرحمن بن يونس المنجم صاحب الزيج الحاكمي وقد ذكر ابن خلكان عنه انه كان قد افنى عمره في الرصد والتسيير للمواليد وانه كان يقف للكواكب . ثم نقل عن الامير المسبحي قال اخبرني ابو الحسن المنجم الطبراني انه طلع معه الى جبل المقطم وقد وقف للزهرة فنزع ثوبه وعمامته ولبس ثوبا نساويا احمر ومقنعة حمراء تقنع بها واخرج عودا فضرب به والبخور بين يديه .

قلت وهذه الافعال كلها من افعال فلاسفة اليونان واتباعهم من الكفرة الذين يعبدون الكواكب ويتقربون اليها بما يرون انه يناسبها من اللباس والبخور والضرب بآلات اللهو .

ومن علمائه واعلامه ايضا طنطاوي جوهري وموسى جار الله . وسياتي ذكر ما نقله عنهما من الهوس والهذيان في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى

واما خلفاؤه الذين زعم انهم عظام فهم الملوك المنحرفون ومنهم المأمون والحاكم العبيدي وبعض بني بويه والسلاجقه وهولاكو وتيمورلنك وحفيده اولغ بيك واشباههم من الملوك المفتونين بالنجوم وعمل الارصاد . فهؤلاء مع من ذكرنا من فلاسفة الافرنج واتباعهم هم السلف الطالح للصواف الذين يترحم عليهم ويسأل الله ان يرضى عنهم ويرضيهم ويحشره واياهم مع

المتقين الابرار .هذا مبلغ علم الصواف وحاصل عقله . وقد قال الله تعالى (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) . ومن اعظم عمى القلب ان يعتقد الشخص في اعداء الله من الكفرة والفجرة الطالحين انهم من السلف الصالحين ويترحم عليهم ويسأل الله تعالى ان يرضى عنهم ويرضيهم ويحشره واياهم مع المتقين الابرار . نعوذ بالله من عمى البصيرة (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنامن لدنك رحمةانك انت الوهاب). اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل .

ولقد احسن الشاعر حيث يقول

يقضى على المرء في ايام محنته   حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

فصل

وقال الصواف في صفحة ٧١ مانصه

يقول علماء الفلك القمر اقرب الاجرام السماوية للارض واقل حجما منها . يدور حول الارض مرة كل شهر . وجاذبية القمر مع جاذبية الشمس هي التي تسبب بقدرة الله المد والجزر في البحر. وقد درس الفلكيون احوال القمر الجغرافية ووصفوها ورسموا لها الرسومات لتبيين جباله واوديته . يقول « اللورد افبري » ان سطح القمر صحاري وقفار تتناهض فيها البراكين الخامدة وجباله ضخمة عظيمة يبلغ ارتفاعها ٤٢ الف قدم بزيادة تقرب من ١٣ الف قدم عن اعلى جبل على سطح الارض. وفوهات البراكين هائلة العظمة يبلغ قطرها ٧٨ ميلا . ويقولون ان جبال القمر اقدم بكثير من سلاسل الجبال الارضية بملايين السنين .

والجواب ان يقال أما قول الفلكيين ان القمر اقرب الاجرام السماوية الى الارض فهو تخرص لا دليل عليه من كتاب ولا سنه . وما لم يكن عليه دليل فليس عليه تعويل .

وأما قولهم ان القمر أصغر حجما من الاجرام السماوية . فهو ايضا من التخرص واتباع الظن الكاذب . وفي القرآن والسنة ما يدل على ان القمر اكبر حجما من الكواكب . قال الله تعالى مخبرا عن مناظرة ابراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه (فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هـذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون)

وفي هذه الايات دليل على ان القمر اكبر من الكواكب فـان اللهتعالى بدأ بذكر الاصغر اولا ثم ثنى بذكر ما هو اكبر منه ثم ذكر ما هو اكبرمنهما

ويدل على ذلك ايضا ما رواه الامام احمد وابو داود والترمذيوابنماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « فضل العالم علىالعابـد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ».

ورواه الدارمي ولفظـه « وان فضل العـالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم » .

وروى ابو نعيم في الحلية عن معـاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه .

وفي تفضيل القمر على سائر الكواكب دليل على انه اكـــبر منها حجما واشد اضاءة .

وايضاً فقد قال الله تعالى (ومن آياته الليل والنهـار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولاللقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون).

وثبت عن النبي ﷺ انه قال « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله » .

وفي النص على ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله تنويه بعظم شأنهما وانهما اكبر من سائر الكواكب .

واما قولهم ان جاذبية القمر مع جاذبية الشمس هي التي تسبب المـــد والجزر في البحر .

فجوابه ان يقال اما الشمس فلا تأثير لها في مد البحر وجزره .

واما القمر فقد جعل الله له خاصية في المد والجـزر . ولم يقم دليل على ان ذلك بسبب الجاذبية .

وللمد والجزر حالتان حالة يومية وحـــالة شهرية كما قد شاهدنا ذلك في الخليج العربي .

فاما الحالة اليومية فانه يمدويجزر في اليوم والليلة مرتين . اذا طلع القمر في اية ساعة من ليل او نهار اذا الماء قد انتهت زيادته . ثم يأخذ في النقص الى ان يتوسط القمر في السماء فحينئذ ينتهي النقصان . فاذا زال القمر عن وسط السماء الى جهة المغرب اخذ الماء في الزيادة الى ان يصل القمـــر الى المغرب فحينئذ تنتهي الزيادة كما كانت عند طلوع القمر فاذا غرب القمر اخذ الماء في النقصان الى ان يتوسط القمر فيما بين المشرق والمغرب فحينئذ ينتهي النقصان

ثم يأخذ الماء في الزيادة الى وقت طلوع القمر فحينئذ تنتهي الزيادة . وهكذا ابداً .

واما الحالة الشهرية فانه يمد ويجزر في الشهر مرتين . اذا كان في اول يوم من الشهر اذا الماء قد انتهت زيادته ثم يأخذ في النقص الى اليوم الثامن فحينئذ ينتهي النقصان ثم يأخذ في الزيادة الى نصف الشهر فاذا انتصف الشهر اذا الزيادة قد انتهت كما كانت في اول يوم من الشهر ثم يأخذ في النقص الى اليوم الثاني والعشرين من الشهر فحينئذ ينتهي النقصان ثم يأخذ في الزيادة الى تمام الشهر فحينئذ تنتهي الزيادة . وهكذا ابدا . حكمة بالغة من حكيم عليم .

واما قوله وقد درس الفلكيون احوال القمر الجغرافية الى آخره .

فجوابه ان يقال كل ما ذكره الفلكيون ههنا عن القمر فهي تخرصات وظنون كاذبة . ومن اين للفلكيين ان يصلوا الى القمر ويدرسوا احواله الجغرافية وهو في السماء بنص القرآن وبين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام بنص الاحاديث الثابتة عن النبي ﷺ فوصول الفلكيين الى القمر مستحيل وظنونهم وتخرصاتهم عما فيه مردودة عليهم .

واما قوله ويقولون ان جبال القمر اقدم بكثير من سلاسل الجبال الارضية بملايين السنين .

فجوابه ان يقال هذا من ابطل الباطل لان الله تعالى قد نص على انه خلق الارض قبل خلق السماء وما فيها فقال تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) وقال تعالى (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها

في اربعة ايام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخـــان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرها قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرهـا وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظـاً ذلك تقدير العزيز العليم) .

وروى ابن جرير عـن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السموات والارض فقال ﷺ « خلق الله تعالى الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخـــراب فهذه اربعة (قل ائنكم لتكفـرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيهـــا اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين) لمن سـأله . قال وخلق يوم الخميس السماء وخـلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والمـلائكة الى ثلاث ساعات بقيت منـه وفي الثانية القى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم واسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في آخر ساعة » .

وفي الآيات التي ذكرنا مع حديث ابن عباس رضي الله عنهما دليل على ان الارض خلقت قبل السماء وما فيها من الشمس والقمـــر والنجوم . بل في حديث ابن عباس رضي الله عنهما النص عـلى ان الشمس والقمـر والنجوم خلقت يوم الجمعة وهو آخر الايام الستة التي خلق الله فيها الخليقة . وفي هذا ابلغ رد على ما يهذو به طواغيت الافرنج من تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة ان في القمر جبالا اقدم من الجبال الارضية بملايين السنين .

وروى ابن جرير ايضاً عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال « ان

الله بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين في الاحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة » .

وروى ابن جرير ايضاً من طريق السدي عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من اصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات) قال ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فارتفع فسما عليه فسماه سماء ثم ايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين في يومين في الاحد والاثنين وخلق الجبال فيها واقوات اهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وذلك حين يقول (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) يقول انبت شجرها (وقدر فيها اقواتها) يقول اقواتها لا هلها (في اربعة ايام سواء للسائلين) يقول قل لمن يسألك هكذا الامر (ثم استوى الى السماء وهي دخان) وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض (واوحى في كل سماء امرها) قال خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه غيره ثم زين السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظا تحفظ من الشياطين فلما فرغ من خلق ما احب استوى على العرش فذلك حين يقول (خلق

السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) ويقـول (كانتا رتقا ففتقناهما) .

وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن مجاهد قال خلق الله الارض قبل السماء فلما خلقت ثار منها دخان فذلك قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان) فسواهن سبع سموات بعضهن فوق بعض وسبع ارضين بعضهن فوق بعض

وقال البغوي في تفسيره عند قوله تعالى (واوحى في كل سماء امرها) قال قتادة يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها .

وقال مقاتل واوحى الى كل سماء مـا اراد من الامر والنهي وذلـك يوم الخميس والجمعة انتهى .

وهذه الاثار تعضد حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور قبلهـــا وتدل على ما دل عليه من تقدم خلق الارض ومـــا فيها من الجبال على خلق السماء وما فيها من الشمس والقمر والنجوم . وفي ذلك رد على من زعم ان في القمر جبالا اقدم من جبال الارض بملايين السنين .

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ٧١ ولقد رصد أسلافنا القمر قبل اهل الشرق والغرب . الى آخر ما نقله من كلام ابن الهيثم في صفحة ٧٣ .

قلت وقد استوفيت الرد على هذه المواضع في آخر الصواعق الشديدة فليراجع هناك .

وقد زعم الصواف في صفحة ٧٣ ان ابن الهيثم عالم مسلم وهذا خطأ ظاهر

فان ابن الهيثم فيلسوف جاهل بالعلوم الشرعية النافعة التي هي العلم على الحقيقة واهلها هم العلماء على الحقيقة . وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واؤلو العلم) وقوله تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق) وقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء)

والفلاسفة ليسوا من المسلمين فضلا عن ان يكونوا من العلماء . قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى ليس الفلاسفة من المسلمين. ونقل عن بعض اعيان القضاة في زمانه انه قيل له ابن سينا من فلاسفة الاسلام فقال ليس للاسلام فلاسفة .

وقد كان ابن الهيثم من اصحاب الحاكم العبيدي وقد ولاه الحاكم بعض الدواوين . وقد تقدم كلام العلماء في تكفير العبيديين وانهم اكفر من المشركين المحاربين من الافرنج وغيرهم واعظم كفرا وردة من كفر اتباع مسيلمة الكذاب ونحوه من الكذابين . ومن تولى شيئا من اعمالهم فهو منهم .وقد قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في جواب له وقد سئل عن المعز بن تميم الذي بنى القاهرة . قال ومما يبين هـــذا ان المتفلسفة الذين يعلم خروجهم من دين الاسلام كانوا من اتباع مفسر بن قابل احد امرائهم وابي علي ابن الهيثم اللذين كانا في دولة الحاكم نازلين قريبا من الجامع الازهر.وابن سينا وابوه واخوه كانوا من اتباعهما انتهى . وفي كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى كفاية في ردما زعمه الصواف من اسلام ابن الهيثم والله اعلم .

فصـــل

ونقل الصواف في صفحة ٧٤ عن ابن باديس انه قال في الشمس انها هي التي ابصرت القمر

والجواب ان يقال بل الله وحده لا شريك له هو الذي جعل الضياء في الشمس والنور في القمر قال تعالى (هـو الذي جعـل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون) وقال تعالى مخبرا عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال لقومه (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) وقال تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا)

فان قيل ان نور القمر مستفاد من نور الشمس فما وجه الاعتراض على ابن باديس .

فالجواب ان يقال ان اسناد الابصار الى الشمس شرك بالله تعالى لان الله تعالى هو الذي جعل الضياء في الشمس وجعله يمتد منها الى القمر وينعكس منه الى الارض . فهذا كله خلق الله وفعله . والواجب في مثل هذا ان يسند الفعل الى الفاعل المختار لا الى المخلوق المربوب المدبر . ومـن اسند شيئا من افعال الله الى غيره فقد اشرك به .

فصـــل

وذكر الصواف في صفحة ٧٤ ما نقله الالوسي عـــن ابن قتيبة في ذكر منازل القمر الثمان والعشرين وعد منها السماك الرامح وليس هو من المنازل واسقط سعود السعود وهو من المنازل .

وهذا غلط اما من الالوسي او ممن قبله من النساخ ويبعد ان يكون ذلك من ابن قتيبة . وقد نبهت على هذا الغلط في آخر الصواعق الشديدة .

وامره ان يتقرب الى كل قوم بما هو معظم عندهم وما تميل أنفسهم اليه من العقائد وغيرها

واذا اضيف الى تعظيم الشمس ما زعموه من كونها مصدر الحياة فذلك زيادة شر الى شر وضم مجوسية الى مجوسية اخرى. وكما ان تعظيم الشمس من شعب المجوسية فهو ايضا من دين اليونان المتقدمين وغيرهم من الصائبين الذين يعبدون الشمس والقمر والنجوم ويزعمون انها تدبر امر العالم .

فينبغي للمسلم ان يبعد غاية البعد عن عقائد المشركين ولا يتعلق بشيء منها فيكون منهم وهو لايشعر . فقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال «من تشبه بقوم فهو منهم» رواه الامام احمد وابو داود من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وصححه ابن حبان وقال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى اسناده جيد وقال الحافظ العراقي اسناده صحيح وقال ابن حجر العسقلاني اسناده حسن . وقد احتج الامام احمد بهذا الحديث وذلك يقتضي صحته عنده .

ومن التخرص واتباع الظن الكاذب ايضا زعمه ان الشمس تفقد اربعة ملايين طن من وزنها في الثانية الواحدة من احتراقها :

والجواب ان يقال لو كان الامر على ما زعمه الصواف لكانت الشمس قد ذهبت منذ دهر طويل وقد قال الله تعالى (قتل الخراصون . الذين هم في غمرة ساهون) .

ومن التخرص واتباع الظن الكاذب ايضا قوله في الشمس ولم تزل تجدد وزنها وحجمها .

والجواب ان يقال ان الشمس مخلوقة مسخرة بامر الله تعالى وليس لها تصرف في نفسها بزيادة ولا نقص وكذلك ليس لها تصرف في غيرها من

المخلوقات ومن زعم انها تجدد وزنها وحجمها فقد جعل لها تصرفا في نفسها وذلك من الشرك في الربوبية .

ومن التخرص واتباع الظن الكاذب ايضا قولهم ان الشمس كرة من الغازات الملتهبة . وما زعموه من تحديد قطرها . وتحديد محيطها وثقلها وحرارة سطحها . وما زعموه من اندلاع ألسنة اللهب منه الى الارتفاع الذي حددوه . وما زعموه من نشرها للطاقات الكثيرة في الفضاء .وان سطحها به عواصف وزوابع كهربائية ومغناطيسية شديدة . وانها لم تزل تشع نفس المقدار من الحرارة منذ ملايين السنين . وان النيازك والشهب التي تسقط على سطحها تعوض الحرارة التي تفقدها بطريق الاشعاع .

فكل هذه تخرصات وظنون كاذبة وقد قال الله تعالى (قتل الخراصون. الذين هم في غمرة ساهون) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون)

فصل

وقد ذكر الصواف في صفحة ٥٨و٥٩و٦٠ اعلانات لبعض الافرنج المعاصرين عن انفجارات حدثت في الشمس في سنة ١٩٥٦ و١٩٥٧ ميلادية . منها ما يعادل القوة الناجمة عن تفجير مليون قنبلة هيدروجينية وانه حدث في منطقة اكبر بكثير من مساحة الكرة الارضية . ومنها ما يعادل انفجار مائة مليون قنبلة هيدروجينية دفعة واحدة .

وهذه كلها تخرصات وهذيانات لا تروج الا على من لا عقل له . وقد ادخلها الصواف في علم الفلك الذي نسبه الى المسلمين وذلك من اكبر الخطأ واعظم الفرية على المسلمين . وقد قـــال الله تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) .

ومن هذا القبيل ما نشر في جريدة الرياض في عدد ١٠٠٩ في يوم الخميس خامس جمادى الثانية سنة ١٣٨٨ هجرية تحت هذا العنوان

(انفجار في الشمس يهدد الارض)

وهذا نص المنشور : ـ

داندي ـ اسكتلنده ـ ٢٨ اغسطس ـ ١ ب: سياتي ذلك اليـــوم المشرق الذي ستنفجر فيه الشمس . وعندما يقرب ذلك اليوم فان الطريق الوحيدة لانقاذ الارض هي ابعادها بعيدا عـن الشمس. هـذا هو رأي الفلكي ايان روكسبرغ الذي تكهن بهذا الانفجار امام المؤسسة البريطانية للتقدم العلمي امس ويقول انه عندما يقترب موعد الانفجار فانه سيكون يوما عظيما للذين يعشقون ان تلفح الشمس جلودهم بالسمرة. وقبيل الانفجار النهائي ستحترق الشمس بسطوع اكثر بعشرة آلاف مرة مما تبدو عليه الآن. وستمدد اربعمائة مرة اكثر من حجمها الحالي وبعدها ستنفجر ويندفع ثلثها الى الفضاء وستكون سرعة الاندفاع عشرين ميلا في الثانية اي «٧٢» الف ميل في الساعة وسيخر كل شيء في طريقه بما في ذلك هذا الكوكب الذي نحن فيه. ولكن متى ينتظر ان ياتي ذلك اليوم الرهيب . يقول روكسبرغ انه بعد خمسة ملايين عام .

انتهى ما نشر في الجريدة من التخرص والهذيان الذي يشبه هذيان المجانين. ولا يروج هذا الهذيان الا على من اضله الله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة .

وقد قال الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون) وقال تعالى (ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله) وقال تعالى (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير) وقال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) الآية .

ومن مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها علم ما يكون في المستقبل . فلا يعلم ما يكون في المستقبل الا الله او من اظهره الله على ذلك من المرسلين كما قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا. الا من ارتضى من رسول) الآية.

وروى الامام احمد والبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت ان الله عليم خبير) .

وروى الامام احمد ايضاً باسناد صحيح عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه .

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة رضي الله عنه في قصة مجيء جبريل الى النبي ﷺ وسؤاله عن الايمان والاسلام والاحسان وعن الساعة نحوه ايضاً .

وفي المسند من حديث ابن عباس رضي الله عنهما نحو ذلك ايضاً .

وروى الامام احمد والبخاري واهل السنن الا النسائي عن خالد بن ذكوان قال قالت الربيع بنت معوذ بن عفراء رضي الله عنها جاء النبي ﷺ يدخل حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر اذ قالت احداهن - وفينا نبي يعلم ما في غد - فقال « دعي هذه وقولي بالذي تقولين » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وزاد ابن ماجه في آخره « ما يعلم ما في غد الا الله » واسناده صحيح على شرط مسلم .

وروى الامام احمد والبخاري ايضاً عن مسروق قال قلت لعائشة رضي الله عنها يا ام المؤمنين هل رأى محمد ﷺ ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب) ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) ومن حدثك انه كتم فقد كذب ثم قرأت (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك) الآية ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين .

ورواه مسلم ولفظه مسروق قال كنت متكئاً عند عائشة رضي الله عنها فقالت يا ابا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية - فذكر الحديث وفيه - قالت ومن زعم انه يخبر بما يكون في غد فقد اعظم على الله الفرية والله يقول (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله) .

وفي الآيات والاحاديث التي ذكرنا ابلغ رد على من زعم انه يعلم ما يكون في المستقبل .

واذا كان اشرف المرسلين صلوات الله وسلامه عليه لا يعلم ما يكون في غد فغيره من الناس اولى ان لا يعلموا ذلك.

وعلى هذا فمن زعم انه يعلم ما يكون في المستقبل فهو من رؤوس الطواغيت لكونه قد نازع الله فيما استأثر به من علم الغيب ومن نازع الله في خصائصه فهو طاغوت شاء ام ابى . ومن صدقه فيما يقول فهو ممن آمن بالطاغوت شاء ام ابى .

ومن زعم انه يعلم ما يكون بعد ملايين السنين فهو شر ممن زعم انه يعلم ما يكون في غد القريب .

وقد قال الله تعالى (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) وقال تعالى (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) اي يجرون فيه ويسيرون بسرعة. وقال تعالى في اربعة مواضع من القرآن (وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى) قال البغوي وغيره اي الى وقت معلوم وهو فناء الدنيا .

فالشمس لا تزال جارية سابحة في فلكها الذي جعلها الله فيه ما دامت الدنيا فاذا كان يوم القيامة ادنيت من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل وزيد في حرها كما جاءت بذلك الاحاديث عن النبي ﷺ . ثم بعد ذلك تكور في النار كما قال تعالى (اذا الشمس كورت) .

وروى ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « يكور الله

الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحا دبورا فيضرمها نـــارا » .

وكذا ذكر البغوي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال ابن كثير وكذا قال عامر الشعبي .

قلت ويشهد لهذا الاثر مارواه البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « الشمس والقمر مكوران يوم القيامة » .

ورواه البزار باسناد صحيح على شرط مسلم ولفظه « ان الشمس والقمر ثوران عقيران يوم القيامة » .

وروى الحافظ ابو يعلى عن انس رضي الله عنه عن النبي ﷺ مثله .

وروى ابن ابي حاتم عن الشعبي انه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول «وان جهنم لمحيطة بالكافرين» وجهنم هو هذا البحر الاخضر تنتثر الكواكب فيه وتكور فيه الشمس والقمر ثم يوقد فيكون هو جهنم »

فهذه نهاية الشمس يوم القيامة لا ماتخرصه عدوا الله ايان روكسبرغ من انفجارها وزيادة سطوعها وتمدد حجمها واندفاع بعضها الى الفضاء وسرعة اندفاع المندفع منها وانه سيخر كل شيء في طريق ذلك المندفع منها ومن ذلك الارض . فهذا كله من زخرف القول الذي اوحاه اليه شيطانـه كما قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون. ولتصغى اليه افئدة الـــذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون)

وفي هذه الاكذوبة التي افتراها ايان روكسبرغ التصريح بانه قد تكهن بما زعمه من انفجار الشمس . والكهانة من امور الجاهلية التي قد ابطلها الاسلام . والكهان هم الذين تنزل عليهم الشياطين كما قال تعالى (هل انبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل افاك اثيم .يلقون السمع واكثرهم كاذبون) قال قتادة هم الكهنة . وقال ابن كثير على قوله تعالى(تنزل على كل افاك اثيم) اي كذوب في قوله وهو الافاك . اثيم وهو الفاجر في افعاله فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة انتهى.

ومن اعظم المصائب التي اصيب بها كثير من المسلمين تلقيهم لاكاذيب اعداء الله تعالى وتخرصاتهم بالقبول ومقابلتها بالرضا والتسليم ونشرها في كتبهم وجرائدهم وتمسكهم بها اعظم مما يتمسكون بنصوص الكتاب والسنة وزعمهم ان ذلك من تقدم العلم . وهذا من تلاعب الشيطان بهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وقد ورد التشديد في اتيان الكهان وتصديقهم وان ذلك من الايمان بالجبت والطاغوت . وقد ذكرت ذلك مستوفى في اول الكتاب فليراجع.

واما زعمهم ان التكهن بانفجار الشمس من التقدم العلمي فهو من قلب الحقيقة . والصواب المطابق للحقيقه ان ذلك من تقدم الجهل وظهوره كما اخبر بذلك رسول الله ﷺ في قوله « من اشراط الساعة ان يقل العلم ويظهر الجهل » متفق عليه من حديث انس بن مالك رضي الله عنه .

وأما قوله وعندما يقرب ذلك اليوم فان الطريق الوحيدة لانقاذ الارض هي ابعادها بعيداً عن الشمس .

فجوابه ان يقال هذا من اسمج الهذيان والهوس ولا يتفوه بمثل هـذا الهذيان عاقل ابدا .

ومن هو الذي يقدر على زحزحة الارض من موضعها سوى الله تعالى . ولو اجتمع الاولون والآخرون من الجن والانس لما قدروا على زحزحة اكمة من الآكام عن موضعها فضلا عن الجبل العظيم فكيف بالارض .

وقد جاء في عدة احاديث صحيحة ان الشمس تدنى يوم القيامة مـن الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل وفي بعضها التصريح بانها تدنى من الارض فتصهر الناس ويتضررون منها ولا يضر ذلك الارض شيئا . وكذلك قـد جاء في الاحاديث والآثار التي تقدم ذكرها قريبا ان الشمس والقمر يكوران يوم القيامة في البحر وتنتـثر الكواكب فيه ولا يؤثر ذلك في الارض ولا تتزحزح من موضعها فضلا عن ان تخر منه .

واما تسميته الارض كوكبا فهو خطأ وضلال . وقد استوفيت الرد على هذا القول الباطل في الصواعق الشديدة فليراجع هناك .

وأما قوله ان ما هذى به من الانفجار يكون بعد خمسة ملايين عام. فهو مردود بقول الله تعالى « اقتربت الساعة » وقوله تعـالى « اقترب للناس حسابهم » وقوله تعالى « وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً »

وقد ثبت عن النبي ﷺ من عدة اوجه انـه قال « بعثت انا والساعة كهاتين » وضم السبابـة والوسطى . وفي رواية « مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان » وفي رواية « بعثت انا في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه » لاصبعيه السبابة والوسطى .

قال الحافظ ابن حجر قوله في نفس بفتح الفاء وهو كناية عن القرب اي بعثت عند نفسها انتهى

وفي رواية « بعثت انا والساعة جميعاً ان كادت لتسبقني » .

وفي هذه الاحاديث اشارة الى قلة المدة التي بين بعثة رسول الله ﷺ وبين قيام الساعة . ولهذا قال الحسن البصري بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة . ذكره ابن كثير في تفسيره وقال هو كما قال .

وقال البغوي في تفسيره وكان النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة وكذا قال ابن كثير بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة .

وذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري عن الضحاك انه قال اول اشراطها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم .

واذا علم قرب زمان النبي صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة وانها كادت ان تسبقه علم بطلان ما هذى به روكسبرغ من الانفجار الذي يكون في الشمس بعد خمسة ملايين عام . ولا يخفى ان قوله هذا يعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم « بعثت انا والساعة كهاتين » وقوله ايضاً « مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان » وقوله ايضاً « بعثت في نفس الساعة » وقوله ايضاً « بعثت انا والساعة جميعاً ان كادت لتسبقني » .

واذا تعارض قول النبي صلى الله عليه وسلم وقول غيره من الناس فقول الغير مطرح مردود على قائله كائناً من كان .

وفي الاحاديث التي ذكرنا ابلغ رد على تخرص روكسبرغ وهذيانه لما دلت عليه من قرب قيام الساعة .

واذا كان يوم القيامة لم تبق الشمس على حالها في الدنيا بل تكور ويذهب ضوؤها كما دل على ذلك الكتاب والسنة .

فصل

وقال الصواف في صفحة ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ ما نصه .

(سكون الشمس وجريانها) والقول بجريانها وسيرها او ثبوتها وقرارها قد سبق اليه العلماء الاعلام ممن اشتغل بهذا العلم من المسلمين في القديم والحديث وغيرهم .اما القول بثبوتها وقرارها كما يثبت الجبل في محله والسهل في مكانه فلم يقل به احد فيما نعلم . والذين قالوا بقرارها قالوا هي ثابتة ومتحركة في آن واحد . ثابتة على محورها الذي ارساها الله لها ومتحركة حول هذا المحور اي هي دائرة حول نفسها ومثلها مثل المروحة السقفية الكهربائية فهي ثابتة في سقفها وهي متحركة حول نفسها وبحركتها ينطلق الهواء المطلوب . وهؤلاء استدلوا بقوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) وفسروا المستقر بالمحور وقد قال بمثل هذا القول رجال من سلف هذه الامة الخيار وهم من خير العصور بل هم من العصر الاول الذي هو خير العصور فقد ورد عن التابعي المشهور مجاهد رحمه الله انه قال في تفسير قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) انه كحسبان الرحى وتبعه على ذلك بعض العلماء. وهذا يوافق قول من قال انها تجري حول نفسها . وهل يجد القاريء الكريم فرقاً بين المثل الذي ضربته وهو المروحة حيث تتحرك وهي ثابتة وبين ما قاله مجاهد ومثله بالرحا حيث تتحرك كذلك حول نفسها وهي ثابتة بمكانها ، وقد ذكر قول مجاهد هذا الامام البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب بدأ الخلق حيث قال.باب صفة الشمس والقمر . بحسبان قال مجاهد كحسبان

الرحا . وقال غيره بحساب ومنازل لا يعدوانها . وحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان . قال الحافظ بن حجر في فتح الباري عنـد هذه الترجمة ما نصه . قوله قال مجاهد كحسبان الرحى وصله الفريابي في تفسيره من طريق ابن ابي نجيح عن مجاهد . ومراده انهما يجـريان على حساب الحركة الرحوية الدورية وعلى وضعها . قال وقال غيره حساب ومنازل لا يعـدوانها . ووقع في نسخة الصغاني عن ابن عباس . وقد وصله عبد بن حميد من طريق ابي مالك وهو الغفاري مثله . وروى الحربي والطبري عـــن ابن عباس نحوه باسناد صحيح وبه جزم الفراء انتهى .

ونقل هذا المعنى عن مجاهد جماعة من المفسرين الكبار الائمه منهم الامام ابو جعفربن جرير والامام ابو عبد الله القرطبي وغيرهما كما نقل عن مجـاهد رحمه الله وجه آخر يخالف هذا الوجه وذلك فيما رواه عنه الامام ابو جعفر ابن جرير في تفسيره حيث قال عند تفسير قوله جل وعلا في سورةالانعام (والشمس والقمر حسبانا) حدثنا القاسم قـال حدثنا الحسين قـال حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد (والشمس والقمر حسبانا) قال هـو مثل قوله (وكل في فلك يسبحون)ومثل قوله (الشمس والقمر بحسبان) انتهى وقال ابن حبان في تفسيره البحر المحيط قال مجاهد الحسبان الفلك المستدير شبهه بحسبان الرحى وهو العود المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة ونقل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن ابي الحسين احمد بن جعفر بن المنادي وابي محمد بن حزم وابي الفرج ابن الجوزي انهم حكوا الاجماع على ان الافلاك مستديرة . كما ذكرنا ذلك سابقاً .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ان العلمـــاء الاعلام من

الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان الى زماننا كلهم مجمعون على القول بجريان الشمس في الفلك تصديقاً لما اخبر الله به في كتابه وما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة . ولم يقل احد منهم بثبات الشمس واستقرارها لا في القديم ولا في الحديث . والعبرة بهم لا بغيرهم .

ومن حاد عن منهاج الصحابة والتابعين من الفلكيين وغيرهم فهو من الجهال لا من العلماء ولا عبرة به .

الوجه الثاني ان يقال ان الذين سبقوا الى القول بثبات الشمس واستقرارها هم فيثاغورس اليوناني واتباعه في القديم . وكوبرنيك البولوني وهرشل الانكليزي واتباعهما من فلاسفة الافرنج في الحديث وهؤلاء ليسوا من المسلمين فضلا عن ان يكونوا من العلماء الاعلام .

وزعم الصواف انهم من المسلمين ومن العلماء الاعلام لا اساس له من الصحة وانما هو تمويه وتلبيس على الجهلة الاغبياء .

الوجه الثالث ان الصواف قد جمع في كلامه بين النقيضين فقال في الترجمة ما نصه (سكون الشمس وجريانها) وهذا تناقض لا يصدر من عاقل لان السكون ينافي الجريان .

الوجه الرابع ان كلام الصواف يوهم ان الفلكيين المنتسبين الى الاسلام في القديم كانوا يقولون بثبات الشمس واستقرارها وهذا كذب عليهم لان الفلكيين قبل ظهور اهل الهيئة الجديدة كانوا على القول بثبات الارض واستقرارها وجريان الشمس وسيرها . واول من قال بخلاف ذلك هو كوبرنيك البولوني في اثناء القرن العاشر من الهجرة وتبعه على ذلك من كان بعده من فلاسفة الافرنج . ولما كان في القرن الرابع عشر من الهجرة كثر المقلدون

لاهل الهيئة الجديدة من العصريين المنتسبين الى العلم فخالفوا ما جاء في كتاب الله وما صح عن رسول الله ﷺ وما اجمع عليه المسلمون. ولا عبرة بهؤلاء العصريين المفتونين بآراء الافرنج وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة . وكما انه لا يعتد باقوال اعداء الله في شيء من المسائل العلمية فكذلك لا يعتد باقوال اتباعهم ومقلديهم بطريق الاولى ولو كانوا من المسلمين .

الوجه الخامس ذكر الالوسي في صفحة ٢٩ من كتابه الذي سماه « ما دل عليه القرآن . مما يعضد الهيئة الجديدة » ان اصحاب الزيج الجديد ذهبو الى ان الشمس ساكنة لا تتحرك اصلا وانها مركز العالم وان الارض وكذا سائر السيارات والثوابت تتحرك عليها . وهذا يرد قول الصواف ان القول بثبات الشمس واستقرارها كما يثبت الجبل في محله لم يقل به احد .

الوجه السادس انه لم يجيء في كتاب الله تعالى ولا عن النبي ﷺ قط ان للشمس محورا تدور عليه . ومن اثبت للشمس او غيرها من الاجرام العلوية مالم يخبر الله به ولا رسوله ﷺ فهو متخرص متبع للظن . وقد قال الله تعالى « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون » .

والعلم ما جاء في كتاب الله تعالى وما ثبت عن النبي ﷺ قال الله تعالى (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالى (ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقال تعالى (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى) .

الوجه السابع ان القول بثبات الشمس على محورها ودورانها حول نفسها

وتمثيلها بالمروحة السقفية الكهربائية ينافي ما اخبر الله بهمن جريانها وسبحها في الفلك ودؤوبها في ذلك . وما اخبر به من طلوعهاوغروبها ودلوكها وانه ياتي بها من المشرق . وما اخبر به رسول الله ﷺ من جريانها وذهابها الى مستقرها تحت العرش اذ اغربت ورجوعها الى مطلعها وطلوعها وارتفاعها واستوائها وزوالها ودنوها للغروب وغروبها وحبسها ليوشع بن نون حين حاصر القرية حتى فتحها الله عليه . وقد ذكرت الآيات والاحاديث الدالة على جريان الشمس في اول الصواعق الشديدة فلتراجع هناك .

وقد قال النبي ﷺ لابي ذر رضي الله عنه حين غربت الشمس «تدري اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) رواه الامام احمد وابو داود الطيالسي والشيخان والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح

وفي رواية لمسلم ان رسول الله ﷺ قال يوماً (اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال ان هذه تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لايستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي الى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارجعي ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها » .

وهذا الحديث الصحيح صريح في بيان المراد من قول الله تعالى «والشمس تجري لمستقر لها» وفيه الرد على من تاول الآية على غير تاويلها .

الوجه الثامن قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى من فسر القرآن والحديث وتاوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه انتهى

ومن الافتراء على الله والالحاد في آياته وتحريف الكلم عن مواضعه تفسير المستقر بالمحور الذي تدور عليه الشمس على حد زعمهم الباطل . ومخالفة ما ثبت عن النبي ﷺ في تفسير قول الله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) الآيه . وقد تقدم حديث ابي ذر رضي الله عنه في ذلك وفيه كفاية في الرد على من فسر المستقر بالمحور .

الوجه التاسع ان تفسير المستقر بالمحور الذي تدور عليه الشمس وهي ثابتة في موضعها كما تدور المروحة السقفية الكهربائية خطأ مردود من وجهين

احدهما ان الذي يجري لا يثبت في موضعه بل يفارقه بالانتقال الى غيره كما قال الله تعالى مخبرا عن سفينة نوح عليه الصلاة والسلام (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم . وهي تجري بهم في موج كالجبال) الآيات الى قوله تعالى (واستوت على الجودي) الآية ففرق تبارك وتعالى بين جري السفينة في الماء وبين رسوها واستوائها على جبل الجودي .

وقال تعالى « ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام. ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره » ففرق سبحانه وتعالى بين جري السفن في الماء وبين ركودها على ظهر البحر وهو وقوفها وسكونها عليه .

وقال تعالى (ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها) الآية . والايات في هذا المعنى كثيرة جداً .

ثانيها ان الذي يدور على محوره مع ثباته في موضعه لا يوصف بالجريان وانما يوصف بالدوران فقط . والله تبارك وتعالى قد وصف الشمس بصفات لا تنطبق على ما هو ثابت في موضعه ودائر على محوره فوصفها بالجريان والدؤوب في ذلك والسبح في الفلك والطلوع والغروب والدلوك والتزاور . واخبر انه يأتي بها من المشرق . وكذلك الرسول ﷺ قد وصفها بالجريان والطلوع والارتفاع والاستواء والزوال والدنو من المغرب والغروب والذهاب الى مستقرها تحت العرش اذا غربت ورجوعها بعد ذلك الى مطلعها . واخبر انها حبست ليوشع بن نون حين حاصر القرية حتى فتحها الله عليه . وهذه الصفات لا تنطبق على ما هو ثابت في موضعه ودائر على محوره كالمروحة السقفية الكهربائية وانما تنطبق على ما هو سائر على الدوام .

وبما ذكرنا يتضح بطلان ما حاوله المقلدون لاهل الهيئة الجديدة من حمل الاية الكريمة على زعمهم الباطل .

وههنا امران ينبغي التنبيه عليهما . احدهما ان لفظ الدوران لفظ مشترك لانه يطلق على ما يدور على نفسه وهو ثابت في موضعه كالمراوح الكهربائية . ويطلق على ما يجري ويدور في شيء متسع جداً كالشمس والقمر والنجوم التي تجري في الفلك وتدور على الارض . فمن جعل جريانها في الفلك ودورانها على الارض مثل دوران المراوح الكهربائية فقد غلط غلطاً فاحشاً . ومن فرق بينها وبين ما يدور على نفسه وهو ثابت في موضعه فقد اصاب .

الامر الثاني ان الموصوفات بالجريان او الدوران على ثلاثة اضرب .

الاول ما يوصف بالجريان فقط كالرياح والسفن والخيل والانهار والعيون وغيرها مما يجري في جهة او جهات غير مستديرة.

الثاني مـا يوصف بالدوران فقط كالمراوح الكهـربائية التي تدور وهي ثابتة في مواضعها .

الثالث ما يجري في شيء مستدير فهو بهذا يجمع بين الجريان والدوران كالشمس والقمر والنجوم فانها تجري في الفلك - والفلك مستدير بالاجماع - وتدور على الارض فمن اجل كونهـا تجري في الفلك توصف بالجريان كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة من القرآن . ومن السنة ايضاً في جـريان الشمس . ومن اجل كونها تدور على الارض في فلك مستدير تقطعة في كل يوم وليلة توصف بالدوران كما قال ذلك من قاله من السلف كمجاهد وغيره .

ونظير ذلك الطائف بالكعبة فانه يجمع بين المشي والدوران على الكعبة وكما لا يقول عاقل ان الطائف بالكعبة انمـا يوصف بالدوران على نفسه فكذلك لا يقول عاقل ان الشمس والقمر والنجوم انما توصف بالدوران فقط كما تدور المراوح الكهربائية .

الوجه العاشر ان الصواف اخطأ خطأ كبيرا على مجـاهد وغيره من الرجال الذين اشار اليهم بقوله « وقد قال بمثل هـذا القول رجال من سلف هذه الامة الخيار وهم من خير العصور بل هم من العصر الاول الذي هو خير العصور » .

وهذا كذب على مجاهد وغيره ممن اشار اليهم في كلامه هذا . فلم يقل احد

من الصحابة الذين هم خير العصور ولا التابعين ولا تابعيهم باحسان ولا أئمة العلم والهدى من بعدهم ان الشمس ثابتة وانها تدور حول نفسها كما تدور المروحة السقفية الكهربائيه . وان مستقرها هو محورها الذي تدور عليه . ومن زعم ان احداً منهم قال بهذا القول الباطل فهو مفتر اثيم . وقد قال الله تعالى (ان الذين اتخذوا العجل سينا لهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) قال ابو قلابة هي والله لكل مفتر الى يوم القيامة .

وقد سبق للصواف ان اورد آيات من القرآن وألحد فيها حيث تأولها على غير تأويلها وحملها على ما هو مفتون به من آراء الافرنج وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة . ومن كان جريئاً على الالحاد في آيات الله وتحريف الكلم عن مواضعه فغير مستبعد منه ان يفتري على مجاهد وغيره من السلف الصالح ويقول عليهم ما لم يقولوه ولا يحتمله كلامهم .

الوجه الحادي عشر ان مجاهداً انما اراد بالحسبان الفلك الذي تجري فيه الشمس والقمر والنجوم ولم يرد به المحور الذي زعمه الصواف تبعاً لأئمته اهل الهيئة الجديدة . فروى ابن ابي حاتم من طريق عبد الله بن كثير انه سمع مجاهداً يقول (وكل في فلك يسبحون) قال النجوم والشمس والقمر فلك كفلكة المغزل . وقال مثل ذلك الحسبان يعني حسبان الرحى وهو سفودها القائم الذي تدور عليه . وكان مجاهد يفسر قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) بهذا . قال مجاهد ولا يدور المغزل الا بالفلكة ولا تدور الفلكة الا بالمغزل ولا يدور الحسبان الا بالرحى ولا تدور الرحى الا بالحسبان . قال فكذلك النجوم والشمس والقمر هي في فلك لا يدمن الا به ولا يدوم

الا بهن قال فنقر لي باصبعه قال فقال مجاهد يدمن كذلك كما نقر قال فالحسبان والفلك يصيران الى شيء واحد غير ان الحسبان في الرحي والفلك في المغزل .

قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد ما ذكر هـذا الاثر عن مجاهد قوله لا تدوم الا به اي لا تدور الا به ومنه الدوامـــة بالضم والتشديد وهي فلكة يرميها الصبي بخيط فتدوم على الارض اي تدور ومنه تدويم الطير وهو تحليقه ودورانه في طيرانه ليرتفـع الى السماء .وقوله فنقر باصبعه يعني نقر بها في الارض وادارها ليشبه بذلك دوران الفلك انتهى.

وروى ابن جرير عن مجاهد « والشمس والقمر حسبانا » قـال هو مثل قوله « كل في فلك يسبحون » ومثل قوله « الشمس والقمر بحسبان »

وقال ابن كثير عند قوله تعالى في سورة الانبياء(كل في فلك يسبحون) اي يدورون • قال ابن عباس رضي الله عنهما يدورون كما يدور المغزل في الفلكة. قال مجاهد فلا يدور المغزل الا بالفلكة ولا الفلكة الا بالمغزل كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون الا به ولا يدور الا بهن كما قال تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم)

وقال ابن كثير ايضا في تفسير سورة يس . وقوله تبارك وتعالى (وكل في فلك يسبحون) يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحـون اي يدورون في فلك السماء قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمـة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراساني . قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف في فلكة كفلكة المغزل : وقال مجاهد الفلك كحديـدة الرحى او كفلكة المغزل لا يدور المغزل الا بها ولا تدور الا به

وقال ابو حيان في تفسيره قال مجاهد الحسبان الفلك المستدير شبهه بحسبان

الرحى وهو العود المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة انتهى

ومما ذكرنا يعلم ان البخاري قد اختصر قول مجاهد ولم يورده بتمامه

ويعلم ايضاً ان مجاهداً انما اراد بالحسبان الفلك الذي تدور فيه النجوم والشمس والقمر ولم يرد به المحور الذي توهمه الصواف وائمته من فلاسفة الافرنج

وقد قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى فاما قوله تعالى (وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا) وقوله (الشمس والقمر بحسبان) فقد قيل هو من الحساب وقيل بحسبان كحسبان الرحى وهو دوران الفلك فان هذا مما لاخلاف فيه . بل قد دل الكتاب والسنة واجمع علماء الامة على مثل ما عليه اهل المعرفة من اهل الحساب من ان الافلاك مستديرة لا مسطحة انتهى

الوجه الثاني عشر ان القمر قرين الشمس في الحسبان كما انه قرينها في الجريان والسبح في الفلك والدؤب في السير والبزوغ والافول. قال الله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) وقال تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) وقال تعالى في اربعة مواضع من القرآن (وسخر الشمس والقمر كل يجري لا جل مسمي) وقال تعالى في موضعين (وكل في فلك يسبحون) وقال تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) وقال تعالى (فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لا كونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون)

واذا كان القمر قرين الشمس في كتاب الله تعالى فانه يلزم ان يقال فيه

مثل ما قيل في الشمس . فمن قال ان للشمس محورا تدور عليه وهي ثابتة في مكانها كما تدور المروحة السقفية على محورها وان ذلك المحور هو الحسبان الذي ذكره الله في كتابه فلازم قوله ان يكون للقمر محور يدور عليه وهو ثابت في مكانه كما تدور المروحة السقفية على محورها وهذا مالا محيد للصواف عنه وهو من ابطل الباطل كما ان التفريق بين الشمس والقمر فيما جمع الله بينهما فيه من ابطل الباطل ايضا .

والتفريق بينهما هو الذي عليه اهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج واتباعهم من العصريين المفتونين بآرائهم وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة .

ومثل هؤلآء الذين يفرقون بين ماجمع الله بينه كمثل اليهود يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض

الوجه الثالث عشر ان يقال قد تبين لمن له ادنى علم وفهم ان الصواف قد افترى على مجاهد وعلى العلماء الذين زعم انهم قالوا ان الشمس ثابتة وانها تدور حول نفسها كما تدور المروحة السقفية على محورها وان مستقرها هو محورها الذي تدور عليه .

وحينئذ فقوله « وهل يجد القارىء الكريم فرقا بين المثل الذي ضربته وهو المروحة حيث تتحرك وهي ثابتة وبين ما قاله مجاهد ومثله بالرحا حيث تتحرك كذلك حول نفسها وهي ثابتة بمكانها »

جوابه ان يقال الفرق بينهما واضح جلي . اما مجاهد فانه شبه الفلك الذي تجري فيه الشمس والقمر والنجوم ويدرن فيه على الارض بفلكة المغزل وحسبان الرحى لان كلا من الفلك والفلكة والحسبان يدار عليه فهذا وجه تشبيه مجاهد وغيره من السلف للفلك بفلكة المغزل وحسبان الرحى .

واما الصواف فانه زعم ان الحسبان هو المحور الذي تدور عليه الشمس وهي ثابتة في مكانها كما تتحرك المروحة السقفية على محورها . وهذا القول الذي ذهب اليه الصواف لا اصل له من كتاب ولا سنةولاقالهاحد منالصحابة ولا التابعين ولا ائمة العلم والهدى من بعدهم . وانماقاله اهل الهيئة الجديدةمن فلاسفة الافرنج ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من العصريين المفتونين بآرائهم وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة .

ومجاهد رحمه الله تعالى اجل قدرا من انيقولبهذا القول الباطلالمخالف لكتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ .

الوجه الرابع عشر قد تقدم ان مجاهدا قال في قوله تعالى (وكل في فلك يسبحون) قال النجوم والشمس والقمر فلك كفلكة المغزل وقال مثل ذلك الحسبان يعني حسبان الرحى وهو سفودها القائم الذي تدور عليه قال ولا يدور المغزل الا بالفلكة ولا تدور الفلكة الا با المغزل ولا يدور الحسبان الا بالرحى ولا تدور الرحى الا بالحسبان قال فكذلك النجوم والشمس والقمر هي في فلك لايدمن الا به ولا يدوم الا بهن .

واذا كان مجاهد قد جمع بين الشمس والقمر والنجوم في تفسير الفلك والحسبان ولم يفرق بينها فانه يلزم على قول الصواف ان يكون مجاهد يرى ان كلا من الشمس والقمر والنجوم له محور يدور عليه وهو ثابت في مكانه كما تدور المروحة السقفية الكهربائية على محورها وهي ثابتة في سقفها . وهذا ما لا محيد للصواف عنه . وحينئذ فلا بد للصواف ومن قال بقوله من احد امرين . احدهما ان يلزموا مجاهدا بهذا القول الباطل الذي لم يقل به احد من المسلمين فضلا عن مجاهد . واما ان يرجعوا عما افتروه على مجاهد في تخصيص الشمس بالثبات في مكانها دون القمر والنجوم

الوجه الخامس عشر ان قول مجاهد في الحسبان والسبح في الفلك متفق. وما جاء في بعض الرويات عنه من ذكر الدوران فالمراد بـه دوران الشمس والقمر والنجوم على الارض وهـــي في فلكها الذي تسبح فيه اي تجري فيه بسرعة كما تقدم ايضاح ذلك. وليس هو بدوران فقط كما تدور المرواح الكهربائية

ويدل على ذلك مارواه ابن جرير عنه انه قـــال في قوله تعالى «والشمس والقمر حسبانا » قال هو مثل قوله «كل في فلك يسبحون» والسبح هو الجري بسرعة . قال الراغب الاصفهاني السبح المر السريع في الماء وفي الهواء يقال سبح سبحا وسباحة واستعير لمر النجوم في الفلك نحو «وكل في فلك يسبحون» ولجري الفرس نحو « فالسابحات سبحا » ولسرعة الذهاب في العمل نحو « ان لك في النهار سبحا طويلا » وقال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى السباحة تتضمن الجري بسرعة كما ذكر ذلك اهل اللغة انتهى

واذا علم هذا فكلام مجاهد صريح في كونـــه يرى ان الشمس والقمر والنجوم سابحة في الفلك اي جارية فيه بسرعة وان الفلك لهن مثل الحسبان للرحى والفلكه للمغزل يعني انهن يدرن حول الارض في فلك مستدير . وفي هذا رد على من تقول عليه وزعم انه يقول ان الشمس ثابتة ودائرة على نفسها مثل المروحة السقفية الكهربائية . وأما زعم الصواف ان قول مجاهد يخالف بعضه بعضا فهو خطأ مردود .

الوجه السادس عشر لو فرضنا ان مجاهدا قال ان الشمس ثـابتة وانهـا تدور على نفسها مثل المروحة السقفية الكهربائية فقوله ليس بحجة وانما الحجة فيما اخبر الله به من جريان الشمس وسبحها في الفلك ودؤبها في ذلـــك وطلوعها وغروبها ودلوكها وتزاورها وانه ياتي بها من المشرق فهـذا يـدل

دلالة واضحة على دوران الشمس على الارض لاعلى نفسها . وكذلك ما اخبر به الرسول ﷺ من جريان الشمس وطلوعها وارتفاعها واستوائها وزوالها ودنوها من الغروب وغروبها وذهابها بعد الغروب الى مستقرها تحت العرش وانها حبست ليوشع بن نون حين حاصر القرية حتى فتحها الله عليه

وما اشرت اليه ههنا من الآيات المحكمات والاحاديث الصحيحة فهو الحجة وما خالفها فهو باطل مردود على قائله كائنا من كان

وقد ثبت عن مجاهد انه قال ليس احد بعد النبي ﷺ الا يؤخذ من قوله ويترك الا النبي ﷺ رواه البخاري في جزء رفع اليدين باسناد صحيح

الوجه السابع عشر ان الصواف قد قرر في صفحة٩٩ وصفحة ١٠٠ ان الشمس تسير في كل برج شهرا وانها تقطع البروج كلها مرة في السنة وهذا يناقض ماقرره ههنا من كون الشمس ثابتة على محورها ومتحركة حول هذا المحور مثل المروحة السقفية الكهربائية . وما قرره ههنا فهو باطل مردود بالادلة الكثيرة من الكتاب والسنة وقد تقدم ذكر بعضها والاشارة الى الباقي في الوجه السابع . وما قرره في صفحة٩٩و١٠٠فهو الحق الثابت بالنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة . وقد ذكرت الادلة على ذلك مستوفاة في اول الصواعق الشديدة فلتراجع هناك ..

واما قوله وقال ابن حبان في تفسيره البحر المحيط. فجوابه ان يقال ان مصنف البحر المحيط في التفسير هو ابو حيان بالياء المثناة التحتية لا بالباء الموحدة وهو من اعيان المائة الثامنة من الهجرة واما ابن حبان بالباء الموحدة فهو صاحب الصحيح المسمى بالانواع والتقاسيم وهو من اعيان المائة الرابعة من الهجرة والقول بان البحر المحيط من تصنيفه وهم وغلط

فصـــل

ونقل الصواف في صفحة ٦٣ عـــن قطب انه قال في تفسيره. في ظلال القرآن عند قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) ما نصه :

والشمس تدور حول نفسها وكان المظنون انها ثابتة في مـوضعها الذي تدور فيه حول نفسها ولكن عرف اخيراً انها ليست مستقرة في مكانها انما هي تجري . تجري فعلا في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهـائل بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلا في الثانية . والله ربها الخبير بها و بجريانها وبصيرها يقول انها تجري لمستقر لها . هذا المستقر الذي ستنتهي اليه لا يعلمه الا هو سبحانه ولا يعلم موعده سواه . وحين نتصور ان حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف حجم ارضنا هذه وان هـــذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء لا يسندها شيء ندرك طرفاً من صفة القدرة التي تصرف هذا الوجود عن قوة وعن علم ـ الى ان قال عنـد قوله تعالى (وكل في فلك يسبحون) وحركة هذه الاجرام في الفضاء الهائل اشبه بحركة السفينة في الخضم الفسيح فهي مع ضخامتها لا تزيد على ان تكون نقطاً سابحة في ذلك الفضاء المرهوب . وان الانسان ليتضاءل ويتضاءل وهـــو ينظر الى هذه الملايين التي لا تحصى من النجـــوم الدوارة والكواكب السيارة متناثرة في ذلك الفضاء سابحة في ذلك الخضم والفضاء من حولها فسيح فسيح واحجامها الضخمة تائهة في ذلك الفضاء الفسيح .

والجواب ان يقال أما قوله ان الشمس تدور حول نفسها فهو ما قرره الصواف في صفحة ٦١ وتقدم رده قريباً في الوجه السابع والثامن والتاسع من الفصل الذي قبل هذا الفصل فليراجع .

وأما قوله وكان المظنون انها ثابتة في موضعها الذي تدور فيه حول نفسها.

فجوابه ان يقال كل اقوال اهل الهيئة الجـــديدة واتباعهم في الشمس وغيرها من الاجرام العلوية مبناها على التخرصات والظنون الكاذبة وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) .

واما قوله ولكن عرف اخيراً انها ليست مستقرة في مكانها انما هي تجري تجري فعلا في اتجاه واحد في الفضاء الكوني الهائل بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلا في الثانية .

فجوابه ان يقال من اين عرف جريان الشمس على الوجـه الذي توهمه الفلكيون من فلاسفة الافرنج بعقولهم الفاسدة . والوحي قـــد انقطع عن الارض بموت النبي ﷺ ولم يبق الا وحي الشياطين الى اوليائهم من فلاسفة الافرنج واتباعهم بالاكاذيب والتخرصات والظنون التي لا حـاصل لها في نفس الامر . فهذا الوحي الشيطاني الكاذب هو الذي يعتمد عليه اهل الهيئة الجديدة واتباعهم في الاجرام العلوية .

والذي قرره قطب ههنا هو ما نقله الصواف في صفحة ٣٨ عن الفلكيين انهم قالوا ان النظام الشمسي ينهب الفضاء نهباً بسرعة لا تقل عن ٢٠ الف ميل في الساعة اي اكثر من ٣٠٠ ميل في الدقيقة متجهه نحو برج هركيوليس .

وذكر الصواف ايضاً في صفحة ٤٢ في الكلام على قول الله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) الآية ان المجموعة الشمسية وما حولها تتحرك في الفلك وان الشمس تجرى الى بعيد فيه وليس الى قريب .

وذكر الصواف ايضـــاً في صفحـــة ٤٣ عن « سيمون » ان الشمس

والكواكب السيارة واقمارها تجري في الفضاء نحو برج النسر بسرعه غير معهودة لنا على الارض .

وذكر الصواف ايضاً في صفحة ١٠٣ ان الشمس تجري بسرعة هائلةتبلغ اثني عشر ميلا في ثانية نحو الجانب الخارجي لمجرته وتقود كل ما يتبع النظام الشمسي .

قلت وقد تقدم رد هذه الاباطيل بما اغنى عن اعادته ههنا فليراجع .

واما قوله والله يقول انها تجري لمستقر لها . هذا المستقر الذي ستنتهي اليه لا يعلمه الا هو ولا يعلم موعده سواه .

فجوابه ان يقال الظاهر ان مراد قطب بهـذا المستقر برج هركيوليس الذي توهمه الفلكيون من فلاسفة الافرنج بعقولهم الفاسدة لان كلامه من اوله الى آخره في تقرير قولهم . ويدل على ذلك قـــوله في الشمس انها تجري في اتجاه واحد في الفضاء . وهذا خلاف ما اخبر الله به عنها انها تسبح في الفلك. والفلك مستدير بالاجماع . وفي هذا رد لمـا زعموه من كونها تجري في اتجاه واحـــد .

وايضاً فقد روى الامام احمد والشيخان عـن ابي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) قال « مستقرها تحت العرش » .

وروى الامام احمد والشيخان ايضاً وابو داود الطيالسي والترمذي عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ لابي ذر رضي الله عنه حين غربت الشمس « تدري اين تذهب قلت الله ورسوله اعـــلم قال فانها تذهب حتى

تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فـــلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) » هذا لفظ البخاري . وفي رواية مسلم قال ثم قرأ في قراءة عبد الله وذلك مستقر لها . وللترمذي نحوه وقال هذا حديث حسن صحيح .

وفي رواية لمسلم ان النبي ﷺ قال يوماً « اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال ان هذه تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجـري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجـدة ولا تزال كذلك حتى يقال لهـا ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجـري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي الى مستقرها ذاك تحت العـــرش فيقال لها ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها » .

وهذا الحديث الصحيح يدل على ان الشمس تنتهـي الى مستقرهـا تحت العرش كل ليلة فتسجد حينئذ وتستاذن في الطلوع

وفي هذا الحديث رد على قطب وعلى غيره ممن تأول الآية على غير تاويلها الثابت عن النبي ﷺ

وأما قوله وحين نتصور ان حجم هذه الشمس يبلغ نحو مليون ضعف حجم ارضنا هذه .

فجوابه ان يقال هذا من الرجم بالغيب والقول بغير علم. وقد استوفيت

الرد عليه في « الصواعق الشديدة » في المثال الخامس من الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة فليراجع هناك

وأما قوله وان هذه الكتلة الهائلة تتحرك وتجري في الفضاء

فجوابه ان يقال قد ذكر الله في كتابه ان الشمس تسبح في الفلك ولم يقل في الفضاء فيجب اثبات ما اثبته الله ورد ماسوى ذلك من الاقوال التي لا مستند لها سوى التخرصات والظنون الكاذبة

وأما قوله وحركة هذه الاجرام في الفضاء الهائل اشبه بحركة السفينة في الخضم الفسيح الى آخر كلامه

فجوابه ان يقال قد اخبر الله تعالى انه جعل الكواكب زينة للسماء الدنيا فقال تعالى « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » وقال تعالى « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين » وقال تعالى « وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » وقال تعالى « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج » وقال تعالى « ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين » وقال تعالى « تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » والبروج هي الكواكب العظام قاله مجاهد وسعيد بن جبير وابو صالح والحسن وقتادة

وفي هذه الآيات رد على قطب وعلى غيره ممن زعم ان الكواكب متناثرة في الفضاء وسابحةفيه

فصل

وقال الصواف في صفحة ٦٤ ما نصه

قال الالوسي رحمه الله في كتابه (ما دل عليه القرآن) صفحة ١١٨ (والذي

قاله المتاخرون من الفلاسفة اهل الفن الجديد المتشرعين ـ وانظروا الى قوله المتشرعين ـ ان هذا الجرم العظيم ـ الشمس ـ مركز للسيارات . الى آخر ما نقله الصواف من كلام الالوسي في اول صفحة ٦٧

والجواب ان يقال اما كلام الالوسي فقداستوفيت الرد عليه في الصواعق الشديدة فليراجع هناك

واما قول الصواف وانظروا الى قوله المتشرعين

فجوابه من وجوه احدها ان يقال واي فائدة للقراء في النظر في كلمة الالوسي . وهل ظننت ايها الصواف ان الالوسي قد اورد نصا من كتاب الله تعالى او مما صح عن رسول الله ﷺ حتى لا يجوز لاحد ان يعارض ذلك او يعدل عنه . وهل ظننت ايها الصواف ايضا ان المتشرعين الذين اشار اليهم الالوسي هم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابيعهم باحسان حتى تطلب من القراء ان ينظروا في كلمة الالوسي

الوجه الثاني ان يقال قد نظرنا في كتاب الالوسي الذي سماه (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة) ونظرنا في قوله المتشرعين فوجدناه قد صرح في عدة مواضع من كتابه المشار اليه بانهم من فلاسفة الافرنج وليسوا من المسلمين

فقال في صفحة ٢٣ ان المتاخرين ممن انتظم في سلك الفلاسفة كهرشل الحكيم واتباعه اصحاب الرصد والزيج الجديد تخيلوا خلاف ما ذهب اليه الاولون في امر الهيئة وقالوا بان الشمس مركز . والارض وكذا النجوم دائرة حولها

قلت وهرشل من الانكليز وقد ولد في سنة ١٧٣٨ ميلادية . ومات في

سنة ١٨٢٢ ميلادية . وقوله وقول اتباعه في الشمس انها مركز وان الارض والنجوم دائرة حولها هو الذي ذكره الالوسي في صفحة ١١٨ . وقد ذكرهم الالوسي ايضاً في صفحة ٣٣ و ٤٦ و ٥٩ و ٩٥ واشار اليهم في مواضع كثيرة سوى هذه المواضع . وسمى منهم هرشل في صفحة ٢٣ و ٣٤ و ٤٥ وسمى منهم ايضاً في صفحة ٣٣ و ٣٤ أولبوس وهاردنق وبياظي . وقد ذكر محمد فريد وجدي في دائرة المعارف منهم كوبرنيك البولوني وتيخوبراهي الدانياركي وكبلر وغاليليه ونيـوتن الانجليزي . وهرشـــل الانجليزي . ومنهم ايضا داروين الانجليزي . فهؤلاء الفلاسفة كلهم من الافرنج وهم اهـل الفن الجديد اي اهل الهيئة الجديدة واقوالهم هي التي اودعها الالوسي في كتابه الذي سماه (ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة) وعلى هذا فوصف الالوسي لهم بالمتشرعين معنـاه المنتسبين الى شريعة الانجيل . وقـد نسخت الشرائع كلها بالشريعة المحمدية فلا يجوز لاحد بعد بعثة محمد ﷺ ان يتمسك بشريعة غير شريعته ولا ان ينتسب الى غيرها من الشرائع . ومن انتسب الى غيرالشريعة المحمدية فليس بمتشرع وان قيل فيه ذلك . وعلى هـذا فوصف الالوسي لاهل الهيئة الجديدة بانهم متشرعون لا معنى له ولا حاصل تحته .

الوجه الثالث ان الظاهر من كلام الصـــواف انه يرى ان الفلاسفة من المسلمين وهذا غلط فانه ليس للاسلام فلاسفة . قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى ليس الفلاسفة من المسلمين . ونقل عن بعض اعيان القضاة في زمانه انه قيل له ابن سينا من فلاسفة الاسلام فقال ليس للاسلام فلاسفة . وسيأتي الكلام في الفلاسفة وشدة ضررهم على الاسلام قريباً عند ذكر نصير الشرك الطوسي ان شاء الله تعالى .

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ٦٧ ما نصه

اكتفي بهذا المقدار من النقل ولا اريد ان استرسل الا اني اود اذكر كيف ان العلماء تكلموا في الشمس والقمر وتكلموا في النجوم الثوابت والسيارات وقدروا الابعاد بين الارض والشمس وقدروا مقـدار ضخامة الشمس عن الارض وان الشمس اكبر من الارض بمليون وثلثمائة وثمـانية وعشرين الف مرة . وان الشمس تبعد عن الارض باربعة وثلاثين مليون فرسخ فرنسي . وقاسوا بعد القمر عنها وبينوا البعد الابعد والبعد الاقرب . والخلاصة انهم لم يتركوا باباً الا طرقوه وسواء كانوا مخطئين في تقـديراتهم ام مصيبين فانهم اجتهدوا في علوم الكون وتكلموا فيها على حسب مـــا وصل اليه علمهم . وما صنعوا ذلك الا بوحي من دينهم واملا في خدمة هذا الدين الذي وهبوه كل شيء حياتهم واموالهم وجهدهم وعلمهم وجهادهم وسهرهم وعرقهم في سبيل الوصول الى الحقائق العلمية التي تدعوا الى الايمان بالله العظيم الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا . والذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن تبارك ربنا وتعالى وله الحمد على ما انعم وتفضل .ورحم الله علماءنا الاعلام وجزاهم عما قدموا خير ما يجزي عاملا عن عمله .

والجواب ان يقال ان الذين تكلموا في الشمس والقمر والنجوم الثوابت والسيارات وقدروا ضخامة الشمس وبعدها عن الارض وبعد القمر عنها هم اهل الهيئة الجديدة وليسوا من علماء المسلمين وانما هم من فلاسفة الافرنج كما تقدم ايضاحه في عدة مواضع . ووصفهم بانهم علماء خلاف الصواب وهو من قلب الحقيقة . والصواب ان يقال انهم اهل الجهل والتخرص واتباع الظنون

الكاذبة فهذا هو اللائق بهم والمطابق لحالهم على الحقيقة . وقد استوفيت الرد على ما تكلموا به في الشمس والقمر والنجوم في مواضع كثيرة من الصواعق الشديدة فليراجع هناك .

فأما زعمهم ان الشمس اكبر من الارض بمليون وثلثمائة وثمانية وعشرين الف مرة . فالرد عليه في المثال الخامس من الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة.

واما زعمهم ان الشمس تبعد عن الارض باربعة وثلاثين مليون فرسخ فرنسي فالرد عليه في المثال السابع .

واما قياسهم لبعد القمر عن الارض فالرد عليه في المثال التاسع .

واما تخرصهم في النجوم الثوابت فالرد عليه في المثال الحادي عشر والامثلة الثلاثة بعده .

واما قوله والخلاصة انهم لم يتركوا باباً الا طرقوه .

فجوابه ان يقال ان اهل الهيئة الجديدة واتباعهم لم يطرقوا الابواب بالعلم الصحيح المأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ واقوال الصحابة والتابعين وائمة العلم والهدى من بعدهم . وانما طرقوها بالتخرصات والظنون الكاذبة كما لا يخفى على من له ادنى علم وفهم . وقد قال الله تعالى (قتل الخراصون . الذين هم في غمرة ساهون) وقال تعالى (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً . فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعالى (وان

تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون . ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) .

واما قوله وسواء كانوا مخطئين في تقديراتهم ام مصيبين فانهم اجتهدوا في علوم الكون وتكلموا فيها على حسب ما وصل اليه علمهم .

فجوابه ان يقال من عجيب امر الصواف اندفاعه خلف اعداء الله من فلاسفة الافرنج وقبوله لظنونهم وتخرصاتهم سواء كانوا مخطئين في تقديراتهم - اي ظنونهم وتخرصاتهم - ام مصيبين . وهذا من اقبح الجهل والتقليد . نعوذ بالله من عمى البصيرة . وقد قال الله تعالى (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

وأما قوله فانهم اجتهدوا في علوم الكون وتكلموا فيها على حسب ما وصل اليه علمهم .

فجوابه ان يقال ان اجتهاد اهل الهيئة الجديدة في علوم الكون كله جهل وضلال مثل اجتهاد اسلافهم من النصارى في تقرير دياناتهم وما يعتقدونه في المسيح وامه . ومثل اجتهاد اهل البدع في تقرير مذاهبهم الباطلة . وكل من حاد عن الصراط المستقيم فلا عبرة به ولا باجتهاده .

وأما قوله وما صنعوا ذلك الا بوحي من دينهم

فجوابه ان يقال بل انما صنعوا ذلك بوحي من شياطينهم الذين اضلوهم واضلوا على ايديهم وايدي اتباعهم بشرا كثيرا . وقد قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصغى اليه افئدة

الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) وقال تعالى (وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون)

وأما قوله وأملا في خدمة هذا الدين الذي وهبوه كل شيء حياتهم واموالهم وجهدهم وعلمهم وجهادهم وسهرهم وعرقهم في سبيل الوصول الى الحقائق العلمية التي تدعو الى الايمان بالله العظيم

فجوابه ان يقال ان الصواف قد اغتر باهل الهيئة الجديدة غاية الاغترار واحسن الظن بهم غاية الاحسان حيث زعم انهم ممن يدين بدين الاسلام كما هو ظاهر كلامه ههنا وكما صرح بذلك في صفحة ٤٤ حيث قال انهم مسلمون عرف اكثرهم بالتقوى والصلاح

وهذا خطأ كبير وغلط فاحش فان اهل الهيئة الجديدة كلهم من فلاسفة الافرنج . وقد ذكرت جملة منهم في الفصل الذي قبل هذا الفصل . وطوائف الافرنج كلهم ينتسبون الى النصرانية . والنصارى ضالون مضلون كما اخبر الله عنهم بذلك في قوله (قل يا اهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)

وفي فاتحة الكتاب التي قد امر المسلمون بقراءتها في كل ركعة من صلواتهم (اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين) . والمغضوب عليهم هم اليهود . والضالون هم النصارى كما جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد وابو داود الطيالسي والترمذي وابن حبان في صحيحه عن عدي بن حاتم رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ان المغضوب عليهم اليهود وان الضالين النصارى » قال الترمذي حسن غريب.

وروى ابن مردويه عن ابي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن المغضوب عليهم قال « اليهود » قلت الضالين قال «النصارى»

واذا علم هذا فمن اقبح الجهل ان لا يميز الرجل بين المسلمين والنصارى .

واقبح من ذلك ان يجعل بعض النصارى من جملة المسلمين. واقبح من ذلك ان يزكيهم ويشهد لهم بالتقوى والصلاح ولقد احسن الشاعر حيث يقول: -

يقضي على المرء في ايام محنته   حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

واما زعمه ان اهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج لهم امل في خدمة دين الاسلام فهو زعم كاذب لا يقوله من له ادنى مسكة من عقل . بل ان اعداء الله حريصون كل الحرص على اضلال المسلمين وصدهم عن دينهم كما اخبر الله عنهم بذلك في قوله (ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) وقال تعالى (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين)

واما زعمه انهم وهبوا الدين كل شيء فهو من نمط ما قبله من التهور في الكلام وعدم التثبت فيه. وكذلك زعمه انهم بذلوا كل شيء في سبيل الوصول الى الحقائق العلمية التي تدعو الى الايمان بالله العظيم.

والجواب ان يقال ان اهل الهيئة الجديدة واتباعهم لم يصلوا في كلامهم في السماء والارض والشمس والقمر وغيرهما من الاجرام العلوية الى شيء من

الحقائق العلمية التي تدعو الى الايمان بالله العظيم . وانما وصلوا الى التخرصات والظنون التي لا تغني من الحق شيئاً . بل انها تدعو الى الضلال والكفر بما انزل الله على رسوله محمد ﷺ .

وقد ذكرت في الصواعق الشديدة تسعة عشر مثالا على بطلان ما يهذون به من التخرصات والظنون الكاذبة فلتراجع هناك

وأما قوله ورحم الله علماءنا الاعلام وجزاهم عما قدموا خير ما يجزي عاملا عن عمله

فجوابه ان يقال وهل تدري ايها الصواف بالذين تعدهم من علمائك الاعلام وتترحم عليهم وتسأل الله ان يجزيهم خير ما يجزي عاملا عن عمله

انهم اعداء الله من فلاسفة الافرنج واولهم كوبرنيك البولوني ثم اتباعه من الافرنج . ومن اعيانهم تيخو براهي الدانياركي وكبلر وغاليليه ونيوتن الانجليزي وهرشل الانجليزي وداروين الانجليزي وأولبوس وهاردنق وبياظي وستروف . فهولاء كلهم من الافرنج وهم اساطين الهيئة الجديدة . واقوالهم هي التي اودعها الالوسي في كتابه الذي سماه (مادل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة) . وهي التي يعتمد عليها الصواف في كتابه الذي افترى فيه على المسلمين حيث نسب ما فيه من الجهالات والضلالات الى علومهم. والمسلمون بريئون من كل ما يخالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ واجماع المسلمين

فصل

وقال الصواف في صفحة ٦٨ ما ملخصه . هل تعلم ايها القارىء الكريم ان العالم المسلم عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري يكاد يكون اول من ألف

في علم النجوم والانواء .وله كتاب الانواء الذي تكلم فيه عن النجوم و كيفية استدلال العرب بها والماهر في هذا العلم من قبائلهم ورجالهم

والجواب ان يقال ان في ذكر الصواف لابن قتيبة في هذا الموضع ايهاما لمن لا علم عندهم بانه كان يقول بما يقول به اهل الهيئة الجديدة من ثبات الشمس ودوران الارض حولها وغير ذلك من تخرصاتهم في الشمس والقمر والنجوم. وليس الامر كذلك فان ابن قتيبة لم يكن يقول بشيء مما يقول به اهل الهيئة الجديدة في الشمس والقمر والنجوم . وانما ألف فيما هو معروف عند العرب من منازل الشمس والقمر والاستدلال بها وبغيرها من النجوم على جهة القبلة وغيرها من الجهات التي يقصدها المسافرون في البر والبحر .

والاستدلال بالنجوم على جهة القبلة وغيرها من الجهات جائز لقول الله تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) وقوله تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ٦٨و٦٩ما ملخصه .وهل تعلم ان من علماء الهيئة المسلمين الذين رصدوا وألفوا وسهروا الليالي الطوال في مناجاة النجوم ورصد حركاتها وسكناتها والناس نيام والعالم في غفوة وغفلة. الشيخ ابو جعفر نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي الفيلسوف العالم بالارصاد والرياضيات والعلوم العقلية . وكان يراقب النجوم والقمر ويرصد حركاتها بمرصد مراغة في مصر وبعد السنين الطوال طلع على الناس بكتبه الفذة في علم الفلك وصحح فيها ما اخطأ فيه علماء اليونان وما انحرف فيه بطليموس من اراء لا تنطبق مع العلم الصحيح . ولو اردنا ان نزيد لاتينا بالشيء الكثير الغزير من فعل سلفنا

الصالح رحمهم الله ورضي عنهم وارضاهم وحشرنا واياهم مع المتقين الابرار

والجواب ان يقال أمامناجاة النجوم فمعناها المخاطبة لها في السر وذلك شرك كما سياتي بيانه

قال الجوهري النجو السر بين اثنين يقال نجوته نجوا اذا ساررته . وكذلك ناجيته وانتجى القوم وتناجوا اي تساروا

وقال ابن الاثير وابن منظور في لسان العرب المناجي المخاطب للانسان والمحدث له . قال ابن الاثير يقال ناجاه يناجيه مناجاة فهو مناج والنجي فعيل منه انتهى

وقد روى مالك في الموطا عن ابي حازم التمار عن البياضي ان رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت اصواتهم بالقراءة فقال « ان المصلي يناجي ربه فلينظر بما يناجيه به ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن »

وروى ابو داود في سننه والحاكم في مستدركه عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي في تلخيصه

وقال ابن عبد البر حديث البياضي وابي سعيد ثابتان صحيحان .

وفي المسند من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ نحو ذلك ايضا

واذا علم هذا فلا يناجي النجوم الا من يعتقد فيها الالهية وانها تدبر امر العالم وتسمع دعاء من يدعوها ويناجيها . وهذا المعتقد الخبيث موروث عن عباد الشمس والقمر والنجوم من فلاسفة اليونان واتباعهم من المتقدمين

والمتاخرين . ولهم كتب في مخاطبة الشمس والقمر والنجوم ومناجاتها ودعائها والالتجاء اليها لقضاء الحاجات وتفريج الكربات واغاثة اللهفات

وقد صنف بعض الاعيان في المائة السادسة من الهجرة كتاباً سماه (السر المكتوم في السحر ومخاطبة الشمس والقمر والنجوم) .

قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى وهذه ردة صريحة. وقال في موضع آخر هذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين وان كان قد يكون عاد الى الاسلام انتهى .

وقد اراد الصواف ان يبالغ في الثناء على نصير الشرك الطوسي بما وصفه به من سهر الليالي الطوال في مناجاة النجوم فانعكس الامر عليه وكان مدحه له ذماً من ابلغ الذم حيث حكم عليه بالكفر وألحقه بعباد النجوم من فلاسفة اليونان واتباعهم وهو لا يشعر .

وقد قيل في المثل السائر « عدو عاقل خير من صديق احمق» .

واما قوله ورصد حركاتها وسكناتها .

فجوابه ان يقال ان النجوم ليست جامعة بين الحركة والسكون كما قد توهمه الصواف وانما هي دائبة في الحركة والجريان الى يوم القيامة سوى القطبين فانهما لا يفارقان موضعيهما. ولا يخلو الصواف في قوله هذا من احد امرين . اما ان يقول ان النجوم قد جمعت بين الحركة والسكون في آن واحد واما ان يقول انها تتحرك في وقت وتسكن في وقت آخر . فان قال بالاول فقد جمع بين النقيضين ولا يقول بذلك من له ادنى مسكة من عقل. وان قال بالثاني فقد كابر المحسوس المشاهد من جريان النجوم على الدوام مع مخالفته

للادلة الكثيرة من الكتاب والسنة :وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى مع الكلام على ما نقله الصواف من تفسير طنطاوي جوهري فلتراجع هناك.

واما قوله والعالم في غفوة وغفلة . فهو من تهوره في الكلام وعدم تثبته فيه حيث جعل العالم كله في غفوة وغفلة .وجعل نصير الشرك الطوسي هو المتيقظ المتنبه وحده لانه كان يسهر الليالي الطوال في مناجاة النجوم .

والامر في الحقيقة بعكس ما زعمه الصواف . فاهل طاعة الله تعالى هم اهل التيقظ والنباهة من كانوا واين كانوا . واهل الكفر والشرك واعوانهم مثل نصير الشرك الطوسي واشباهه من الملاحدة المحادين لله ولرسوله هم اهل الغفوة والغفلة عن الله والدار الآخرة .

واما قوله نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي الفيلسوف .

فجوابه ان يقال اما اسم الفيلسوف فهو مطابق له على الحقيقة . واما تلقيبه بنصير الدين فهو غير مطابق له وانما المطابق تلقيبه بنصير الشرك كما يشهد به الواقع مما ذكره المؤرخون في وقعة بغداد المشهورة في سنة ست وخمسين وستمائة . فقد قيل ان القتلى بلغوا الف الف وثمانمائة الف . وقيل الفي الف . وقيل غير ذلك .

وهذه الملحمة العظيمة لم يجر على اهل الاسلام مثلها لا قبل ولا بعد . وكان ذلك باشارة عدوي الاسلام نصير الشرك الطوسي الفيلسوف الملحد الباطني الاسماعيلي وزير هولاكو والوزير ابن العلقمي الرافضي وكيدهما للاسلام واهله . عاملهما الله بعدله .

وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية :

وكذا اتى الطوسي بالحرب الصريـــح بصارم منـــه وسل سنان
واتى الى الاســـلام يهدم اصله من اســـه وقواعـــد البنيان
عمـــر المدارس للفلاسفة الألى كفروا بدين الله والقـــرآن
واتى الى اوقاف اهل الدين ينـ قلها اليهم فعـــل ذي اضغان
واراد تحويل الاشــــارات التي هي لابن سينا مـوضع الفرقان
واراد تحـــويل الشريعة بالنوا ميس الـــتي كانت لدى اليونان
لكنه علم اللعـــين بان هـــذا ليس في المقـــدور والامكان
الا اذا قتـــل الخليفة والقضا ة وسائر الفقهـــاء في البلدان
فسعي لذاك وساعد المقدور با لأ مر الذي هـــو حكمة الرحمن
فاشار ان يضع التتار سيوفهم في عسكر الايمـــان والقرآن
لكنهم يبقون اهل صنائع الـــدنيا لاجـــل مصالح الابدان
فغدا على سيف التتار الالف في مثل لهـــا مضروبة بوزان
وكذا ثمـــان مئينها في ألفها مضروبة بالعـــد والحسبان
حتى بكى الاسلام اعده اليهو د وكذا المجوس وعابدو الصلبان
فشفى اللعين النفس من حزب الرسو ل وعسكر الايمـــان والقرآن

وقال ابن القيم ايضاً :

وكذلك الطوسي لمـــا ان غدا ذا قدرة لم يخش مـــن سلطان
قتل الخليفة والقضاة وحاملي الـ قرآن والفقهـــاء في البلدان
إذ هم مشبهة مجسمة ومـــا دانوا بدين اكابـــر اليونان

وقال ايضاً :

وكــــذا نصير الشرك في اتباعه اعداء رســـل الله والايمان
نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم وغزوا جيوش الدين والقرآن
فجرى على الاسلام منهم محنة لم تجـر قـط بسالف الازمـان

فانظروا ايها المسلمون الى شدة عداوة الفلاسفة والرافضة للاسلام واهله وخبث طويتهم وكيدهم للمسلمين وطلبهم الغوائل لهم والشرور حتى اوقعوا بهم هذا الامر الفظيع الذي لم يؤرخ في الاسلام اشنع ولا ابشع منه .

فهذا دليل على ان انتسابهم الى الاسلام كذب محض ومكر وخديعة ليفعلوا بالاسلام مثل ما فعله بولص بالنصرانية .

ولهذا قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعـــالى ليس الفلاسفة من المسلمين .

ونقل عن بعض اعيان القضاة في زمانه انه قيل له . ابن سينا من فلاسفة الاسلام فقال ليس للاسلام فلاسفة

قلت وفي هذا حكاية عجيبة ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم الادباء في ترجمة احمد بن الحسين بن مهران المقري ابي بكر النيسابوري قال ياقوت كان مجاب الدعوة مات في السابع والعشرين من شوال سنة احـــدى وثمانين وثلثمائة وتوفي في ذلك اليوم ابو الحسن العامري صاحب الفلسفة . قال الحاكم فحدثني عمر بن احمد الزاهد قال سمعت الثقة من اصحابنا يذكر انه رأى ابا بكر ابن الحسين بن مهران في المنام في الليلة التي دفـن فيها قال فقلت ايها الاستاذ مافعل الله بك فقال ان الله عز وجل اقام ابا الحسن العامري بحذائي وقال هذا فداؤك من النار. ثم ذكر الحاكم باسناد رفعه الى ابي موسى الاشعري

رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اذا كان يوم القيامة اعطى الله كل رجل من هذه الامة رجلا من الكفار فيقول هذا فداؤك من النار » وهذا الخبر اذا قرن بالرؤيا صار من براهين الشرع انتهى

وقد ذكر ابن كثير هذه الحكاية في البداية والنهاية مختصرة

وحديث ابي موسى رضي الله عنه الذي ذكره الحاكم قدرواه الامام احمد ومسلم من حديث ابي اسامة عن طلحة بن يحي عن ابي بردة عن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اذا كان يوم القيامةدفع الى كل مؤمن رجل من اهل الملل فيقال له هذا فداؤك من النار » هذا لفظ احمد . ولفظ مسلم « اذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل الى كل مسلم يهوديا او نصرانيا فيقول هذا فكاكك من النار »ورواه الامام احمد ايضا من طريق اخرى بنحو رواية مسلم .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى الفلاسفةاسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن ديانات الانبياء ولم يذهب الا الى ما يقتضيه العقل في زعمه . واخص من ذلك انه في عرف المتاخرين اسم لاتباع ارسطو وهم المشاؤن خاصة وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وبسطها وقررها وهي التي يعرفها بل لايعرف سواها المتاخرون من المتكلمين انتهى .

ومن اقوال الفلاسفة التي ذكرها شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في مواضع من كتبه ان النبوة مكتسبة وانها فيض يفيض على روح النبي اذا استعدت نفسه لذلك فمن راض نفسه حتى استعدت فاض ذلك عليه . والنبي عندهم من جنس غيره من الاذكياء الزهادلكنه قد يكون

افضل . والملائكة عندهم هي ما يتخيل في نفسه من الخيالات النورانية . وكلام الله هو ما يسمع في نفسه من الاصوات بمنزلة ما يراه النائم في منامه . ويجوزون على الانبياء الكذب في خطاب الجمهور للمصلحة . والفيلسوف عند بعضهم اعظم من النبي . وعند بعضهم ان الرسالة انما هي للعامة دون الخاصة . والعبادات كلها عندهم مقصودها تهذيب الاخلاق. والشريعة عندهم سياسة مدنية . الى غير ذلك من كفريات الفلاسفة واقوالهم الباطلة .

وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية

لكن حقيقة قولهم ان قد اتوا ... بالكذب عند مصالح الانسان
والفيلسوف وذا الرسول لديهم ... متفاوتان وماهما عدلان
أما الرسول ففيلسوف عوامهم ... والفيلسوف نبي ذي البرهان
والحق عندهم ففيما قاله ... اتباع صاحب منطق اليونان
ومضى على هذي المقالة امة ... خلف ابن سينا فاغتذوا بلبان
منهم نصير الكفر في اصحابه ... الناصرين لملة الشيطان
فاسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... اعداء كل موحد رباني
واسأل بهم ذا خبرة تلقاهم ... اعداء رسل الله والقرآن

وقد تعلق باذيالهم كثير من منافقي هذه الامة من المتقدمين والمتاخرين الى زماننا ووردوا مواردهم الخبيثة فمستقل منها ومستكثر.

وكثير منهم اضر على الاسلام والمسلمين من اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين

وقد ذكر شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في رده على الرافضي مما قيل فيهم .

الدين يشكـــو بليه	من فرقـــة فلسفيه
لا يشهدون صلاة	الا لاجـل التقيـه
ولا تـرى الشرع الا	سياسـة مـدنـيـه
ويؤثرون عليـه	منـاهجـا فـلسفيـه

قلت وقد ذكر لنا عن بعض اتباعهم في زماننا انهم لا يصلون الا للرياضة اوللتقية . وانهم ينكرون وجود الملائكة وتنزلهم بامر الله وتدبيرهم للامور باذنه . وبعضهم ينكرون كونهم يعقلون وانماهم عندهم بمنزلة الجمادات والنباتات وينكرون ايضاً وجـود الجـن وصـرعهم لبـني آدم ويسمون الصرع الامراض العصبية . الى غير ذلك مما دخل عليهم من سموم الفلاسفة وجراثيم امراضهم المهلكة .

وليعـلم ان بين الفلاسفة والملاحـدة الباطنية تناسباً وتقارباً واتفاقاً في بعض الامور .

وقد ذكر بعض العلماء عن ابن سينا انه قال كان ابي واخي من اهل دعوة الحاكم – يعني العبيدي .

وكان نصير الشرك الطوسي وزيراً لاصحاب قلاع الالموت من الاسماعيلية وكانوا ينتسبون الى نزار بن المستنصر العبيدي . ثم وزر لهولاكو . وقد شرح الاشارات لابن سينا . ذكر ذلك شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى وغيره من اكابر العلماء .

وذكر شيخ الاسلام ايضاً في رده على الرافضي عن نصير الشرك الطوسي انه كان ممن يقول ان الله موجب بالذات لا مختار ويقـول بقـدم العالم . قال وهذا الرجل قد اشتهر عند الخاص والعـام انه كان وزيراً للملاحدة الباطنية

الاسماعيلية بالالموت ثم لما قدم التتر المشركون هولاكو اشـــار عليه بقتل الخليفة وبقتل اهل العلم والدين واستبقاء اهل الصناعات والتجارات الذين ينفعونه في الدنيا وانه استولى على الوقف الذي للمسلمين وكان يعطي منه ما شاء الله لعلماء المشركين وشيوخهم من النخشية السحرة وامثالهم وانه لما بنى الرصد الذي بمراغة على طريقة الصابئة المشركين كان اخس الناس نصيباً منه من كان الى اهل الملل اقـرب واوفرهم نصيباً من كان ابعدهم عـن الملل مثل الصابئة المشركين ومثل المعطـلة وسائر المشركين . ومن المشهور عنه وعن اتباعـه الاستهتار بواجبات الاسـلام ومحرماته ولا يحافظـون على الفرائض كالصلاة ولا ينزعون عـن محارم الله من الخمـر والفواحش وغـير ذلك من المنكرات حتى انهم في شهر رمضان يـذكرعنهم من اضاعة الصـلاة وارتكاب الفواحش وفعل مايعرفه اهل الخبرة بهم . ولم يكن لهم قوة وظهور الامع المشركين الذين دينهم شر من دين اليهود والنصارى ـ الى ان قال ـ وبالجملة فامر هذا الطوسي واتباعه في المسلمين اشهر واعرف من ان يوصف انتهى .

ومع مـا ذكره شيخ الاسـلام ابو العباس ابن تيمية والعـلامة ابن القيم رحمها الله تعالى عن نصير الشرك الطوسي مـن الافعال الشنيعة والاقـوال الباطلة الوضيعة فقـد خالفهما الصواف وصار معهما في طـرفي نقيض حيث بالغ في الثناء على نصير الشرك ووصفه بما لا يستحقه وجعله من سلفه الصالح وفي هذا اوضح دليل على كثافة جهله وعدم تمييزه بين الطيب والخبيث .

وقد ذكر الشيخ عبد القاهر بن طـاهر البغدادي في كتابه « الفرق بين الفرق » عن عبيد الله بن الحسين القيرواني جد العبيديين انه قال في رسالته

الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي القرمطي اذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وانا واياهم مجمعـــون على رد نواميس الانبياء وعلى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم مدبراً لا نعرفه .

وذكر شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمــه الله تعالى في رده على الرافضي نحو ذلك ايضاً نقله عن القاضي ابي بكر محمد بن الطيب الباقلاني.

ورسالة عبيد الله الى القرمطي تسمى عندهم بالبلاغ الاكبر والناموس الاعظم اوصاه فيها بالدعاء الى مـذهبهم الخبيث وامره بالاحتفاظ باخـوانهم الفلاسفة وهذا مما يدعو كل مسلم الى زيادة البغض للفلاسفة ومقتهم والبعد عنهم.

ولكن الامر قـد انعكس في زماننا فصـار الانتساب الى الفلسفة مألوفاً عند كثير من المسلمين بل عند كثير من المنتسبين الى العلم فاذا بالغوا في مدح العالم والثناء عليه قالوا هو فيلسوف . وكذلك الكـــلام المشتمل على الحكم يسمونه فلسفة ويجعلون الوصف بذلك تعظيما له وثناء عليه . وهو في الحقيقة تهجين له وعيب وذم لانه ليس للاسلام فلاسفة وليس الفلاسفة من المسلمين . واقل ما يقال في ذلك انه خلاف عرف المسلمين ولغتهم وعدول عن ذلك الى عرف اليونان ولغتهم وذلك نوع من التشبه بهم . وفي الحديث الصحيح « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه الامام احمد وابو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وصححه ابن حبان وقال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية اسناده جيد . وقال الحافظ العراقي اسناده صحيح . وقـــال ابن حجر العسقلاني اسناده حسن . وقد احتج به الامام احمد رحمــه الله تعالى وذلك يقتضي صحته عنده .

قال شيخ الاسـلام ابو العباس ابن تيمية رحمـه الله تعالى وهذا الحديث

اقل احواله انه يقتضي تحريم التشبه بهم وان كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله (ومن يتولهم منكم فانه منهم) انتهى .

وقد قال الله تعالى (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً) وقال تعالى (وانزل الله عليك الكتاب والحكمة) وقال تعالى (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) وقال تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) .

فسماها الله تعالى حكمة ولم يسمها فلسفة . وكذلك سمى اهلها علماء وأئمة وربانيين واحباراً ولم يسمهم فلاسفة . قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقال تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) وقال تعالى (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت) وقال تعالى (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) .

وفي الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » .

فسماها حكمة ولم يسمها فلسفة .

وروى ابو نعيم وغيره عن سويد بن الحارث رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ اثنى على وفد الازد ووصفهم بانهم حكماء علماء ولم يقل انهم فلاسفة.

وفي حديث ابي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وانما ورثوا العلم

فمن اخذه اخذ بحظ وافر» رواه الامام احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي .

واذا كان العلماء ورثة الانبياء فالفلاسفة ورثة اليونان وكان معلمهم الاول ارسطو وزيراً للاسكندر بن فيلبس المقدوني ملك اليونان وكان هو والملك واصحابهما مشركين يعبدون الكواكب والاصنام ويعانون السحر . فهذا ميراثهم الذي خلفوه لاتباعهم مع ما تقدم ذكره عنهم قريباً وما لم يذكر فهو اكثر .

واما معلمهم الثاني ابو نصر الفارابي التركي فقد خلف لهم من الميراث انواع الالحان والمعازف .

وقد قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية :

انى يقاوم ذي العساكر طمطم	او تنكلوشا او اخو اليونان
اعني ارسطو عابد الاوثان او	ذاك الكفور معلم الالحان
ذاك المعلم اولا للحرف والثا	ني لصوت بئست العلمان
هذا أساس الفسق والحرف الذي	وضعوا اساس الكفر والهذيان

اذا عرف هذا فما اسفه رأي من رغب عن الاسماء التي اختارها الله لهذه الامة واختارها رسول الله ﷺ وكانت هي المعروفة عنده وعند اصحابه والتابعين لهم باحسان • وعدل الى اسماء اجنبية عن الاسلام واهل الاسلام ولغتهم وعرفهم .

وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى في رده على زنادقة البحرين لما خاطبوا رشيد رضا باسم الفيلسوف

ثم لو سلمنا ان الفيلسوف على عرف الفلاسفه واتباعهم من اهل الكلام

هو محب الحكمة وانه يمدح ويثنى به على العالم المصلح ارشد للعباد لم يكن هذا من عرف اهل الاسلام ولا من لغتهم ولا يمدح به احد من علماء الاسلام لانه قد كان من المعلوم انه لم يكن يسمى به احد من علماء الصحابة ولا علماء التابعين ولا من بعدهم من الائمة المهتدين والعلماء المصلحين المرشدين ولا اكابر علماء اهل الحديث المجتهدين بل كان هذا الاسم في عرف اهل الاسلام لا يسمى به الا من كان من علماء الفلاسفة ومن نحا نحوهم من زنادقة هذه الامة فكان في الحقيقة ان هذا مما يعاب ويذم به من يسمى بذلك لا مما يمدح ويثنى به عليه . ولو اراد هولآء المتنطعون المتعمقون ان ينقلوا هذا عن احد من اهل العلم او يذكروه في شيء من دواوين اهل الاسلام لم يجدوا الى ذلك سبيلا البتة . اللهم الا ما يذكر عن اشباه هولآء الهمج الرعاع اتباع كل ناعق . الذين لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق من الفهم . إن هم الا كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

ومما ذكرنا يعلم ان اسم الفيلسوف ليس بمدح وانما هو ذم على الحقيقة وان هذا الاسم هو اللائق بنصير الشرك الطوسي واشباهه من ورثة اليونان . ولا ينبغي ان يسمى به احد من علماء المسلمين .

واما قوله وكأن يراقب النجوم والقمر ويرصد حركاتها بمرصد مراغة في مصر .

فجوابه ان يقال ان نصير الشرك الطوسي انما بنى المرصد بمدينة مراغة المعروفة باذربيجان . قال محمد فريد وجدي في دائرة المعارف ولما نبغ نصير الدين الطوسي بنى مرصدا في المراغة بالتركستان انفق عليه الاموال الطائلة وهذا هو الصحيح لا ما توهمه الصواف .

وأما قوله وبعد السنين الطوال طلع على الناس بكتبه الفذة في علم الفلك

فجوابه ان يقال وهو مع ذلك على مذهب اهل الهيئة القديمة في القول بجريان الشمس وثبات الارض . فاي فائدة للصواف من الجعجعة بذكره وذكر غيره من الفلكيين الذين هم على خلاف ما يراه هو واسلافه اهل الهيئة الجديدة من ثبات الشمس ودوران الارض حولها .

وأما قوله ولو اردنا ان نزيد لا تينا بالشيء الكثير الغزير من فعل سلفنا الصالح رحمهم الله ورضي عنهم وارضاهم وحشرنا واياهم مع المتقين الابرار.

فجوابه ان يقال قد ذكر الصواف في مقدمة رسالته في صفحة ١٢ ان ما جمعه في رسالته فهو مما تركه العلماء الاعلام والخلفاء العظام .

فأما علماؤه الذين اشار اليهم فهم اهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج وقد ذكرت قريبا اسماء جملة منهم. وذكرت في اول الكتاب جملة ممن نقل عنهم واعتمد على جهالاتهم وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة وهم جيمس اوثر. ولابلاس . وسيمون . وتوماس جولد . ودونالد مينزل . واللورد افبري . وسبريل هازارد . والبروفيسور شميدت . وارثر فندلاي . وسيمون نيوك واصحاب المرصد الامريكي . والمراصد في ليك . ومونت . ويلسون . وبالومار .

فهولآء كلهم من الافرنج وهم علماء الصواف الذين زعم انهم اعلام .

ومن علمائه ايضا واعلامه الذين اعتمد على تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة جميل صدقي الزهاوي وهو من الجهمية كما تقدم ايضاح ذلك في اول الكتاب

والجهمية كفار كما قد نص على ذلك ائمة السلف . قال شيخ الاسلام ابو

العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى المشهور من مذهب احمد وعامة ائمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن فان قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب . وحقيقة قولهم جحود الصانع وجحود ما اخبر به عن نفسه على لسان رسوله ﷺ بل وجميع الرسل . وقال غير واحد من الائمة انهم اكفر من اليهود والنصارى . وبهذا كفروا من يقول ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في الآخرة وان الله ليس على العرش وانه ليس له علم ولا قدرة ولارحمة ولا غضب ونحو ذلك من صفاته

وقال ايضا نفي الصفات كفر والتكذيب بان الله لا يرى في الآخرة كفر وكذلك ما كان في معنى ذلك كانكار تكليم الله لموسى واتخاذ الله ابراهيم خليلا انتهى

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في الكافية الشافية

ولقد تقلد كفرهم خمسون في عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الامام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبراني

فذكر رحمه الله تعالى ان خمسمائة عالم كفروا الجهمية . وقد ذكر عبدالله بن الامام احمد في كتاب السنة جملة منهم . وكان بعض الائمة يسميهم الزنادقة. وروي عن عبدالله بن المبارك ويوسف بن اسباط وغيرهما من اهل العلم والحديث انهم قالوا اصول اثنتين وسبعين فرقة هي اربع الخوارج والروافض والمرجئة والقدرية . قيل لابن المبارك فالجهمية قال ليست الجهمية من امة محمد ﷺ .

وكلام ائمة السلف في ذم الجهمية وتكفيرهم كثير جدا .

وعن احمد رحمه الله تعالى في تكفير من لم يكفر الجهمية روايتان .

وبالتكفير يقول ابو بكر بن عياش وسفيان بن عيينه وابو زرعة وابو حاتم الرازيان وحكى ابو زرعة وابو حاتم ذلـــك عمن ادركاه من العلماء في جميع الامصار

ومن علماء الصواف واعلامه ايضا نصير الشرك الطوسي وقـــد تقدم الكلام فيهقريباً .

ومن علمائه واعلامه ايضا ابو علي ابن الهيثم . وسيأتي الكلام فيه قريباً

ومن علمائه واعلامه ايضا علي بن عبد الرحمن بن يونس المنجم صاحب الزيج الحاكمي وقد ذكر ابن خلكان عنه انه كان قد افنى عمره في الرصد والتسيير للمواليد وانه كان يقف للكواكب . ثم نقل عن الامير المسبحي قال اخبرني ابو الحسن المنجم الطبراني انه طلع معه الى جبل المقطم وقد وقف للزهرة فنزع ثوبه وعمامته ولبس ثوبا نساويا احمر ومقنعة حمراء تقنع بها واخرج عودا فضرب به والبخور بين يديه .

قلت وهذه الافعال كلها من افعال فلاسفة اليونان واتباعهم من الكفرة الذين يعبدون الكواكب ويتقربون اليها بمـــا يرون انه يناسبها من اللباس والبخور والضرب بالآت اللهو .

ومن علمائه واعلامه ايضا طنطاوي جوهري وموسى جارالله . وسياتي ذكر ما نقله عنهما من الهوس والهذيان في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى

واما خلفاؤه الذين زعم انهم عظام فهم الملوك المنحرفون ومنهم المأمون والحاكم العبيدي وبعض بني بويه والسلاجقه وهولاكو وتيمورلنك وحفيده اولغ بيك واشباههم من الملوك المفتونين بالنجوم وعمل الارصاد . فهولآء مع من ذكرنا من فلاسفة الافرنج واتباعهم هم السلف الطالح للصواف الذيـــن يترحم عليهم ويسأل الله ان يرضى عنهم ويرضيهم ويحشره واياهم مـــع

المتقين الابرار .هذا مبلغ علم الصواف وحاصل عقله . وقد قال الله تعالى (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) . ومن اعظم عمى القلب ان يعتقد الشخص في اعداء الله من الكفرة والفجرة الطالحين انهم من السلف الصالحين ويترحم عليهم ويسأل الله تعالى ان يرضى عنهم ويرضيهم ويحشره واياهم مع المتقين الابرار . نعوذ بالله من عمى البصيرة (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب) . اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل .

ولقد احسن الشاعر حيث يقول

يقضى على المرء في ايام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

فصل

وقال الصواف في صفحة ٧١ مانصه

يقول علماء الفلك القمر اقرب الاجرام السماوية للارض واقل حجما منها . يدور حول الارض مرة كل شهر . وجاذبية القمر مع جاذبية الشمس هي التي تسبب بقدرة الله المد والجزر في البحر .وقد درس الفلكيون احوال القمر الجغرافية ووصفوها ورسموا لها الرسومات لتبيين جباله واوديته . يقول « اللورد افبري » ان سطح القمر صحاري وقفار تتناهض فيها البراكين الخامدة وجباله ضخمة عظيمة يبلغ ارتفاعها ٤٢ الف قدم بزيادة تقرب من ١٣ الف قدم عن اعلى جبل على سطح الارض. وفوهات البراكين هائلة العظمة يبلغ قطرها ٧٨ ميلا . ويقولون ان جبال القمر اقدم بكثير من سلاسل الجبال الارضية بملايين السنين .

والجواب ان يقال أما قول الفلكيين ان القمر اقرب الاجرام السماوية الى الارض فهو تخرص لا دليل عليه من كتاب ولا سنه . وما لم يكن عليه دليل فليس عليه تعويل .

وأما قولهم ان القمر أصغر حجما من الاجرام السماوية . فهو ايضا من التخرص واتباع الظن الكاذب . وفي القرآن والسنة ما يدل على ان القمر اكبر حجما من الكواكب . قال الله تعالى مخبرا عن مناظرة ابراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه (فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هـذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون)

وفي هذه الايات دليل على ان القمر اكبر من الكواكب فـــان الله تعالى بدأ بذكر الاصغر اولا ثم ثنى بذكر ما هو اكبر منه ثم ذكر ما هو اكبر منهما

ويدل على ذلك ايضا ما رواه الامام احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « فضل العالم على العابـــد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ».

ورواه الدارمي ولفظـه « وان فضل العـالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم » .

وروى ابو نعيم في الحلية عن معـــاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه .

وفي تفضيل القمر على سائر الكواكب دليل على انه اكبر منها حجما واشد اضاءة .

وايضاً فقد قال الله تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولاللقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون).

وثبت عن النبي ﷺ انه قال « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله » .

وفي النص على ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله تنويه بعظم شأنهما وانهما اكبر من سائر الكواكب .

واما قولهم ان جاذبية القمر مع جاذبية الشمس هي التي تسبب المد والجزر في البحر .

فجوابه ان يقال اما الشمس فلا تأثير لها في مد البحر وجزره .

واما القمر فقد جعل الله له خاصية في المد والجزر . ولم يقم دليل على ان ذلك بسبب الجاذبية .

وللمد والجزر حالتان حالة يومية وحالة شهرية كما قد شاهدنا ذلك في الخليج العربي .

فاما الحالة اليومية فانه يمدويجزر في اليوم والليلة مرتين . اذا طلع القمر في اية ساعة من ليل او نهار اذا الماء قد انتهت زيادته . ثم يأخذ في النقص الى ان يتوسط القمر في السماء فحينئذ ينتهي النقصان . فاذا زال القمر عن وسط السماء الى جهة المغرب اخذ الماء في الزيادة الى ان يصل القمر الى المغرب فحينئذ تنتهي الزيادة كما كانت عند طلوع القمر فاذا غرب القمر اخذ الماء في النقصان الى ان يتوسط القمر فيما بين المشرق والمغرب فحينئذ ينتهي النقصان

ثم يأخذ الماء في الزيادة الى وقت طلوع القمر فحينئذ تنتهي الزيادة . وهكذا ابداً .

واما الحالة الشهرية فانه يمد ويجزر في الشهر مرتين . اذا كان في اول يوم من الشهر اذا الماء قد انتهت زيادته ثم يأخذ في النقص الى اليوم الثامن فحينئذ ينتهي النقصان ثم يأخذ في الزيادة الى نصف الشهر فاذا انتصف الشهر اذا الزيادة قد انتهت كما كانت في اول يوم من الشهر ثم يأخذ في النقص الى اليوم الثاني والعشرين من الشهر فحينئذ ينتهي النقصان ثم يأخذ في الزيادة الى تمام الشهر فحينئذ تنتهي الزيادة . وهكذا ابدا . حكمة بالغة من حكيم عليم .

واما قوله وقد درس الفلكيون احوال القمر الجغرافية الى آخره .

فجوابه ان يقال كل ما ذكره الفلكيون ههنا عن القمر فهي تخرصات وظنون كاذبة . ومن اين للفلكيين ان يصلوا الى القمر ويدرسوا احواله الجغرافية وهو في السماء بنص القرآن وبين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام بنص الاحاديث الثابتة عن النبي ﷺ فوصول الفلكيين الى القمر مستحيل وظنونهم وتخرصاتهم عما فيه مردودة عليهم .

واما قوله ويقولون ان جبال القمر اقدم بكثير من سلاسل الجبال الارضية بملايين السنين .

فجوابه ان يقال هذا من ابطل الباطل لان الله تعالى قد نص على انه خلق الارض قبل خلق السماء وما فيها فقال تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) وقال تعالى (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها

في اربعة ايام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخـــان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرها قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرهـا وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظـاً ذلك تقدير العزيز العليم) ٠

وروى ابن جرير عـن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السموات والارض فقال ﷺ « خلق الله تعالى الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخـــراب فهذه اربعة (قل ائنكم لتكفـرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ٠ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيهـــا اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين) لمن سـأله ٠ قال وخلق يوم الخميس السماء وخـلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منـه وفي الثانية القى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم واسكنه الجنة وامر ابليس بالسجود له واخرجه منها في آخر ساعة » ٠

وفي الآيات التي ذكرنا مع حديث ابن عباس رضي الله عنهما دليل على ان الارض خلقت قبل السماء وما فيها من الشمس والقمـــر والنجوم ٠ بل في حديث ابن عباس رضي الله عنهما النص عـلى ان الشمس والقمـر والنجوم خلقت يوم الجمعة وهو آخر الايام الستة التي خلق الله فيها الخليقة ٠ وفي هذا ابلغ رد على ما يهذو به طواغيت الافرنج من تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة ان في القمر جبالا اقدم من الجبال الارضية بملايين السنين ٠

وروى ابن جرير ايضاً عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال « ان

الله بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين في الاحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم عــلى عجل فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة » .

وروى ابن جرير ايضاً مـن طريق السدي عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من اصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات) قال ان الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الماء دخانا فارتفع فسما عليه فسماه سماء ثم ايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع ارضين في يومين في الاحد والاثنين وخلق الجبال فيها واقوات اهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والاربعاء وذلك حين يقول (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومـــين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) يقول انبت شجرها (وقدر فيها اقواتها) يقول اقواتها لا هلها (في اربعة ايام سواء للسائلين) يقول قل لمن يسألك هكذا الامر (ثم استوى الى السماء وهـــي دخان) وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لانـــه جمع فيه خلق السموات والارض (واوحى في كل سماء امرها) قال خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه غيره ثم زين السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظا تحفظ من الشياطين فلما فرغ من خلق ما احب استوى على العرش فذلك حين يقول (خلـــق

السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش) ويقـول (كانتا رتقا ففتقناهما) .

وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن مجاهد قال خلق الله الارض قبل السماء فلما خلقت ثار منها دخان فذلك قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان) فسواهن سبع سموات بعضهن فوق بعض وسبع ارضين بعضهن فوق بعض

وقال البغوي في تفسيره عند قوله تعالى (واوحى في كل سماء امرها) قال قتادة يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها .

وقال مقاتل واوحى الى كل سماء مـا اراد من الامر والنهي وذلـك يوم الخميس والجمعة انتهى .

وهذه الاثار تعضد حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور قبلهـــا وتدل على ما دل عليه من تقدم خلق الارض ومـــا فيها من الجبال على خلق السماء وما فيها من الشمس والقمر والنجوم . وفي ذلك رد على من زعم ان في القمر جبالا اقدم من جبال الارض بملايين السنين .

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ٧١ ولقد رصد أسلافنا القمر قبل اهل الشرق والغرب . الى آخر ما نقله من كلام ابن الهيثم في صفحة ٧٣ .

قلت وقد استوفيت الرد على هذه المواضع في آخر الصواعق الشديدة فليراجع هناك .

وقد زعم الصواف في صفحة ٧٣ ان ابن الهيثم عالم مسلم وهذا خطأ ظاهر

فان ابن الهيثم فيلسوف جاهل بالعلوم الشرعية النافعة التي هي العلم على الحقيقة واهلها هم العلماء على الحقيقة . وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واؤلو العلم) وقوله تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق) وقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء)

والفلاسفة ليسوا من المسلمين فضلا عن ان يكونوا من العلماء . قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى ليس الفلاسفة من المسلمين. ونقل عن بعض اعيان القضاة في زمانه انه قيل له ابن سينا من فلاسفة الاسلام فقال ليس للاسلام فلاسفة .

وقد كان ابن الهيثم من اصحاب الحاكم العبيدي وقد ولاه الحاكم بعض الدواوين . وقد تقدم كلام العلماء في تكفير العبيديين وانهم اكفر من المشركين المحاربين من الافرنج وغيرهم واعظم كفرا وردة من كفر اتباع مسيلمة الكذاب ونحوه من الكذابين . ومن تولى شيئا من اعمالهم فهو منهم .وقد قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في جواب له وقد سئل عن المعز بن تميم الذي بنى القاهرة . قال ومما يبين هذا ان المتفلسفة الذين يعلم خروجهم من دين الاسلام كانوا من اتباع مفسر بن قابل احد امرائهم وابي علي ابن الهيثم اللذين كانا في دولة الحاكم نازلين قريبا من الجامع الازهر. وابن سينا وابوه واخوه كانوا من اتباعها انتهى . وفي كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى كفاية في ردما زعمه الصواف من اسلام ابن الهيثم والله اعلم .

فصل

ونقل الصواف في صفحة ٧٤ عن ابن باديس انه قال في الشمس انها هي التي ابصرت القمر

والجواب ان يقال بل الله وحده لا شريك له هو الذي جعل الضياء في الشمس والنور في القمر قال تعالى (هـو الذي جعـل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون) وقال تعالى مخبرا عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال لقومه (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) وقال تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا)

فان قيل ان نور القمر مستفاد من نور الشمس فما وجه الاعتراض على ابن باديس .

فالجواب ان يقال ان اسناد الابصار الى الشمس شرك بالله تعالى لان الله تعالى هو الذي جعل الضياء في الشمس وجعله يمتد منها الى القمر وينعكس منه الى الارض . فهذا كله خلق الله وفعله . والواجب في مثل هذا ان يسند الفعل الى الفاعل المختار لا الى المخلوق المربوب المدبر . ومـن اسند شيئا من افعال الله الى غيره فقد اشرك به .

فصـــل

وذكر الصواف في صفحة ٧٤ ما نقله الالوسي عـــن ابن قتيبة في ذكر منازل القمر الثمان والعشرين وعد منها السماك الرامح وليس هو من المنازل واسقط سعود السعود وهو من المنازل .

وهذا غلط اما من الالوسي او ممن قبله من النساخ ويبعد ان يكون ذلك من ابن قتيبة . وقد نبهت على هذا الغلط في آخر الصواعق الشديدة .

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ٧٨ ما نصه :

واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية ان جرم القمر - كالارض - كان منذ احقاب طـويلة ومـلايين السنين شديد الحمو والحرارة ثم برد فكانت اضاءته في ازمان حموه وزالت لما برد .

لنقف خاشعين متذكرين امام معجزة القـــرآن العلمية . ذلك الكتاب الذي جعله الله حجة لنبيه ﷺ وبرهاناً لدينه على البشر مهما ترقوا في العـلم وتقدموا في العرفان . فان ظلام جرم القمر لم يكن معروفاً ايام نزول الآية عند الامـم الا افرادا قليلين من علماء الفلك . وان حمـو جرمه اولا وزواله بالبرودة ثانياً ما عرف الا في هذا العهد الاخير . والذي تلا هذه الآية واعلن هذه الحقائق العلمية الخطيرة منذ نحو اربعة عشر قرناً من الزمن انما هو نبي امي ﷺ من أمة أمية كانت في ذلك العهد ابعـــد الامم عن العلم ٠ فلم يكن ليعلم هذا ويقوله الا بوحي من الله الذي خلق الخلائق وهو العليم بها وبحقائقها .

والجواب ان يقال أما ما ذكره عن علماء الفلك ان جرم القمر-كالارض- كان منذ احقاب طويلة وملايين السنين شديد الحمو والحرارة ثم برد فكانت اضاءته في ازمان حموه وزالت لما برد .

فهو تخرص لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا معقـول صحيح . وقد انقطع الوحي عن الارض بموت النبي ﷺ ولم يبق الا وحي الشياطين الى اوليائهم بالاكاذيب والظنون التي لا تغني من الحق شيئاً . بل تضل من اتبعها عن سبيل الله وتهديه الى صراط الجحيم .

وهذا الوحي الشيطاني هـــو الذي يعتمد عليه طواغيت الافرنج فيما يزعمونه عن الماضي والمستقبل .

وقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال « سيكون في آخر امتي اناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم » رواه الامام احمد ومسلم في مقدمة صحيحه والبخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه وقال الحاكم صحيح على شرطهما واقره الذهبي في تلخيصه .

وفي رواية لمسلم « يكون في آخر الزمان دجـــالون كذابون ياتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا انتم ولا اباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم» .

وهذا الحديث ينطبق على طواغيت الافرنج الذين يتخرصون عن الماضي والمستقبل وعن الارض والشمس والقمر وغيرهما مـن الاجرام العلوية بما لا علم لهم به ولا مستند لهم فيه سوى ظنونهم الكاذبة .

ومن اين لاعداء الله العلم بأنه كان للارض والقمر منـــذ خلقا احقاب طويلة وملايين مـــن السنين وهم لم يشهدوا خلقهما ولم يأتهم بما زعموه من الاحقاب والملايين خبر عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ .

ومن اين لهم العلم بانهما كانا شديدي الحمو والحرارة ثم بردا بعد ذلك وان القمر كان يضيء في زمان حموه ثم زالت اضاءته لما برد وهم لم يشهدوا ذلك ولم يأتهم بذلك خبر عن الله تعالى ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به عـــلم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا) وقال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (وان تطع

اكثر من في الارض يضلوك عـــن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) .

وفي هذه الايات ابلغ تحذير من القول بغير علم واتباع ما لم يكن في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وســـلم والاصغاء الى تخرصات المتخرصين .

واما قوله لنقف خاشعين متذكرين امام معجزة القرآن العلمية .

فجوابه من وجهين احدهما ان يقال لم يات في كتاب الله تعـالى انه كان للقمر والارض منــذ خلقا احقاب طويلة وملايين مـن السنين . ولم يات في كتاب الله تعالى ان القمر والارض كانا شديدي الحمو والحـرارة ثم بردا بعد ذلك وان القمر كان يضيء في زمان حموه ثم زالت اضاءته لما برد .

كل هذا لم يخبر الله به في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . ومن زعم ان ذلك في كتاب الله وانه من معجزات القرآن العلمية فقد اعظم الفرية على الله وعلى كتابه .

وقد توعد الله المفترين عليه باعظم الوعيد فقـال تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هولآء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عـــن سبيل الله ويبغونها عوجاً) وقال تعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون. متاع قليل ولهم عذاب اليم) وقـال تعالى (وما ظن الذين يفترون عـلى الله الكذب يوم القيامة) وقال تعالى (ويوم القيامـة ترى الذين كذبوا عـلى الله وجوههم مسودة) وقال تعالى (ان الذين اتخذوا العجل سينا لهم غضب من

ربهم وذلة في الحيـاة الدنيا وكذلك نجزي المفترين) قـال ابو قلابة هي والله لكل مفتر الى يوم القيامة .

وقال تعالى (فمن اظلم ممـن افترى على الله كـذباً او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون) والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً .

وروى الامام احمد والترمذي وابن جرير والبغوي عـــن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صـلى الله عليه وسلم انه قال « مـن قال في القران برأيه او بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

الوجـه الثاني ان الصواف لم يقف خاشـعاً متذكراً امام معجزة القرآن العلمية كما زعم ذلك وانمـــا وقف خاشعاً متذكراً امـــام هذيان الفلكيين وتخرصاتهم الوهمية وبحوثهم الجهلية عن جرم القمر والارض • وكلامه الذي ذكرنا في اول الفصل اعظم شاهد عليه بذلك •

واما قوله فان ظلام جـرم القمر لم يكن معـروفاً ايام نزول الآية عند الامم الا افراداً قليلين من علماء الفلك • وان حمو جرمـــه اولا وزواله بالبرودة ثانيا ما عرف الا في هذا العهد الاخير •

فجوابه من وجوه احدها ان يقال أما السواد الذي في القمر فقد جـاء فيه اقوال عن بعض الصحابة والتابعين • قال ابن الجوزي في تفسيره عنـد قوله تعالى (فمحونا آية الليل) فيه قولان احدهما ان آية الليل القمر ومحوها ما في بعض القمر من الاسوداد . والى هذا المعنى ذهب علي وابن عباس رضي الله عنهم في آخرين . والثاني آية الليل محيت بالظلمة التي جعلت ملازمة لليل فنسب المحو الى الظلمة اذ كانت تمحو الانوار وتبطلها ذكره ابن الانباري .

وقال ابن كثير في تفسيره قال ابن جريج عن عبدالله بن كثير في قوله (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) قال ظلمة الليل وسدف النهار.
وقال ابن جريج عن مجاهد الشمس آية النهار والقمر آية الليل (فمحونا آية الليل) قال السواد الذي في وجه القمر وكذلك خلقه الله تعالى .

قلت هذا الاثر والذي قبله قد رواهما ابن جرير في تفسيره باسناده عن ابن جريج .

وقال ابن جريج قال ابن عباس رضي الله عنهما كان القمر يضيء كما تضيىء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار (فمحونا آية الليل) السواد الذي في القمر .

وقد روى ابو جعفر ابن جرير من طرق متعددة جيدة ان ابن الكواء سأل امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين ما هذه اللطخة التي في القمر فقال ويحك أما تقرأ القرآن (فمحونا آية الليل) فهذه محوه .

وقال قتادة في قوله (فمحونا آية الليل) كنا نحدث ان محو آية الليل سواد القمر الذي فيه (وجعلنا آية النهار مبصرة) اي منيرة وخلق الشمس انور من القمر واعظم .

قلت قد رواه ابن جرير في تفسيره باسناده نحوه .

وقال ابن ابي نجيح عن ابن عباس رضي الله عنهما (وجعلنا الليل والنهار آيتين) قال ليلا ونهارا كذلك خلقهما الله عز وجل انتهى .

فهذه اقوال المفسرين في تفسير الآية الكريمة . وحسب المسلم ان يقتصر

في تفسير آيات القرآن على ما نقل عن المفسرين من سلف الامة ولا يتكلف ما لا علم له به .

وأما تفسير الاية الكريمة بما تخرصه الفلكيون وتوهموه بعقولهم الفاسدة من حمو جرم القمر اولا وزواله بالبرودة ثانيا فهذا من الافتراء على الله والالحاد في اياته .

وقد قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى من فسر القرآن والحديث وتاوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه انتهى

ورواية ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما ان القمر كان يضيىء كما تضيىء الشمس لا يعتمد عليها لانها منقطعة .

وايضا فرواية ابن ابي نجيح عنه تعارضها . وقد صرح فيها ان الليل والنهار كذلك خلقهما الله . فهذه الرواية تفيد ان السواد الذي في القمر كان فيه من اصل الخلقة وان قوله تعالى (فمحونا آية الليل) معناه جعل السواد في القمر من اول خلقه . ويدل على ذلك قول مجاهد و كذلك خلقهما اللهتعالى

ومجاهد انما تلقى التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما كما قال محمد بن اسحاق حدثنا ابان بن صالح عن مجاهد قال عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته اوقفه عند كل آية منه واساله عنها .

وروى ابن جرير عن ابن ابي مليكة قال رايت مجاهدا سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن تفسير القرآن ومعه الواحه قال فيقول له ابن عباس

رضي الله عنهما اكتب حتى ساله عن التفسير كله . ولهذا كان سفيان الثوري يقول اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به .

ولو صحت رواية ابن جريج فليس فيها ان جـــرم القمر كان في اول الامر شديد الحمو والحرارة ثم برد بعد ذلك وانما فيها انه كان يضيء كما تضيء الشمس . والاضاءة لا يلزم منها وجود الحمو والحرارة. وايضا فالامور الغيبية انما تعلم من طريق الوحي ولا وحي على ما زعموه من حمو جرم القمر في اول الامر البتة .

الوجه الثاني ان يقال لو كان ما ذكره في معنى الآية صحيحا لكان معروفا عند الصحابة والتابعين فانهم اعلم بمعاني القرآن ومعجزاته وما اريد بـه ممن كان بعدهم ولاسيما علماء الصحابة رضي الله عنهم فانهم قد امتازوا على غيرهم بالفهم التام والاخذ عن النبي ﷺ .

قال ابن مسعود رضي الله عنه كان الرجل منـــا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن رواه ابن جرير باسناد صحيح.

وفي الصحيحين عن مسروق قال قال عبدالله رضي الله عنه والذي لا اله غيره ما من كتاب الله سورة الا انا اعلم حيث نزلت وما من آية الا انا اعلم فيما انزلت .

ورواه ابن جرير ولفظه قال عبدالله والذي لا اله غيره ما نزلت آية في كتاب الله الا وانا اعلم فيم نزلت واين انزلت .

فأما ما توحيه الشياطين من التخرصات والظنون الكاذبة فالصحابة اجل قدرا من ان يتعلقوا بها او تروج عندهم . وكذلك التابعون وتابعوهم باحسان

وائمة العلم والهدى من بعدهم . وانما تروج عند العصريين المفتونين بخرافات الافرنج واكاذيبهم ورجمهم بالغيب .

الوجه الثالث ان يقال من اعظم الازراء بالصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان وائمة العلم والهدى من بعدهم ان يقال انهم جهلوا معنى قوله تعالى (فمحونا آية الليل) وان اهل هذا العهد الاخير من الفلكيين واتباعهم من العصريين الذين هم ابعد الناس عن معرفة معاني القرآن والعمل به هم الذين عرفوه . وهذا ظن سوء بخيار هذه الامة لا يصدر من رجل له ادنى مسكة من عقل .

وأما قوله والذي تلا هذه الاية واعلن هذه الحقائق العلمية الخطيرة منذ اربعة عشر قرنا من الزمن انما هو نبي امي من امة امية كانت في ذلك العهد ابعد الامم عن العلم . فلم يكن ليعلم هذا ويقوله الا بوحي من الله الذي خلق الخلائق وهو العليم بها وبحقائقها .

فجوابه من وجوه احدها ان يقال ان النبي ﷺ قد تلا الاية الكريمة - اعني قول الله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) الآية - وتلقاها عنه اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين. ولم ينقل عنه ﷺ باسناد صحيح ولا ضعيف انه قال كان للارض والقمر منذ خلقا احقاب طويلة وملايين من السنين وانهما كانا شديدي الحمو والحرارة في اول الامر ثم بردا بعد ذلك وان القمر كان يضيء في زمان حموه ثم زالت اضاءته لما برد .

ومن زعم ان النبي ﷺ اعلن هذه الخرافات الجهلية الحقيرة فقد افترى عليه .

وقد تواتر عنه ﷺ انه قال « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

وفي رواية للبخاري وغيره «من يقل علي مالم اقل فليتبوأ مقعده من النار »

الوجه الثاني ان ما ذكره ههنا عن الارض والقمر ليس من الحقائق العلمية الخطيرة في شيء ولا يمت اليها بصلة وانما هو من الخرافات الجهلية الحقيرة التي اوحتها الشياطين الى اوليائهم من طواغيت الافرنج والقتها طواغيت الافرنج الى اتباعهم ومقلديهم من العصريين فتداولوها بينهم حتى وصلت الى الصواف فنشرها مع ما جمعه من هذيان اهل الهيئة الجديدة وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة عن الارض والشمس والقمر والنجوم ثم زعم ان ذلك من علوم المسلمين في الفلك وذلك كذب على المسلمين . فقد جمع ههنا بين الكذب على الله وعلى كتابه وعلى رسوله وعلى المسلمين . ثم زعم ان ذلك من الحقائق العلمية الخطيرة . وهذا من قلب الحقائق كما لا يخفى على من نور الله قلبه بنور العلم والايمان .

الوجه الثالث ان كلام الصواف ينقض بعضه بعضا فقد زعم ان حمو جرم القمر اولا وزواله بالبرودة ثانيا ما عرف الا في هذا العهد الاخير . ثم زعم ان النبى ﷺ قد اعلن هذه الخرافات منذ اربعة عشر قرنا . وهذا تناقض لا يصدر من رجل يعلم ما يقول .

الوجه الرابع ان يقال من اعظم الازراء بالصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ان يقال ان النبي ﷺ اعلن بينهم شيئا من الحقائق العلمية الخطيرة فلم يعرفوها وعرفها افراد غيرهم من اعداء الله من الفلكين وعرفها ايضا اهل هذا العهد الاخير من اهل الهيئة الجديدة واتباعهم من العصريين الذين

هم من اجهل الناس وابعدهم عن العلوم النافعة .

والصحابة رضي الله عنهم اجل قدرا من ان يجهلوا شيئا مما يعلنه رسول الله ﷺ بينهم من انواع العلوم . وقد تلقوا القران والسنة من النبي ﷺ وبلغوهما عنه . وكانوا اعلم الامة بكتاب الله تعالى واقوال النبي ﷺ وافعاله.

وقد قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما «من كان مستتنا فليستن بمن قدمات اولئك اصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الامة ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقــــل دينه فتشبهوا باخلاقهم وطرائقهم فهم اصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة» رواه ابو نعيم في الحلية .

وروى رزين عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه نحوه

واذا كان الصحابة رضي الله عنهم اعمق هذه الامة علما فمحال ان يعلن النبي ﷺ شيئا من الحقائق العلمية الخطيرة عن الارض والقمر ولا يعرفها احد منهم .

ومحال ايضا ان يعرف الفلكيون في العهد الاخير واتباعهم من العصريين من حقائق القران العلمية ما لا يعرفه الصحابة والتابعون وتابعوهم باحسان وائمة العلم والهدى من بعدهم .

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ٨٣ ما نصه :

(حقائق عجيبة ومذهلة عن الكون)

لا تظن ان الخيال هو صاحب هذه الحوادث المثيرة . ان الخيال لا يمكن

ان يصل الى هذه الحقائق العجيبة المذهلة التي توصل اليها علم الفلك الحديث. ان الخيال مثلا لا يمكن ان يتصور ان مرصد كاليفورنيا التقط اخيراً صورة عمرها ستة الاف مليون سنة . ان علماء الفلك اعلنوا حديثاً ان هذه الصورة العجيبة ارسلت من احدى النجوم واستمرت رحلتها ستة الاف مليون سنة لتصل الى الارض . وحقائق اخرى غريبة اكتشفها الانسان تؤكد كلها ان الارض ما هي الا فقاعة في محيط . حقائق اقل ما توصف به انها مذهلة مذهلة.

ثم ذكر في آخر صفحة ٨٣ وما بعدها الى آخر صفحة ٨٧ هذيانا كثيراً لبعض الفلكيين من الافرنج . حاصله ان بعضهم قال ان الشمس ترسل موجات راديو . وانهم اكتشفوا نجمة جديدة قوية تبعد عن الارض بمسافة ١٥٠٠ مليون سنة ضوئية وانهم في عام واحد اكتشفوا ٣٥ منها اطلقوا عليها اسم اشباه النجوم . وان الضوء في انتقاله الينا من اشباه النجوم يستغرق في الرحلة ستة الاف مليون سنة . ولذلك فالمنظر الذي نراه اليوم لهذه الاجرام السماوية النائية هو المنظر الذي كانت عليه منذ ستة الاف مليون سنة وفي ذلك الوقت لم تكن الشمس ولا المجموعة الشمسية موجودة بعد . اذ ان عمر الشمس هو خمسة الاف مليون سنة فقط كما يقولون ـ الى ان قال ـ وقد خرج العلماء بعد هذا بثلاث نظريات علمية مثيرة . ان هذه النظريات . تقول ان الكواكب الاخرى مسكونة وان سكانها سبقوا اهل الارض في اطلاق سفن الفضاء وتفجير القنابل الذرية . ان هذه النظرية اشبه بالخيال .

الشمس ليست الا نجمة من النجوم المتوسطة . والمجموعة التي تنتمي اليها الشمس فيها ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ اي مائة الف مليون نجمة . وبالكون الاف الملايين من مثل هذه المجموعات . وحول الشمس اسرة من عشرة

كواكب . والارض كما هو معروف احد هذه الكواكب . وبين الرقم المجهول الذي ذكرناه للنجوم توجد عشرة الاف مليون نجمة تؤلف حولها اسراً كاسرة الشمس اي توجد عشرة الاف مليون نجمة تدور حولها الكواكب والله اعلم . ثم ذكر الصواف انه نقل هذا الهذيان من جريدة المدينة عدد ٦٤٨ ـ ٦٠٤ .

والجواب ان يقال ليس فيما ذكره الصواف في هذا الموضع شيء من الحقائق البتة وانما هي تخرصات وضلالات سخيفة مضحكة تشبه هذيان المجانين . وسيأتي ذكر الادلة على بطلانها ان شاء الله تعالى . ولا ينشر هذه الجهالات او يصدق بها من له ادنى مسكة من عقل .

واما قوله لا تظن ان الخيال هو صاحب هذه الحوادث المثيرة.

فجوابه ان يقال ليس ذلك بالظن وانما هو اليقين الجازم انها تخرصات وظنون كاذبة وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئا • فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا • ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون . ان ربك هو اعلم من يضل سبيله وهو اعلم بالمهتدين) •

واما قوله ان الخيال لا يمكن ان يصل الى هذه الحقائق العجيبة المذهلة التي توصل اليها علم الفلك الحديث •

فجوابه ان يقال ان الحقائق العجيبة فيما يتعلق بالمغيبات انما تؤخذ من نصوص الكتاب والسنة لا من غيرهما • قال الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون) وقال تعالى مخبرا عن رسوله صلى الله عليه وسلم (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى) •

ومن ادعى شيئا من علم الغيب مما ليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو طاغوت ومن صدقه فهو ممن آمن بالطاغوت شاء ام ابى •

وليس شيء مما ذكر في هذا الفصل منصوصاً عليه في القران ولا في الاحاديث الصحيحة حتى يكون من الحقائق العجيبة المذهلة • واذا لم يكن ذلك في القران ولا في الاحاديث الصحيحة فهو من الظن ونسج الخيال ولا بد•

وأما قوله ان الخيال مثلا لا يمكن ان يتصور ان مرصد كاليفورنيا التقط اخيراً صورة عمرها ستة آلاف مليون سنة . ان علماء الفلك اعلنوا حديثا ان هذه الصورة العجيبة ارسلت من احدى النجوم واستمرت رحلتها ستة آلاف مليون سنة لتصل الى الارض .

فجوابه من وجوه احدها ان يقال وهل ظننت ايها الصواف ان مرصد كاليفورنيا ينزل عليه الوحي من السماء حتى تزعم ان ما يلتقط فيه فهو من الحقائق العجيبة .

ان المراصد كلها اضعف واعجز من ان يتوصل بها الى اكتشاف ما في السماء الدنيا وهي مسيرة خمسمائة عام وهي عن اكتشاف مافوق السماء اضعف واعجز . فضلا عن التوصل بها الى اكتشاف ما يهذو به اعداء الله من المسافات

التي تبلغ ملايين الملايين من السنين . فهذه الدعوى مـــن اسخف الخيال واسمج الهذيان .

الوجه الثاني ان ما زعموه من التقاط الصورة التي ارسلت مـن احـدى النجوم فهي اكذوبة نسجها خيال اهل المرصد وظنونهم الكاذبة وليستمن الحقائق ولا تمت اليها بصلة .

الوجه الثالث ان يقال لو كان مازعموه مـن التقاط الصورة حقا لكان تحديدهم لعمرها بستة آلاف مليون سنة من الرجم بالغيب، وذلـــك حرام . فكيف وكلام اعداء الله كله كذب من اوله الى آخره .

الوجه الرابع ان النجوم كلها في السماء الدنيا بنص القرآن قال الله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) وقال تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين . وحفظناها من كل شيطان رجيم) .

قال مجاهد وسعيد بن جبير وابو صالح والحسن وقتـــادة البروج هي الكواكب العظام . وقال البغوي هي النجوم الكبار ماخوذمن الظهوريقال تبرجت المرأة اي ظهرت وقال ايضا وسميت بروجا لظهورها .

وقال تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينةالكواكب.وحفظامن كلشيطان مارد) وقال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومـــا للشياطين) وقال تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلـــك تقدير العزيز العليم) .

ففي هذه الايات كلهـا النص على ان الكواكب في السماء . وفي الآية مـن

سورة الصافات وما بعدها النص على انها في السماء الدنيا .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة » رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم اربعة من الصحابة وهم عبد الله بن عمرو وابو هريرة والعباس وابو سعيد رضي الله عنهم . وروي ايضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً وله حكم الرفع . وقد ذكرت هذه الاحاديث في اول الصواعق الشديدة مع الادلة على سكون الارض فلتراجع هناك .

وفي الآيات التي ذكرنا مع هذه الاحاديث ابلغ رد على ما هذى به اهل مرصد كاليفورنيا من التقاط صورة من نجمة تبعد عن الارض بملايين الملايين من السنين .

الوجه الخامس قال بعض السلف ان ارتفاع العرش عن الارض السابعة خمسون الف سنة • ورواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما . ولو كان الامر على ما هذى به اهل مرصد كاليفورنيا في بعد النجمة التي زعموا انهم التقطوا الصورة منها لكان محلها فوق العرش . وهذا من ابطل الباطل فانه ليس فوق العرش شيء سوى الله تعالى •

واما قوله وحقائق اخرى غريبة اكتشفها الانسان تؤكد كلها ان الارض ما هي الا فقاعة في محيط .

فجوابه ان يقال أما ما زعمه اهل الهيئة الجديدة واتباعهم عن الاجرام العلوية فكله هذيان وظنون كاذبة ليست من الحقائق ولا تمت اليها بصلة . وقد نبهت على كثير من مزاعمهم الباطلة في الصواعق الشديدة فلتراجع هناك .

ونبهت ايضاً على مواضع منها في اثناءهذا الكتاب . وسياتي التنبيه على مواضع اخر فيما بعد ان شاءالله تعالى.

واما تصغيره وتحقيره للارض فقد تقدم الكلام عليه في اول الكتاب فليراجع هناك .

واما قوله حقائق اقل ما توصف به انها مذهلة مذهلة .

فجوابه ان يقال ليس فيما تخرصه فلاسفة الافرنج عن الاجرام العلوية شيء من الحقائق البتة وانما هي توهمات وخرافات ورجم بالغيب اقل ما توصف به انها مضحكة مضحكة .

واما قولهم ان الشمس ترسل موجات راديو وانهم اكتشفوا نجمة جديدة قوية تبعد عن الارض بمسافة ١٥٠٠ مليون سنة ضوئية وانهم في عام واحد اكتشفوا ٣٥ منها اطلقوا عليها اسم اشباه النجوم وان الضوء في انتقاله الينا من اشباه النجوم يستغرق في الرحلة ستة الاف مليون سنة . وان المنظر الذي نراه اليوم لهذه الاجرام السماوية النائية هو المنظر الذي كانت عليه منذ ستة الاف مليون سنة . وفي ذاك الوقت لم تكن الشمس ولا المجموعة الشمسية موجودة بعد .

فجوابه ان يقال هذا كله تخرص وهذيان لا يصدر ممن له ادنى مسكة من عقل . ولا ينشره او يصدق به من له ادنى مسكة من عقل .

وتسميتهم لبعض النجوم باشباه النجوم مخالف لما سماها الله به في كتابه فان الله تعالى سماها بروجاً ونجوماً وكواكب ومصابيح ولم يسم شيئاً منها باشباه النجوم ولم يخبرنا ان في السماء اجراماً تشبه النجوم وليست من النجوم فهذه التسمية التي اخترعوها لبعض النجوم مع ما زعموه من بعدها الشاسع جداً

عن الارض وتحديدهم لمدة انتقال الضوء منها الى الارض وزعمهم انها خلقت قبل الشمس بالف مليون سنة . كل ذلك باطل وضلال وهذيان يشبه هذيان المجانين .

وقد قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصغى اليه افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) الى قوله تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون).

وكل ما في هذا الفصل من اوله الى آخره بل كل مانقله الصواف في رسالته من توهمات فلاسفة الافرنج وتخرصاتهم فهو من زخرف القول الذي اوحته شياطين الجن الى شياطين الانس ونشرته شياطين الانس لاوليائهم واتباعهم من العصريين فصغت اليه افئدتهم ورضوه وتمسكوا به اعظم مما يتمسكون بنصوص الكتاب والسنة واشتد انكارهم على من رد ذلك من المسلمين . وهذا من زيغ القلوب وانتكاسها فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

واما قولهم ان عمر الشمس هو خمسة الآف مليون سنه .

فجوابه ان يقال هذا من الرجم بالغيب والقول بغير علم وذلك من اعظم المحرمات . وقد قال الله تعالى (قتل الخراصون . الذين هم في غمرة ساهون) وقال تعالى (ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا) وقال تعالى (ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم) .

فهولاء الكذابون المتعاطون لما استأثر الله به من علم الغيب لم يشهدوا

خلق السموات والارض وما فيهما ولم ياتهم خبر عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ بما زعموه من تحديد عمر الشمس وغيرها من الاجرام العلوية . فمن اين لهم العلم بذلك وهو من امور الغيب التي لا يعلمها الا الله تعالى . وقد قال الله تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) .

وقد اخبر الله تعالى في عدة مواضع من كتابه انه خلق السموات والارض في ستة ايام . وقال تعالى في سورة حم السجدة (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين. ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) .

فاخبر تبارك وتعالى انه خلق الارض وما فيها في اربعة ايام وخلق السموات وما فيهن في يومين . والشمس والقمر والنجوم من جملة ما خلقه الله في اليومين .

قال البغوي في تفسيره عند قوله تعالى (واوحي في كل سماء امرها) قال قتادة والسدي يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها . وقال مقاتل واوحى الى كل سماء ما اراد من الامر والنهي وذلك يوم الخميس والجمعة انتهى .

وقد قال الله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) وقال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون . ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات

والارض لآيات لقوم يتقون) وقال تعالى مخبرا عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال لقومه (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) وقال تعالى (وبنينا فوقكم سبعا شدادا . وجعلنا سراجا وهاجا) .

وقد تقدم حديث ابن عباس رضي الله عنهما المرفوع وفيه ان الله خلق الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق الشجر والماء يوم الاربعاء وخلق السماء يوم الخميس وخلق النجوم والشمس والقمر والملائكة وآدم يوم الجمعة . رواه ابن جرير .

وقد اختلف المفسرون في مقدار الستة الايام التي خلقت فيها السموات والارض على قولين • قال ابن كثير والجمهور على انها كايامنا هذه . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وكعب الاحبار ان كل يوم منها كالف سنة مما تعدون . رواه ابن جرير وابن ابي حاتم واختار هذا القول الامام احمد بن حنبل في كتابه الذي رد فيه على الجهمية وابن جرير وطائفة من المتاخرين انتهى •

وفي الآيات التي ذكرنا مع حديث ابن عباس رضي الله عنهما دليل على ان الشمس والقمر والنجوم خلقت مع السموات . بل في حديث ابن عباس رضي الله عنهما النص على ان الشمس والقمر والنجوم خلقت يوم الجمعة وهو آخر الايام الستة التي خلق الله فيها الخليقة • وفي هذا ابلغ رد على ما يهذو به طواغيت الافرنج في بعض النجوم - وهي التي يسمونها اشباه النجوم - انها خلقت قبل الشمس بالف مليون سنة .

وقد تقدم ما ذكره ابن قتيبة في المعارف عن المدة التي كانت منذ خلق

آدم الى ان ولد النبي ﷺ وانها كانت سبعة آلاف وثمانمائة واثنتين وخمسين سنة . وقد مضى منذ ولد النبي ﷺ الى سنتنا هذه وهي سنة ١٣٨٨ هـ الف واربعمائه واحدى واربعون سنة فيكون منذ خلق آدم الى هذه السنة تسعة الاف ومائتان وثلاث وتسعون سنة . وهذا يعارض ما تخرص به طواغيت الافرنج في عمر الارض والشمس والنجوم وما يسمونها اشباه النجوم والله اعلم.

ولما تكلم بعض الناس في عدة اصحاب الكهف بغير دليل انكر الله ذلك عليهم واخبر ان ذلك من الرجم بالغيب . قال ابن كثير في قوله (قل ربي اعلم بعدتهم) ارشاد الى ان الاحسن في مثل هذا المقام رد العلم الى الله تعالى اذ لا احتياج الى الخوض في مثل ذلك بلا علم لكن اذا اطلعنا على امر قلنا به والا وقفنا انتهى .

ثم قال تعالى (قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض) الآية قال ابن كثير رحمه الله تعالى اي اذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم في ذلك وتوقيف من الله تعالى فلا تتقدم فيه بشيء بل قل في مثل هذا (الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض) انتهى . واذا كان هذا في واقعة حدثت في الارض فكيف بالذين يزعمون انهم يعلمون ما في السماء وما يبعد عن الارض بآلاف الملايين من السنين على حد زعمهم الكاذب .وكذلك الذين يزعمون انهم يعلمون وقت ابتداء خلق الارض ومدة عمرها وعمر الشمس وغيرها من الاجرام العلوية . فهولآء اولى بالانكار من الذين تكلموا في عدة اصحاب الكهف بلا مستند والله اعلم .

واما قوله وقد خرج العلماء بعد هذا بثلاث نظريات علمية مثيرة الى آخر كلامه .

فجوابه من وجوه احدها ان يقال ان المغيبات لا تعلم بالنظريات وانما

تعلم من طريق الوحي لا غير . وكل ما ذكر في هذا الفصل فهو من المغيبات وكلامهم فيها مردود اذ لا وحي على ما زعموه ههنا البتة .

الوجه الثاني ان ما ذكر ههنا عن الفلكيين ليست بنظريات علمية وانما هي تخرصات وظنون كاذبة لا تخفى الا على جاهل لا يعرف الحق من الباطل.

الوجه الثالث ان الصواف كرر اسم العلماء في ثلاثة مواضع من هذا الفصل واراد بهم الفلكيين الذين نقل عنهم من التخرصات والظنون الكاذبة ما نقل وهذا من قلب الحقيقة فانهم ليسوا بعلماء وانما هم من اهل الجهل والغباوة على الحقيقة .

واسم العلماء عند الاطلاق انما يراد به علماء الشريعة دون من سواهم قال الله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقال تعالى (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واؤلو العلم) وقال تعالى (ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد).فالموصوفون في هذه الآيات هم العلماء على الحقيقة . وأما غيرهم فلابد فيهم من التقييد كما يقال علماء اليهود وعلماء النصارى وعلماء الفلك وعلماء النسب وعلماء الطب وعلماء الهندسة ونحو ذلك .

الوجه الرابع ان نظرية الفلكيين في الكواكب وزعمهم انها مسكونة وان سكانها سبقوا اهل الارض في اطلاق سفن الفضاء وتفجير القنابل الذرية ليست بشبه خيال كما زعمه الصواف وانما هي خيال صرف ورجم بالغيب . ولم يأت في القرآن ولا في السنة ما يدل على ان الكواكب مسكونة فضلا عما تخرصوه وتوهموه بعقولهم الفاسدة من ان سكانها سبقوا اهل الارض في اطلاق سفن الفضاء وتفجير القنابل الذرية . وقد قال الله تعالى (ولا تقف ما

ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنـــه مسئولا)
وقال تعالى (قتل الخراصون . الذين هم في غمرة ساهون) وقال تعالى (وما
يتبع اكثرهم الا ظنـاً ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون)

واما قولهم في الشمس انها نجمة من النجوم المتوسطة • وان المجموعةالتي تنتمي اليها الشمس فيها مائة الف مليون نجمة . وان في الكون آلاف الملايين من مثل هذه المجموعات وان الارض احد الكواكب التي يزعمون انها اسرة الشمس وانه يوجد عشرة الاف مليون نجمة تدور حولها الكواكب • فكلها خيالات سخيفة وظنون كاذبة لا تروج الا على من هـو من اجهل الناس • وقد قال الله تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون) .

وقد تقدم التنبيه على بطلان ما زعموه من تعدد الشموس في اثنـــاء الكتاب مع الكلام على مزاعم الصواف في الشمس فليراجع هناك .

واما زعمهم في الارض انها احد الكواكب التي تدور حول الشمس فقد استوفيت الرد عليه في الصواعق الشديدة فليراجع هناك •

وامـــا زعمهم ان في الكـــون عشرة آلاف مليون نجمة تدور حولها الكواكب فقد استوفيت الرد عليه في الصواعق الشديدة في المثـــال الثامن عشر من الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة فليراجع هناك .

فصـــل

وفي صفحة ٩٠ ذكر الصواف طغاة مكة من كفار قريش وقال فيهم ما نصه « الذين اغواهم الشيطان وختم على سمعهم وابصارهم وقلوبهم » •

والجوب عن هذا من وجهين احدهما ان الختم لا يكون من الشيطان وانما يكون من الله تعالى كما قال تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) وقال تعالى (افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه) والختم هو الطبع . وقال تعالى (وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال تعالى (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) وقال تعالى (ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) والآيات في هذا المعنى كثيرة .

الوجه الثاني ان الابصار لا يختم عليها كما توهمه الصواف وانما تجعل عليها الغشاوة كما قال الله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة) وقال تعالى (افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون) .

فخص تبارك وتعالى القلوب والاسماع بالختم وخص الابصار بجعل الغشاوة عليها .

قال ابن جرير وقوله (وعلى ابصارهم غشاوة) خبر مبتدأ بعد تمام الخبر عما ختم الله عليه من جوارح الكفار الذين مضت قصصهم .

وقال البغوي (وعلى ابصارهم غشاوة) هذا ابتداء كلام . غشاوة اي غطاء فلا يرون الحق .

وقال ابن كثير واعلم ان الوقف التام على قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) وقوله (وعلى ابصارهم غشاوة) جملة تامة فان الطبع يكون على القلب وعلى السمع . والغشاوة وهي الغطاء تكون على البصر .

وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما . ختم الله على قلوبهم

وعلى سمعهم والغشاوة على ابصارهم .

وروى ابن جرير ايضا عن ابن جريج قال الختم على القلب والسمع . والغشاوة على البصر .

قال ابن جرير والغشاوة في كلام العرب الغطاء ومنه قول الحارث بن خالد بن العاص •

تبعتك اذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

فصل

وقال الصواف في صفحة ٩٣ نقلا عن تفسير طنطاوي جوهري ماملخصه

ان العجب لياخذنا كل ماخذ ويدهشنا ان نكون في عالم بديع الاتقان عجيب البنيان ـ الى ان قال ـ كيف تجعل الكواكب التي عدت بمئات الملايين كانها درر مرصعة في سقفنا ـ الى ان قال ـ ولبديع وحسن الاتقان وجمال الوضع تتراءى لنا انها انما وضعت لاجلنا وليزين بها سقفنا ـ الى ان قال ـ فالشمس من تلك الشموس تشرف على سياراتها وعلى اراضيها . ثم هي من جهة تجعل زينة في سماء كل شمس وكل ارض وكل سيارة ويكون قدرها في تلك الزينة مختلفا باختلاف الآفاق التي تتراءى لها . وكما ان الكواكب مرصعة في سمائنا فان شمسنا مرصعة في ملايين الآفاق المحيطة بالكرات .

والجواب ان يقال هذا كله هذيان لا حاصل تحته . وتفسير طنطاوي جوهري مملوء من الهذيان وتخرصات الافرنج وظنونهم الكاذبة فلا يغتر به.

وما زعمه من تعدد الشموس فقد تقدم رده في اثناء الكتاب مع الكلام على مزاعم الصواف في الشمس فليراجع هناك . وكذلك قد استوفيت الرد

عليه في الصواعق الشديدة في المثال الحادي عشر من الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة فليراجع ايضا .

واما قوله ولبديع وحسن الاتقان وجمال الوضع تتراءى لنا انها انما وضعت لاجلنا وليزين بها سقفنا .

فجوابه ان يقال وما تنكر من ذلك والله تبارك وتعالى يقول (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) ويقول ايضا (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الآيات الى قوله (والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهاراً وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون . وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم) ويقول ايضاً (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ويقول ايضاً (الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) ويقول ايضاً (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين) ويقول ايضاً (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا) ويقول ايضاً (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) ويقول ايضاً (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً) ويقول ايضاً (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) ويقول ايضاً (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) .

ففي هذه الآيات النص على ان الله تعالى قد جعل الكواكب زينة للسماء الدنيا التي هي سقف ما تحتها من المخلوقات . وجعلها ايضاً للناس ليهتدوا بها

في ظلمات البر والبحر . وفيها ايضاً الرد على من تأول في النجوم خلاف ما اخبر الله به ورسوله ﷺ .

وقد قال قتادة رحمه‌الله تعالى خلق الله هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك اخطأ واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به . ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً مجزوماً به ووصله عبد بن حميد وابن ابي حاتم وغيرهما .

واما قوله فالشمس من تلك الشموس تشرف على سياراتها وعلى اراضيها ثم هي من جهة تجعل زينة في سماء كل شمس وكل ارض وكل سيارة .

فجوابه ان يقال مراده بالشموس الكواكب الثوابت التي زعم انها عدت بمئات الملايين . وزعم الصواف في صفحة ٨٧ انه يوجد عشرة آلاف مليون نجمة تؤلف حولها اسراً كاسرة الشمس اي تدور حولها الكواكب . واذا كان لكل شمس من هذه الشموس المزعومة سماء وارضون ونجوم سيارات كما تخيلوه بعقولهم الفاسدة فان السموات تكون عشرة الاف مليون سماء وتكون الارضون كذلك او اكثر وتكون النجوم السيارات اكثر من ذلك باضعاف مضاعفة .

وهذا هو هذيان المجانين بعينه وهو مردود بنصوص القرآن والسنة واجماع اهل السنة والحديث على ان السموات سبع فقط وان الارضين سبع فقط.

اما نصوص القرآن فقول الله تعالى مخبراً عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً . وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) وقوله تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور.

ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير) وقوله تعالى (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) وقوله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) وقوله تعالى (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرها قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) الاية . وقوله تعالى(قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل افلا تتقون) وقوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن) الاية. وقوله تعالى (وبنينا فوقكم سبعاً شداداً) .

ففي هذه الآيات كلها النص على ان السموات سبع ففيها الردعلى من زعم ان السموات اكثر من سبع • وفيها ايضا الرد على اهل الهيئة الجديدة الذين ينكرون وجود السموات ويزعمون ان سعة الجو غير متناهية .

وفي الآية من سورة الطلاق دليل على ان الارضين سبع كالسموات ففيها الرد على من زعم ان الارضين اكثر من سبع .

وأما نصوص السنة على ان السموات سبع وان الارضين سبع فكثيرة جدا . وقد ذكرت طرفا منها في الصواعق الشديدة في المثال الثالث من الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة فلتراجع هناك ففيها الرد على من زعم ان السموات اكثر من سبع وان الارضين اكثر من سبع .

وأما الاجماع فقد ذكر الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي في آخر

كتابه « الفرق بين الفرق » عن اهل السنة انهم اجمعوا على ان السموات سبع طباق خلاف قول من زعم من الفلاسفة والمنجمين انها تسع .

وذكر شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى عن ابي بكر الانباري انه ذكر اجماع اهل الحديث والسنة على ان الارضين سبع بعضهن فوق بعض • وفي هذا رد على من زعم ان السموات اكثر من سبع وان الارضين اكثر من سبع .

وأما قوله وكما ان الكواكب مرصعة في سمائنا فان شمسنا مرصعة في ملايين الآفاق المحيطة بالكرات

فجوابه ان يقال لم يأت في القرآن ولا في السنة ما يدل على ان الكواكب مرصعة في السماء كالمسامير في الباب بل فيهما ما يدل على انها تجري كما تجري الشمس والقمر قال الله تعالى (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) وقال تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) .

قال ابن كثير في الكلام على الآية الاولى ينبه تعالى عباده على آياته العظام ومننه الجسام في تسخيره الليل والنهار يتعاقبان والشمس والقمر يدوران والنجوم الثوابت والسيارات في ارجاء السموات نورا وضياء ليهتدى بها في الظلمات وكل منها يسير في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه يسير بحركة مقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص عنها . والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسهيله انتهى .

وقال تعالى (فلا اقسم بالخنس . الجوار الكنس) قال علي رضي الله عنه هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل. رواه ابن جرير وابن ابي حاتم. قال ابن كثير وكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والسدي وغيرهم انها النجوم . قال وقال بعض الائمة انما قيل للنجوم الخنس اي في حال طلوعها ثم هي جوار في فلكها وفي حال غيبوبتها يقال لها كنس من قول العرب اوى الظبي الى كناسه اذا تغيب فيه .

وقال ابن منظور في لسان العرب جرت الشمس وسائر النجوم سارت من المشرق الى المغرب . قال وقوله تعالى (فلا اقسم بالخنس. الجوار الكنس) يعني النجوم .

وروى ابن ابي حاتم من طريق عبدالله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول (وكل في فلك يسبحون) قال النجوم والشمس والقمر .

وقال تعالى (فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين) الافول الغيبوبة .

وروى الامام احمد والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ان اهل الجنة ليتراءون في الغرفة كما يتراءون الكوكب الشرقي او الكوكب الغربي الغارب في الافق او الطالع في تفاضل الدرجات» الحديث وهذا لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح .

وروى الامام احمد والترمذي ايضا وابن ماجه عن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما» قال الترمذي هذا حديث حسن .

وفيما ذكرته من الآيات والاحاديث دليل على ان النجوم تجري وتسبح في الفلك كما تجري الشمس فيه والقمر.

وفيها الرد على من زعم انها مرصعة في السماء

وأما قوله فان شمسنا مرصعة في ملايين الآفاق المحيطة بالكرات .

فجوابه من وجهين احدهما ان يقال ان الشمس تجري وتسبح في الفلك وتدور على الارض كما دلت على ذلك الادلة الكثيرة من الكتاب والسنة وقد ذكرتها في اول الصواعق الشديدة فلتراجع هناك . وما كان جاريا على الدوام فليس مرصعا في شيء من الآفاق فضلا عما هذى به طنطاوي جوهري من كونها مرصعة في مئات الملايين من السموات .

الوجه الثاني ان مراده بملايين الآفاق المحيطة بالكرات ان كل كوكب من الكواكب التي تعد عنده بمئات الملايين له سماء تخصه . وان كل ارض من الارضين التي تعد عنده بمئات الملايين لها سماء تخصها .وان كل سيارة من السيارات التي تعد عنده بمئات الملايين لها سماء تخصها . وقد صرح بذلك في قوله ثم هي من جهة تجعل زينة في سماء كل شمس وكل ارض وكل سيارة . وقد تقدم رد هذا الهذيان قريبا فليراجع

فصل

وقال الصواف في صفحة ٩٧و٩٨ ما نصه

البروج التي في قوله تعالى (والسماء ذات البروج) هي النجوم العظام في هذا الفلك العظيم منها ما نراه باعيننا المجردة . ومنها ما لم يصل نوره الينا حتى الان . لذا فهي لا ترى حتى بالمكبرات والمراصد الكبيرة الحساسة .

ويقول علماء الفلك ان من النجوم نجوماً سوف لا يصل نورهـــا الى كرتنا الارضية في اقل من الف وخمسمائة مليون سنة ضوئية . مع العلم بان الضوء يسير في الثانيـة الواحدة ثلثمائة الف كيلو متر . ويصل في سيره الى القمر في قدر ثانية وثلث الثانية • ولو جـرى حول الكرة الارضيـة لدار حولها في الثانية الواحـدة ثمان مرات . ولو اطلق مدفع فان قنبـلة تجري وتسير نحو سنة ونصف السنة حتى تقطع المسافة التي يقطعها الضوء في ثانية واحدة . فما ابعد الكواكب عنا . وما اعظم خالق هذه الكواكب ومسيرها ومـــدبرها ومضيئها الجليل القدير على كل شيء . وقد قلنا ان الله تباركت اسماؤه اقسم بهذه الكواكب لما فيها من عجيب الصنعة وباهر الحكمة . وهـــو عز وجل يحثنا على البحث عن هذه الكواكب وما فيها من عوالم لنستدل بذلك على عظيم قدرته وجليل حكمته وبالغ عظمته . وصدق الله العظيم اذ يقول (فلااقسم بمواقع النجـوم • وانه لقسم لو تعلمون عظيم) ولله العظمة والجلال اذ ينبه الى عظمة الكون ليهيج الناس ويشوقهم ويدعوهم الى الاطلاع على تلك العوالم الجبارة في الحيـاة وهي فوقهم في السماء التي يشاهدونهـا ويرون النجوم فيها مبعثرة هنا وهناك ولا نرى من نورها الا واحداً من الاف الملايين من حقائق انوارها واقدارها . واكبرها ترى صغيرة دقيقة الجرم وهي قد تفوق ارضنا سعة وحجما .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال من اين للصواف العلم بأن في السماء نجوما لم يصل نورها الى اهل الارض حتى الآن (اعنده علم الغيب فهو يرى) .

والله تبارك وتعالى لم يخبرنا في كتابه ولا على لسان رسوله ﷺ ان في

السماء نجوما لم يصل نورها الى اهل الارض حتى الآن • وقد انقطع الوحي بموت النبي ﷺ فلم يبق للصواف واشباهه وسلفهم من فلاسفة الافرنج مستند سوى وحي الشياطين اليهم بالتخرصات والظنون الكاذبة • فهذا الوحي الشيطاني هو عمدتهم فيما يزعمونه عن المغيبات والاجرام العلوية .

الوجه الثاني ان الكواكب كلها في السماء الدنيا بنص القرآن قال الله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً) وقال تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب • وحفظاً من كل شيطان مارد) وقال تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين • وحفظناها من كل شيطان رجيم) وقال تعالى (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) .

وقد ثبت عن النبي ﷺ انه قال « بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة » رواه عن النبي ﷺ اربعة من الصحابة وهم عبدالله بن عمرو وابو هريرة والعباس وابو سعيد الخدري رضي الله عنهم • وروي ايضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً وله حكم الرفع ، وقد ذكرت هذه الاحاديث في الصواعق الشديدة مع الادلة على ثبات الارض فلتراجع هناك •

واذا كانت الكواكب زينة للسماء الدنيا فبعدها عن الارض لا يزيد على خمسمائة سنة . فما زعموه من البعد المفرط في بعض الكواكب مردود بالآيات التي ذكرنا .

الوجه الثالث ان يقال لو كان ما زعمه الفلكيون صحيحاً لكان يتجدد في كل زمان نجوم لم يكن اهل الارض يعرفونها من قبل . ولو وقع ذلك

لذكره الناس فيما يذكرونه من الحوادث وتناقلوه قرناً بعد قرن ولكن لا وجود لذلك ابداً . والنجوم لم تزل ولا تزال على الحال التي خلقها الله عليها . فما كان منها يرى بالعين المجردة او بالمكبرات من اول الامر فهو لا يزال على حاله . وما كان ضعيف الضوء لا يرى بالعين المجردة ولا بالمكبرات فهو لا يزال على حاله .

الوجه الرابع ان الفلكيين زعموا ان النور يصل الى القمر في ثانيةوثلث ثم زعموا في النجوم ما زعموه من الابعاد المتفاوتة وان منها ما لا يصل النور منه في اقل من الف وخمسمائة مليون سنة . وهذا تفريق بين ما جمع الله بينه فان القمر في السماء بنص القرآن . والكواكب قد جعلت زينة للسماء الدنيا بنص القرآن . فما وصل من القمر في ثانية وثلث وصل من الكواكب فيمثل ذلك . ومن فرق بين ما جمع الله بينه فقوله مردود عليه .

واما قوله فما ابعد الكواكب عنا

فجوابه ان يقال ان بعدها لا يزيد على خمسمائة سنة لان الله تعالى قد جعلها زينة للسماء الدنيا كما قد نص على ذلك في عدة آيات من القرآن . وبين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة كما هو ثابت بالنصوص عن النبي ﷺ . فمن زعم ان من الكواكب ما يبعد عن الارض اكثر من خمسمائة سنة فقوله مردود بنصوص الكتاب والسنة .

واما ما يزعمه اهل الهيئة الجديدة واتباعهم في بعد بعضها عن الارض بآلاف الملايين من السنين فهو تخرص وهذيان لا حقيقة له .

واما زعمه ان الله تعالى حث على البحث عن الكواكب وما فيها من العوالم.

فهو من الكذب على الله تعالى . وقد قال الله تعالى (ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب اليم) وقال تعالى (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) .

وليس في القرآن ما يدل على ان في الكواكب عوالم فضلا عن ان يكون فيه الحث على البحث عنها وعما فيها .

والبحث انما يكون عن الاشياء الخفية . والله تبارك وتعالى لم يأمر الناس بالبحث عن الاشياء الخفية والرجم عنها بالغيب . وانما امرهم بالنظر والتفكر فيما يشاهدونه من آياته الظاهرةالتي يراها كل بصير ويعرفها كل عاقل فقال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) .

قال البغوي اي قل للمشركين الذين يسألونك الآيات انظروا ماذا في السموات والارض من الآيات والدلائل والعبر ففي السموات الشمس والقمر والنجوم وغيرها . وفي الارض الجبال والبحار والانهار والاشجار وغيرها انتهى .

ونظير هذه الآية قوله تعالى (اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء) الآية . وقوله تعالى (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الارض كيف سطحت) وقوله تعالى (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) .

قال القرطبي وهم يعني الكفار (عن آياتها معرضون) بين ان المشركين غفلوا عن النظر في السموات وآياتها من ليلها ونهارها وشمسها وقمرها وافلاكها ورياحها وسحابها وما فيها من قدرة الله تعالى اذ لو نظروا واعتبروا لعلموا

ان لها صانعا قادرا واحدا فيستحيل انيكون له شريك انتهى .

وقال تعالى (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)

والآيات في الحث على التفكر والاعتبار بالآيات الكونية كثيرة جدا . وليس في شيء منها ما يدل على البحث عن المغيبات كما توهمه الصواف . بل ذلك مما نهى الله عنه في قوله (ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا)

وأما كلام الصواف على الآية من سورة الواقعة فهو من تحريف الكلم عن مواضعه . والله تبارك وتعالى انما اقسم بمواقع النجوم لينبه عباده على عظمة القرآن لا ليهيجهم ويشوقهم ويدعوهم الى الاطلاع على العوالم الجبارة كمازعمه الصواف . ومن اين لبني آدم الوصول الى السماء والاطلاع على ما فيها لو كان الصواف يعقل .

وأما زعمه ان بعض النجوم قد تفوق الارض سعة وحجما فهو قول لادليل عليه من كتاب ولاسنة ولامعقول صحيح وانما هو من التخرص واتباع الظن. وقد تقدم التنبيه على بطلانه في اول الكتاب عند كلام الزهاوي في تصغير الارض وتحقيرها فليراجع هناك .

فصل

وقال الصواف في صفحة ٩٨و٩٩ مانصه ٠

يقول علماء الفلك ان الشعرى اليمانية اثقل من الشمس جرما بعشرين مرة ونورها خمسون ضعف نور الشمس . وهي ابعـــد منها مليون ضعف بعدها عنا . وان الشعرى اليمانية تجري بسرعة الف ميـــل في الدقيقة . لذا خصها الله عز وجل في كتابه العزيز اذ قال (وانه هو رب الشعرى) وهناك الشعرى الشامية لها خصائص ومميزات اخرى . والشعرى اليمانية هذه التي نراها قبل اليمن وهي في النظر بقدر الجوزة او البيضة وهي اسطع من خمسين شمسا كشمسنا ولا يصل الينا نورها الا في ستة عشر سنة . ولا يصل من نورها الينا الا واحد من الفي مليون منه . وثلاث من بنات نعش يفقـن الشمس نورا . واحدة منهن اربعمائة ضعف . والثانية اربعمائة وثمانين . والثالثة الف ضعف. وسهيل اضوأ من الشمس الفين وخمسمائة مرة. والسماك الرامح حجمه ثمانون ضعف حجم الشمس ولا يصل الينا ضوؤه الا في مائتي سنة

هذه كلها تقديرات علماء الفلك والله اعلم بصحتها. ولكنها تدل بوضوح على عظمة الخالق جل وعلا وكمال قدرته وفائق صنعته

والجواب ان يقال ماذكره الصواف ههنا عن الفلكيين فكله هوس وهذيان لا يصدر من عاقل . وهو مما يضحك منه السفهاء فضلا عـــن العقلاء . ولا يروج الا على من اضله الله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة.

فاما زعمهم ان الشعرى اليمانية اثقل من الشمس جرماً بعشرين مرة .

فجوابه ان يقال لو اجتمع الاولون والاخرون من الانس والجن لمـــا قدروا على وزن جبل من الجبال. وهم عن الارتقاء الى السماء ووزن ما فيها من الشمس والنجوم اعجز واعجز .

ولم يأت عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ نص بقـــدر وزن الشمس

والنجوم . وما ليس عليه دليل فليس عليه تعويل •ومن زعم معرفة وزنها وما بين بعضها والبعض الاخـر من التفاوت في الثقل فليس له مستند سوى التخرص والرجـم بالغيب . وقد قال الله تعالى (قتل الخراصون . الذين هم في غمرة ساهون)وقال تعالى (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله)

واما زعمهم ان الشعرى اليانية ابعد من الشمس مليون ضعف بعدها عنا

فجوابه ان يقال قد زعم اهل الهيئة الجديدة ان الشمس تبعد عن الارض اربعة وثلاثين الف الف فرسخ وخمسمائة الف فرسخ . ذكره الالوسي عنهم في صفحة ٣٤ من كتابه الذي سماه «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة» وهذه المسافة تطابق اثني عشر الف سنة او قريباً من ذلك . فعلى هذا يكون بعـد الشعرى عن الارض اثني عشر الف مليون سنة على حد زعمهم . وهذا من اقبح الهـوس والهذيان . وهو مردود بنصوص القرآن على ان الكواكب قد جعلت زينة للسماء الدنيا .

وقد ثبت عن النبي صـلى الله عليه وسـلم انه قال « بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة » وعلى هـذا فالمسافة بين الارض وبـين الشعرى خمسمائة سنة فقط .

وعلى قول الفلكيين تكون الشعرى فوق العرش وهذا من ابطل الباطل فانه ليس فوق العرش شيء سوى الله تبارك وتعالى .

واما زعمهم ان الشعرى اليانية تجري بسرعة الف ميل في الدقيقة .

فجوابه ان يقال ان الشعرى اليانية كسائر النجـوم الثوابت فـكلها في

فلك واحد تجري فيه على نسق مضبوط لا يتقدم شيء منهـــا على غيره ولا يتأخر عنه كما هو معلوم بالمشاهدة .

واما قوله لذا خصها الله عز وجل في كتابه العزيز اذ قال (وانه هو رب الشعرى) •

فجوابه ان يقال انما خصها الله بالذكر دون غيرها من النجوم لان طائفة من العــرب كانوا يعبدونها فاخبر الله تعالى انها مخـلوقة مربوبة . والعبادة لا تصلح لشيء من المخلوقات وانما هي من خصائص الرب جل جلاله .

ونظير هذه الآية قوله تعالى (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه‌تعبدون)

فاما زعم الصواف ان الله تعالى خص الشعرى بالذكر من اجل ما زعمه الفلكيون من سرعة جريانها فذلك مـن الالحاد في آيات الله وتحـريف الكلم عن مواضعه .

واما قوله وهناك الشعرى الشامية لها خصائص ومميزات اخرى .

فجوابه ان يقال ان الشعرى الشامية كغيرها من النجوم التي قد جعلها الله زينة للسماء الدنيا . وما كان في السماء فالقدرة البشرية عاجزة عن الوصول اليه والعلم بخصائصه ومميزاته . ولم يخبر الله تعالى في كتابه ولا رسوله ﷺ ان الشعرى الشامية لهـا خصائص ومميزات • فمن زعم ان لها خصائص ومميزات سوى مـا يشاهده الناس مـن ضعف ضوئها عن ضوء الشعرى اليمانية فقوله مردود عليه اذ لا مستند له سوى التخرص والرجم بالغيب .

وأما زعمهم ان الشعرى اليمانية نورها خمسون ضعف نور الشمس وانها اسطع من خمسين شمسا كشمسنا • وان ثـلاثـا من بنات نعش يفقن الشمس

نورا. واحدة منهن اربعمائة ضعف . والثانية اربعمائة وثمانين . والثالثةالف ضعف . وان سهيلا اضوأ من الشمس الفين وخمسمائة مرة .

فجوابه ان يقال ان الشمس في السماء بنص القرآن . والنجوم قدجعلت زينة للسماء الدنيا بنص القرآن . فلو كان الامر في هذه النجوم على ما زعمه الفلكيون لما كان عند اهل الارض ليل ابدا .ولطمس ضوء هذه النجوم ضوء الشمس ونور القمر . بل لو كان الامر على ما زعموه فيها لاحترق ما بين الخافقين ولم يمكن ان يعيش على الارض شيء من شدة حرارة الشموس المزعومة .

وقد استوفيت الرد على ما زعموه من تعدد الشموس في الصواعق الشديدة في المثال الحادي عشر من الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة فليراجع هناك . وذكرت طرفا من ذلك في اثناء هذا الكتاب مع الكلام على مزاعم الصواف في الشمس فليراجع ايضا .

وأما زعمهم ان السماك الرامح حجمه ثمانون ضعف حجم الشمس

فجوابه ان يقال هذا تخرص وهذيان مردود بنص القرآن. قال الله تعالى مخبرا عن مناظرة ابراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه (فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين • فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين • فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال ياقوم اني بريء مما تشركون) .

وفي هذه الآيات دليل على ان الشمس اكبر من الكواكب .

وايضا فان السماك الرامح من جملة المصابيح التي قد جعلها الله زينة للسماء الدنيا . قال الله تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا) وقال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) وقال تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب . وحفظا من كل شيطان مارد) . والشمس في السماء بنص القرآن قال الله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) وقال تعالى مخبرا عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال لقومه « الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا » قال الحسن في قوله (وجعل القمر فيهن نورا) الاية قال يعني في السماء الدنيا . ذكره البغوي في تفسيره

وروى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أما السماء الدنيا فان الله خلقها من دخان وجعل فيها سراجا وقمرا منيراً وزينها بمصابيح وجعلها رجوما للشياطين وحفظا من كل شيطان رجيم » .

وروى البيهقي في كتاب الاسماء والصفات باسناد صحيح عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما انه قال « خلق الله سبع سموات وخلق فوق السابعة الماء وجعل فوق الماء العرش وجعل في السماء الدنيا الشمس والقمر والنجوم والرجوم » .

واذا كان كل من الشمس والنجوم في السماء الدنيا فلا شك ان حجم الشمس يزيد على حجم السماك الرامح وغيره من النجوم الكبار عدة الاف . وكيف يظن ان السماك الرامح يزيد حجمه على حجم الشمس ثمانين ضعفا مع انه لا يزيد في راي العين على حجم التمرة . والشمس ترى في الافق

عند طلوعها وعند غروبها بقدر ذراعين طولا في ذراعين عرضا . فمن قال ان حجمها دون حجم السماك الرامح او غيره من النجوم فقوله باطل مردود بما ذكرنا من الآيات والاحاديث والله اعلم .

وتمام الرد على هذا الزعم الكاذب قد تقدم مبسوطا مع الكلام على مزاعم الصواف في الشمس فليراجع هناك .

وأما زعمهم ان الشعرى اليمانية لا يصل الينا نورها الا في ستة عشر سنة . وانه لا يصل الينا من نورها الا واحد من الفي مليون منه . وان السماك الرامح لا يصل الينا ضوؤه الا في مائتي سنة .

فجوابه ان يقال قد ذكر محمد رشيد رضا في صفحة ٦٣٧ من الجزء السابع من تفسيره انه قد وجد بالرصدان السماك الرامح يصل النور منه الينا في نحو خمسين سنة .

وهذا وما ذكره الصواف ههنا كله هذيان لا مستند له سوى التخرص والرجم بالغيب . وقد قال الله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) الى قوله (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون)

والشعرى اليمانية والسماك الرامح وغيرهما من الكواكب النيرة يرى نورها من حين تبدو من الافق اذا لم يكن هناك حائل يمنع من رؤيتها . وكلها من زينة السماء الدنيا كما نص الله على ذلك في كتابه العزيز . فالتفريق بين أبعادها ووصول نورها الى الارض تفريق بين اشياء متماثلة وذلك باطل مردود

وفيما ذكره الصواف عن الفلكيين انهم قالوا ان السماك الرامح لايصل ضـــوؤه الينا الا في مائتي سنة مع ما ذكره محمد رشيد عنهم انهم قالوا ان السماك الرامح يصل النور منه الينا في نحو خمسين سنة ومـــا بين هذين القولين من التفاوت العظيم في بعد نجم واحد اوضح دليل على تناقض الفلكيين وكذبهم في جميع مزاعمهم عن ابعاد النجوم ومقادير احجامها واضوائها وثقلها وانهم انما يعتمدون في ذلك على مجرد التخرصات والظنون الكاذبة

وأما قوله هذه كلها تقديرات علماء الفلك والله اعلم بصحتها ولكنها تدل بوضوح على عظمة الخالق جل وعلا وكمال قدرته وفائق صنعته .

فالجواب عنه من وجوه احدها ان يقال ان ما في السماء فهو من امور الغيب التي لا تعلم الا من طريق الوحي ولا سبيل الى علمها بالتقديرات التي هي التخرص واتباع الظن . ولا وحي عـــلى شيء مما زعمه الفلكيون في تقديراتهم عن النجوم البتة . وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) وقال تعالى (قتل الخراصون . الذين هم في غمرة ساهون) وقال تعالى (ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا) .

الوجه الثاني ان تقديرات الفلكيين عن النجوم مخالفة لنصوص القرآن كما تقدم ايضاحه . وما خالف النصوص فهـــو باطل مردود على قائله كائناً من كان .

الوجه الثالث ان يقال ان الله تبارك وتعالى اعظم واجل من ان يستدل على عظمته وكمال قدرته وفائق صنعته بتخرصات الفلكيين وظنونهم الكاذبة. وانما يستدل على ذلك بما اخبر الله به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فذلك

هو العلم الصحيح النافع والشفاء كل الشفاء لمن آمن به واتبعه . قال الله تعالى (اولم يكفهم انا انزلنـا عليك الكتـاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وقـال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون) وقـال تعالى (وهـذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) الى قوله (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنهـا سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

ومن لم يكتف بما اخبر الله به في كتابه وما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عظمة ربه وكمال قدرته فلا كفاه الله ما اهمه .

ومن اعتمد على تخـرصات الفلكيين وظنونهم الكاذبة واستدل بهـا على عظمة الخالق وكمال قدرته وفائق صنعته فهو من اجهـــل الناس بالله تعالى وابعدهم عن معرفة ما يجب له من الاجلال والتعظيم •

فصـــل

وذكر الصواف في صفحة ٩٩ ان البروج تطلق على بروج السماء الاثني عشر • قال وهي منازل الكواكب والشمس والقمر يسير القمر في كل برج منها يومين وثلث يوم . وتسير الشمس في كل برج منهـا شهرا ــ الى ان قال في صفحة ١٠٠ ــ فتكون السنة الشمسية ثلاثمـائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم وهي مدة دخول الشمس الى النقطة التي فارقتها مـــن تلك البروج • والشمس كما قلنا تقطع هذه البروج كلها مـرة في السنة • كل برج في شهر • وبها تتم دورة الفلك • ويقطعها القمر في ثمان وعشرين يوماً وكسور .

والجواب عن هذا من وجهين احدهما ان يقال ان المنازل ليست منازل لجميع الكواكب كما يوهمه كلام الصواف وانما هي منازل للسيارات منها فقط . وأما الثوابت فليست لها منازل . وكان ينبغي للصواف ان يقيد الكواكب بالسيارات ليزول الايهام .

الوجه الثاني ان ما قرره الصواف ههنا من كون الشمس تسير في كل برج شهراً وانها تقطع البروج كلها مرة في السنة يناقض ما قرره في صفحة ٦١ من كون الشمس ثابتة على محورها ومتحركة حول هذا المحور اي هي دائرة حول نفسها ومثلها مثل المروحة السقفية الكهربائية فهي ثابتة في سقفها وهي متحركة حول نفسها .

وما قرره الصواف ههنا من كون الشمس تسير في كل برج شهراً وتقطع البروج كلها مرة في السنة هو الحق الثابت بالادلة الكثيرة من الكتاب والسنة. وقد ذكرتها مستوفاة في اول الصواعق الشديدة فلتراجع هناك .

وما قرره ههنا فهو من الادلة الحسية على جريان الشمس ودورانها على الارض . وقد اوضحت ذلك في الصواعق الشديدة في آخر الادلة على جريان الشمس فليراجع هناك .

واما ما قرره في صفحة ٦١ فهو باطل مردود من وجوه كثيرة . وقد تقدم ذكرها عند تشبيه الصواف للشمس بالمروحة السقفية الكهربائية فلتراجع هناك .

فصل

ونقل الصواف في صفحة ١٠١ عن موسى جار الله انه قال في كتابه «ترتيب

السور الكريمة ، فان كان البروج في قول الله (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرآ) هي بروج الهيئة القديمة كما اتفقت عليه التفاسير فان تلك الشمس الظاهرة وهو المدار السنوي للارض في الواقع • واقع في هذه البروج • والارض في مدارها السنوي تقطع كل هذه البروج • هذا وجه وجيه • لنا ان نقتنع به في بيان نزول سورة البروج بعد سورة الشمس • وقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . زهقت الهيئة القديمة وجاء النظام الحق نظام السموات التي رفعها الله بغير عمد ترونها . وهذه السموات لها منظومات . منها منظومة شمسنا هذه بسياراتها التسع . وشمسنا هذه ليست من كبار الشموس ومنظومتنا هذه ليست من كبار المنظومات وكل منظومة من هذه المنظومات يسميها القرآن برجا . والسماء التي تحوي كل هذه المنظومات يسميها القرآن الكريم السماء ذات البروج . بها اقسم الله في كتابه الكريم في سورة البروج . وهذه السماء ذات البروج التي تحوي كل هذه المنظومات يحدث خلال منظوماتها كل يوم . شان الله، انشقاقات . وبتلك الانشقاقات يحدث في المجرة وخارجها سموات . وللاشارة وللارشاد والى مثل هذه الحوادث الهائلة العظيمة وضعت سورة البروج بعد سورة الانشقاق .

والجواب عن هذا الهذيان والقرمطة من وجوه احدها ان يقال ان الارض ثابتة ومرساة بالجبال كما دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع . وما كان ثابتا فليس له مدار يدور عليه .

وما زعمه موسى جار الله تقليدا لاهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج واتباعهم من العصريين من ان للارض مدارا سنويا فهو قول باطل مردود بالادلة التي اشرت اليها وقد ذكرتها مستوفاة في اول الصواعق الشديدة

فلتراجع هناك .

الوجه الثاني ان البروج في السماء كما هـو منصوص عليه في مواضع من القرآن قال الله تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين) وقال تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) وقال تعالى (والسماء ذات البروج) .

واذا كانت البروج في السماء فمن ابطل الباطل ان يقال ان للارض مدارا واقعا في تلك البروج وان الارض تقطعها كلها في السنة .

الوجه الثالث انه قد ثبت عن النبي ﷺ انه قال « بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام » رواه عن النبي ﷺ اربعة من الصحابة وهم عبدالله بن عمـــرو وابو هريرة والعباس وابو سعيد الخدري رضي الله عنهم .وروي ايضا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه موقوفا وله حكم المرفوع .

واذا كان بين السماء والارض هذا البعد الشاسع فـــلا يقول ان للارض مداراً في بروج السماء وانها تقطعها كلها في السنة الا من هو من اجهل الناس واقلهم عقلا .

الوجه الرابع ان المفسرين اختلفوا في تفسير البروج الـــتي ذكرها الله تعالى في قوله (ولقد جعلنا في السماء بروجاً) وقـــوله تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجاً) وقوله تعـالى (والسماء ذات البروج) فقال مجـاهد وسعيد بن جبير وابو صالح والحسن وقتـــادة هي الكواكب العظام . قال البغوي مأخوذ من الظهور يقال تبرجت المرأة اي ظهـرت . وقال ايضاً سميت بروجاً لظهورها انتهى .

وقيل هي قصور في السماء للحرس يروى هذا عن علي وابن عباس رضي الله عنهم ومحمد بن كعب وابراهيم النخعي وسليمان بن مهران الاعمش . قال ابن كثير والقول الاول اظهر اللهم الا ان تكون الكواكب العظام هي قصور للحرس فيجتمع القولان انتهى .

وقيل هي البروج الاثنا عشر التي هي منازل الشمس والقمر والكواكب السيارة وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضاً . وهذا القول الاخير هو الذي زعم موسى جار الله ان التفاسير اتفقت عليه . وذلك وهم منه وغلط .

الوجه الخامس ان اهل الهيئة القديمة لم ينفردوا باثبات البروج الاثني عشر التي تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة حتى يقال انها بروج الهيئة القديمة . بل اثبات هذه البروج الاثني عشر والمنازل الثمان والعشرين للشمس والقمر والكواكب السيارة هو المعروف عند علماء المسلمين سوى بعض العصريين المفتونين بتقليد اهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج . وهؤلاء لا عبرة بهم كما لا عبرة بسلفهم من فلاسفة الافرنج .

الوجه السادس ان يقال ليس للسموات نظام ولا منظومات وليس فيها شموس متعددة كما زعمه اهل الهيئة الجديدة واتباعهم من العصريين اعتماداً منهم على التخرصات والظنون الكاذبة . وانما فيها شمس واحدة وقمر واحد وما سوى ذلك فهي نجوم قد جعلها الله تعالى زينة للسماء الدنيا ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها . قال الله تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب • وحفظاً من كل شيطان مارد) وقال تعالى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً) وقال تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين) وقال تعالى (افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها) وقال تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها

للناظرين • وحفظناها من كل شيطان رجيم) وقال تعالى (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) الآية وقال تعالى (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) •

فما ذكره الله في هذه الآيات هو الحق الذي لا ريب فيه • واما ما زعمه اهل الهيئة الجديدة واتباعهم من وجود النظام والمنظومات والشموس المتعددة فهو هذيان وباطل مردود •

واما قوله وقد جاء الحق وزهق الباطل وجاء النظام الحق الى آخره •

فجوابه ان يقال هذا من قلب الحقيقة فان ما ذكره ههنا باطل وضلال وليس من الحق في شيء كما تقدم ايضاح ذلك في الاوجـــه الستة • وليس ما ذكره ههنا مــن نظام السموات وانما هو في الحقيقة نظام اهل الهيئة الجديدة الذي تلقوه من تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة •

وأما قوله وشمسنا هذه ليست من كبار الشموس .

فجوابه ان يقال هذا تخرص لا اساس له من الصحة . وليس في الوجود سوى شمس واحدة كما قد دل على ذلك الكتاب والسنة مع المشاهدة . وقــد استوفيت الرد على ما زعموه من تعدد الشموس في الصواعق الشديدة في المثال الحادي عشر من الامثلة على بطلان الهيئة الجديدة فليراجع هناك .

واما زعمهم ان في النجوم ما هو اكبر من الشمس فقد تقدم رده في اثناء هذا الكتاب مع الكلام على مزاعم الصواف في الشمس فليراجع هناك .

وأما قوله وكل منظومة من هذه المنظومات يسميها القرآن برجا .

فجوابه ان يقال هذا من القول في القرآن بغير علم . وليس في القرآن

ما يدل على ان في السماء منظومات فضلا عن ان يكون فيه تسمية تلك المنظومات المتوهمة بروجا .

وقد روى الامام احمد والترمذي وابن جرير والبغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال « من قال في القرآن برأيه او بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار » هذا لفظ ابن جرير وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه انتهى .

وقد تقدم كلام المفسرين في البروج التي ذكرها الله في القرآن قريباً .

واما قوله وهذه السماء ذات البروج يحدث خلال منظوماتها كل يوم انشقاقات وبتلك الانشقاقات يحدث في المجرة وخارجها سموات .

فجوابه ان يقال هذا كله هوس وهذيان يشبه هذيان المجانين . ولو كان يحدث في المجرة وخارجها كل يوم سموات لكانت السموات لا تحصى من كثرتها ولكن هذا من ابطل الباطل فان السموات سبع بالنص والاجماع .

والسماء انما تنشق يوم القيامة لا في الدنيا كما قال الله تعالى (اذا السماء انشقت . واذنت لربها وحقت) وقال تعالى (فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) الآيات وقال تعالى (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) الآيات وقال تعالى (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا . الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيرا)

وقال تعالى (اذا السماء انفطرت) اي انشقت (واذا الكـواكب انتثرت . واذا البحار فجرت . واذا القبور بعثرت . علمت نفس ما قدمت واخرت) وقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً • السماءمنفطر به كان وعده مفعولا) وقال تعالى (فـاذا النجـــوم طمست • واذا السماء فرجت • واذا الجبال نسفت • واذا الرسل اقتت • لاي يوم اجلت • ليوم الفصل • وما ادراك ما يوم الفصل • ويل يومئـذ للمكذبين) قوله فرجت اي شقت • فهذا الانشقاق انمايكون يوم القيامة . ومن زعم ان السماء تشقق في الدنيا فقد كذب .

وأما قوله وللاشارة وللارشاد والى مثل هذه الحوادث الهائلة العظيمة وضعت سورة البروج بعد سورة الانشقاق .

فجوابه ان يقال هذا من القرمطة والالحاد في القرآن . وليس في القرآن ما يشير الى الانشقاقات التي زعم انها تحدث كل يوم ولا الى حدوث السموات التي توهمها اعداء الله بعقولهم الفاسدة .

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ١٠٣ ما نصه :

يتضمن هذا الكون خمسمائة مليون مليون من المجرات كما يقـدر علمـاء الفلك . وفي كل مجرة مائة الف مليون نجم . وان اقرب مجـرة الى الارض تلك التي نشاهد جزءا منها كخط ابيض في الليل تمتد مساحتها مائة الف عام بالنسبة الى عام الضوء ونحن سكان الارض نبتعد عن هذه المجرةمقدار ثلاثين الف عام من الضوء . ثم ان هذه المجرة جزء لمجرة كبيرة تتضمن سبـع عشرة

مجرة وتمتد ابعاد هذه المجموعة في مساحة مليوني عام من الضوء .ثم انهناك حركة اخرى غير هذه الدورات وهي ان الكون كله يتوسع ويتضخم مثل الكرة في الجوانب الاربعة . والشمس تجري بسرعة هائلة تبلغ اثني عشر ميلا في ثانية نحو الجانب الخارجي لمجرته وتقود كل ما يتبع النظام الشمسي. وكذلك النجوم كلها تتوجه الى اي جانب بسرعة متزايدة معمتابعة دورانها فمنها ما يبلغ سيره ثمانية اميال في كل ثانية وما يبلغ سيره ثلاثة وثلاثين ميلا في ثانية واربعة وثمانين ميلا في ثانية . وهكذا نجد النجوم كلها متجهة نحو الامام .

والجواب ان يقال كل ما ذكره في هذا الفصل فهو تخرص وهذيان لامستند له سوى وحي الشياطين بعضهم الى بعض . ولا يعتمد عليه او يصغي اليه الا من هو جاهل مغرور .

فأما زعمه ان هذا الكون يتضمن خمسمائة مليون مليون من المجرات وان كل مجرة فيها مائة الف مليون نجم .

فجوابه ان يقال مثل هـذا لا يعلم الا من طريـق الوحي ولا وحي على ذلك البتة . وحينئذ فليس مع من يدعي احصاء المجرات والنجوم سوى اتباع الظن الكاذب . وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لايغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) .

وليس في السماء سوى مجرة واحدة كما هو معلوم بالمشاهدة . ومن زعـم وجود غيرها فعليه الدليل من الكتاب او السنة ولن يجد الى ذلك سبيلا .

وأما زعمه ان المجرة تمتد مساحتها مائه الف عام بالنسبة الى عام الضوء .

فجوابه ان يقال هذا من جنس ماقبلهمن التخرص واتباع الظن الكاذب

واما زعمه ان المجرة تبعد عن سكان الارض مقدار ثلاثين الف عـــام من الضوء .

فجوابه ان يقال هذا من ابطل الباطل لان المجرة على هذا التقدير تكون فوق العرش وليس فوق العرش شيء سوى الله تبارك وتعالى .

وقد علم بالمشاهدة ان المجرة تسير سير الكواكب الثوابت لا تتقـدم على شيء منها ولا تتأخر عنه . والنجوم قدجعلت زينة للسماءالدنيا بنص القرآن وبين السماء الدنيا وبين الارض خمسمائة سنة بنص الاحاديث الثابتة عن النبي ﷺ . وعلى هذا فليس بين المجرة وبين سكان الارض سوى خمسمائة سنة .

ويشهد لهذا ما رواه الطبراني من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هرقل كتب الى معاوية رضي الله عنه وقال ان كان بقي فيهم شيء من النبوة فسيخبرني عما اسالهم عنـــه قال فكتب اليه يسأله عن المجرة وعن القوس وعن بقعة لم تصبها الشمس الا ساعة واحدة قال فلما اتى معاوية الكتاب والرسول قال ان هذا لشيء ما كنت آبه له ان اسال عنه الى يومي هذا . من لهذا قيل ابن عباس فطوى معاوية كتاب هرقل فبعث به الى ابن عباس رضي الله عنهما فكتب اليه « ان القوس امـان لاهل الارض من الغرق والمجرة باب السماء الذي تنشق منه واما البقعة التي لم تصبها الشمس الا ساعة من النهار فالبحر الذي افرج عن بني اسرائيل » قال ابن كثير اسناده صحيح الى ابن عباس رضي الله عنهما .وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح.

قلت وقد رواه سعيد بن منصور في سننه والبخاري في الادب المفرد مختصرا واسناده صحيح على شرط الشيخين . ولفظ البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما « القوس امان لاهل الارض من الغرق والمجرة باب السماء الذي تنشق منه » ورواه البخاري ايضاً من حديث يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « المجرة باب من ابواب السماء وأما قوس قزح فأمان من الغرق بعد قوم نوح » في اسناده علي بن زيد وهو حسن الحديث وفيه كلام وبقية رجاله ثقات .

وروى البخاري ايضاً في الادب المفرد وابن ابي حاتم ان ابن الكواء سأل علياً رضي الله عنه عن المجرة فقال « هي شرج السماء ومنها فتحت السماء بماء منهمر » .

واما زعمه ان هذه المجرة جزء لمجرة كبيرة تتضمن سبع عشرة مجرة وتمتد ابعاد هذه المجموعة في مساحة مليوني عام من الضوء .

فجوابه ان يقال هذا من جنس ما قبله من التخرص واتباع الظن الكاذب . وليس يرى في السماء سوى مجرة واحدة وما لم يشاهد بالابصار فهو من المغيبات التي لا تعلم الا من طريق الوحي ولا وحي على شيء مما زعموه البتة . وقد قال الله تعالى(قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله)

ومن ادعى علم المغيبات فهو طاغوت ومن صدقه فهو ممن آمن بالطاغوت

واما زعمه ان الكون يتوسع ويتضخم

فجوابه ان يقال هذا ايضاً من التخرص واتباع الظن الكاذب

واما زعمه ان الشمس تجري بسرعة هائلة نحو الجانب الخارجي . الى قوله وهكذا نجد النجوم كلها متجهة نحو الامام .

فجوابه ان يقال هذا ايضا من التخرص واتباع الظن الكاذب • وقدذكر نحو هذا الهذيان في صفحة ٣٨ حيث قال •والنظام الشمسي كله بما فيهالارض ينهب الفضاء نهبا بسرعة لا تقل عن ٢٠ الف ميل في الساعة متجهة نحو برج هركيوليس • وقال ايضا في صفحة ٣٨ وقد دلت الدراسة التي استمرت ٢٠ عاما للضوء المنبعث من الكواكب البعيدة على ان هذه الكواكب لا تزال ممعنة في الابتعاد في الفضاء وان سرعتها تزداد كلما زاد ابتعادها . الى آخر كلامه

وقال ايضا في صفحة ٤٣ وليس هناك ابلغ ولا ادق مما يقوله حجة علم الفلك العالم « سيمون » من اعظم الحقائق التي اكتشفها العقل البشري في كافة العصور هي حقيقة ان الشمس والكواكب السيارة واقمارها تجري في الفضاء نحو برج النسر بسرعة غير معهودة لنا على الارض الى آخر كلامه . وقد تقدم الكلام على هذه المواضع مستوفى في اول الكتاب فليراجع ففيه الرد لما زعمه الصواف ههنا •

فصل

وذكر الصواف في صفحه ١٠٤ ان حركة الارض حول الشمس منظمة تماما . قال وكذلك دوران الارض حول محورها يبلغ من الانتظام والدقة بحيث لا يلحقه خلل ولا تقديم او تاخير ثانية واحدة في موعدها ولو بعد قرون .

والجواب عن هذا من وجهين احدهما ان يقال ليس للارض حركة حول الشمس ولا دوران حول محورها كما زعمه الصواف تقليداً لفلاسفة الافرنج واتباعهم من العصريين • وانما هي ساكنة ومرساة بالجبال كما دلت على ذلك

الادلة الكثيرة من الكتاب والسنة واجمع عليه المسلمون واهل الكتاب . وقد ذكرت ذلك مستوفى في اول الصواعق الشديدة فليراجع هناك ففيه ابلغ رد لما زعمه الصواف هنا .

الوجه الثاني ان ما قرره هنا يناقض ما قرره في صفحة ٥٥ من ان الارض بعد انفصالها عن الشمس كانت تدور حول نفسها بسرعة اكبر مما هي عليه الآن اذ كانت تتم دورتها حول نفسها مرة كل اربع ساعات وان الليل والنهار كانا اربع ساعات فقط . وبتوالي النقص في سرعة دورانها حول نفسها زادت المدة التي تتم فيها دورانها فزادت مدة الليل والنهار الى خمس ساعات ثم الى ست حتى وصلت الى اربع وعشرين ساعة . وان النقص في سرعة دوران الارض يبلغ حوالي ثانية واحدة كل مائة وعشرين الف سنة . وانه بعد ٤٣٢ مليون سنة يصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة .قال وهكذا يتوالى النقص ويطرد طول الليل والنهار واذ علم ان كلام الصواف ينقض بعضه بعضا فليعلم ان الارض ساكنة ثابتة كما تقدم ايضاحه وان الجريان والدوران حول الارض انما هو للشمس والقمر والكواكب وان جريانها ودورانها حول الارض يبلغ من الانتظام والدقة بحيث لا يلحقه خلل الى يوم القيامة (صنع الله الذي اتقن كل شيء) .

فصل

وقال الصواف في صفحة ١٠٤ اما كوكب الارض الذي نسميه بالقمر فدورانه معلوم مقرر .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ليس القمر بكوكب كما سماه بذلك اهل الهيئة الجديدة واتباعهم من العصريين وانما هو قمر كما سماه

الله بذلك في عدة مواضع من كتابه وسماه بذلك رسول الله ﷺ في كثير من الاحاديث الصحيحة .

ولم يجىء في كتاب الله ولا عن رسول الله ﷺ تسمية القمر كوكبا . فمن سماه بذلك فقد خالف الكتاب والسنة . وكل قول خالف الكتاب او السنة فهو مردود على قائله .

الوجه الثاني ان الله تعالى غاير بين القمر وبين الكواكب في مواضع من كتابه كقوله تعالى (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) وقوله تعالى (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) وقوله تعالى (الم تران الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) الآية وقوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان . والنجم والشجر يسجدان) وقوله تعالى (فالق الا صباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) الآية . وقوله تعالى (فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين . فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين . فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر) الآية .

وعلى هذا فمن جمع بين القمر والكواكب وقال انه كوكب من جنسها فقد جمع بين ما فرق الله بينه وخالف نصوص القرآن .

الوجه الثالث ان الارض ليس لها كواكب وانما الكواكب في السماء وكذلك الشمس والقمر قال الله تعالى (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب)

وقال تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) وقال تعالى مخبرا عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال لقومه (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) .

ومن زعم ان القمر كوكب للارض فقواه مردود لمخالفته لنصوص القرآن

الوجه الرابع ان القمر قرين الشمس في كتاب الله تعالى . فهو قرينها في الحسبان والجريان والسبح في الفلك والدؤوب في السير والبزوغ والافول قال الله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) وقال تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) وقال تعالى في اربعة مواضع من القرآن (وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى) وقال تعالى في موضعين من كتابه (وكل في فلك يسبحون) وقال تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) وقال تعالى (فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون) .

واذا كان القمر قرين الشمس في كتاب الله تعالى فانه يلزم ان يقال في الشمس مثل ما قيل في القمر . فمن قال ان دوران القمر حول الارض معلوم مقرر لزمه ان يقول مثل ذلك في الشمس وان لم يفعل فقد فرق بين متماثلين وآمن ببعض الكتاب ورد بعضه . فليختر الصواف واشباهه من العصريين اي الخطتين شاءوا فلا محيد لهم عن احداهما.

فصـــل

وذكر الصواف في صفحة ١٠٤ ان خبراء الفلك يقدرون ان نظام مجرة باسره ذلك الذي يحتوي على ملايين الملايين من النجوم يدخـل في نظام مجرة اخرى خلال الدورات الفضائية ويخرج منـه دون ان ينشأ هناك صدام او خلل في نظم الدورات .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ليس في السماء سـوى مجرة واحدة كما هو معلوم بالمشاهدة . ومن زعم وجود غيرها فليس له مستند سوى التخرص واتباع الظن الكاذب . وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) .

الوجه الثاني ان المجرة في السماء وكذلك الكواكب كلها في السماء الدنيا فلو كان للمجرة او لشيء من النجوم نظام يدور عليه لكانت توابعها تخترق السماء في حال دورانها عليها . وهذا لا يقوله عاقل .

الوجه الثالث ان عدة النجوم لا يعلمها الا الله تعالى . ومن زعم انه يعلم عدتها فقد كذب . والذين زعموا ان نظام مجـــرة باسره يحتوي على ملايين الملايين من النجوم ليس لهم مستند سوى التخرص والرجم بالغيب .

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ١٠٧ وصفحة ١٠٨

(اتساع الكون) قال الله تبارك وتعالى (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) وقال عز وجل (والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون) يقول الله سبحانه عـن السدوات انها سبع وزيادة عليها يوجـد العرش الذي

وصفه بانه عظيم . ويصف جل شأنه هذه السموات انها طباق ففي سورة الملك (الذي خلق سبع سموات طباقا) وان هذه السموات تتسع . هذه الآية جمعت علماً لم يمكن معرفته الا في الاعوام القليلة الماضية . وما زال العلماء في دراسة متواصلة فيه رغم ان القرآن قد اوضحه منذ عشرات المئات من السنين .

ان التقدم الذي احرزه العلم الفزيقي وظهور الكشوف العلمية الحديثة في الفلك قد مكنت العلماء من فهم هذه السموات السبع والاراضي السبع .

فقد اثبت العلم بان الشمس والقمر والنجوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم انما هي سموات فوق سموات تتألف منها عوالم الكون .

يقول العالم الفلكي « ارثر فندلاي » في كتابه « على حافة العلم الاثيري » ان العلم اثبت ان السموات السبع هي افضية منسابة يتبعثر خلالها ويرتد ضوء الشموس السبع الاثيرية التي تحيط بالشمس الفزيقية من كل جانب . واكد ان الاراضي السبع هي كرات اثيرية تحيط بالكرة الارضية وتتخللها .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان ما زعمه من اتساع الكون وان السموات تتسع فهو قول لا دليل عليه من كتاب ولا سنة . وانما يعتمد اهله على التخرصات والظنون الكاذبة وقد قال الله تعالى (وان الظن لا يغني من الحق شيئاً) .

الوجه الثاني ان الآية من سورة الذاريات ليس فيها دليل على ما زعمه من كون السموات تتسع الى الآن وانما دلت على ان الله تعالى حين خلق السموات جعلها واسعة .

قال ابن كثير على قوله تعالى (وانا لموسعون) اي قد وسعنا ارجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي .

وقال ابن جرير يقول لذو سعة بخلقها وخلق ما شئنا ان نخلقه وقدرة عليه ومنه قوله (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) يراد به القوي . ثم روى عن ابن زيد انه قال في قوله (وانا لموسعون) قال اوسعها جل جلاله .

وذكر البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في قوله تعالى (وانا لموسعون) لقادرون • وعنه ايضا لموسعون الرزق على خلقنا . وقيل ذوو سعة . وقال الضحاك اغنياء . دليله قوله عز وجل (على الموسع قدره) وقال الحسن لمطيقون .

وقال القرطبي قال ابن عباس رضي الله عنهما لقادرون وقيل وانا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده . وقيل وانا لموسعون الرزق على خلقنا . عن ابن عباس. الحسن وانا لمطيقون . وعنه ايضا وانا لموسعون الرزق بالمطر . وقال الضحاك اغنيناهم . دليله (على الموسع قدره) . وقال القتبي ذو سعة على خلقنا . والمعنى متقارب . وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة . الجوهري واوسع الرجل اي صار ذا سعة وغنى ومنه قوله تعالى (والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون) اي اغنياء قادرون فشمل جميع الاقوال انتهى كلام القرطبي .

وقال ابو حيان في تفسيره عند قوله تعالى (وانا لموسعون) اي بناءها فالجملة حالية اي بنيناها موسعوها كقوله جاء زيد وانه لمسرع اي مسرعا فهي بحيث ان الارض وما يحيط بها من الماء والهواء كالنقطة وسط الدائرة .وقال ابن زيد قريبا من هذا وهو ان الوسع راجع الى السماء . وقيل لموسعون قوة

وقدرة اي لقادرون من الوسع وهو الطاقة . وقال الحسن اوسع الرزق بالمطر والماء انتهى .

فهذه اقوال السلف في تفسير الآية وهم اعلم بكتاب الله من جهلة العصريين الذين يتاولون القرآن على غير تاويله ويحملونه على ما يوافق آراء الافرنج وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة .

الوجه الثالث ان الله تعالى اخبر في عدة آيات من القرآن انه خلق السموات والارض في ستة ايام وفيها اوضح دليل على ان الله تعالى اتم خلق السموات وفرغ منهن في تلك الايام الستة . وفي ذلك رد على من زعم ان السموات لا تزال تتسع .

ويزيد ذلك ايضاحا قول الله تعالى في سورة حم السجدة (فقضاهن سبع سموات في يومين) .

قال الامام ابو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره يقول تعالى ذكره ففرغ من خلقهن سبع سموات في يومين وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة. ثم روى باسناده عن السدي قال استوى الى السماء وهي دخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض.

قال ابن جرير وبنحو الذي قلنا في ذلك قال اهل التاويل . ثم ذكر في ذلك آثارا كثيرة فمن اراد الوقوف عليها فليراجعها في تفسيره .

وقال البغوي في قوله تعالى (فقضاهن سبع سموات في يومين اي اتمهن وفرغ من خلقهن .

وقال القرطبي في تفسيره . قوله تعالى (فقضاهن سبع سموات في يومين) اي اكملهن وفرغ منهن . وقيل احكمهن .

قلت ولا منافاة بين القولين فانه تعالى احكمهن وفرغ منهن

ومن زعم ان السموات لا تزال تتسع فقد زعم ان خلق السموات لم يكمل الى الآن وذلك تكذيب لما اخبر الله به في هذه الآية الكريمة وفي غيرها من الآيات التي اشرت اليها آنفا .

الوجه الرابع انه قد ثبت عن النبي ﷺ من عدة اوجه انه قال « بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة » وزاد في بعض الروايات « ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة » وقد ذكرت هذه الاحاديث في اول الصواعق الشديدة مع الادلة على ثبات الارض فلتراجع هناك .

وتحديد المسافة التي بين السماء والارض ومن كل سماء الى سماء بخمسمائة وتحديد كثف كل سماء بمثل ذلك ايضا يدل على ان السموات لا تزال على ما كانت عليه منذ خلقها الله تعالى الى ان تقوم الساعة . وان ما بين كل سماء الى سماء وما بين السماء والارض لا يزال على ما كان عليه منذ خلقه الله الى ان تقوم الساعة . ولو كانت السموات تتسع كما زعمه فلاسفة الافرنج واتباعهم من العصريين لكانت المسافة التي بين السماء والارض ومن كل سماء الى سماء تتغير على مر الازمان وكان كثف كل سماء يزيد الى يوم القيامة . وهذا ظاهر البطلان لمعارضته لمدلول الاحاديث التي ذكرنا والله اعلم .

الوجه الخامس ان القول في القرآن بمجرد الرأي حرام شديد التحريم . وقد ورد الوعيد الشديد على ذلك كما في الحديث الذي رواه الامام احمد

والترمـذي وابن جرير والبغوي عـن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال « من قال في القرآن برأيه او بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار » هذا لفظ ابن جرير وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

واذا كان هذا الوعيد الشديد لمن قال في القرآن برأيه فكيف بمن قال فيه بآراء فلاسفة الافرنج وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة كما فعله الصـواف في هذا الموضع وفي عدة مواضع من رسالته .

الوجه السادس ان القرآن منزه عمـــا حمله الصواف عليه من تخرصات الافرنج وظنونهم الكاذبة . وما قدر الله حق قدره من جعل كلام الله ملعبة له يتأوله على غير تأويله ويحمله على تخرصات اعداء الله وظنونهم الكاذبة .

الوجه السابع ان يقال مـن اعظم الازراء بالسلف الصـالح من الصحابة والتابعين وائمة العلم والهدى من بعدهم ما زعمـه الصواف في الآيات التي تقدم ذكرها في اول الفصل انها جمعت علما لم يمكن معرفته الا في الاعـوام القليلة الماضية رغم ان القرآن قد اوضحه منذ عشرات المئات من السنين .

وهذا العلم الذي اشـار اليه هو ما ذكره عن الجهـل الفزيقي والكشوف الجهلية الحديثة في الفلك وما قاله الجاهل «ارثر فندلاي» . وقد جمع الصواف في هذا الموضع بين امرين عظيمين احدهما القول في القرآن بغير عـــلم . والثاني الغض من الصحابة والتابعين وأئمة العلم والهدى من بعدهم حيث زعم ان القرآن قد اوضح شيئاً من العلم ولم يمكنهم ان يعرفوه وعـــرفه فلاسفة الافرنج واتباعهم من العصريين .

والصحابة رضي الله عنهم اجل قدراً مـــن ان يجهلوا شيئاً مما اوضحه

القرآن . وكذلك التابعون وأئمة العلم والهدى من بعدهم .

وقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « من كان مستناً فليستن بمن قد مات اولئك اصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الامة ابرها قلوباً واعمقها علماً واقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه فتشبهوا باخلاقهم وطرائقهم فهم اصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة » رواه ابو نعيم في الحلية .

وروى رزين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحوه .

واذا كان الصحابة رضي الله عنهم اعمق هذه الامة علماً فمحال ان يوضح القرآن شيئاًولا تمكنهم معرفته .

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه « كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن » رواه ابن جرير باسناد صحيح .

وفي الصحيحين عن مسروق قال قال عبدالله - يعني ابن مسعود رضي الله عنه - « والله الذي لا اله غيره ما من كتاب الله سورة الا انا اعلم حيث نزلت وما من آية الا انا اعلم فيما انزلت » .

ورواه ابن جرير ولفظه قال عبد الله « والذي لا اله غيره ما نزلت آية في كتاب الله الا وانا اعلم فيم نزلت واين انزلت » .

وقد قال الله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم

الكتاب والحكمة) وقال تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) .

واول المعنيين بهذه الآيات هم الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فقد علمهم النبي ﷺ الكتاب والحكمة وبين لهم ما نزل اليهم حتى تركهم على المحجة البيضاءليلها كنهارها كما في الحديث الذي رواهابن ماجه عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وايم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » قال ابو الدرداء صدق والله رسول الله صلى الله عليه وسلم تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء .

وروى الامام احمد وابن ماجه والحاكم في مستدركه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك » . ورواه ابن ابي عاصم في كتاب السنة بنحوه . قال المنذري واسناده حسن .

وروى الامام احمد ايضاً والطبراني عن ابي ذر رضي الله عنه قال لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علماً . قال الهيثمي رجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقري وهو ثقة .

وروى الطبراني ايضاً عن ابي الدرداء رضي الله عنه نحوه . قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح .

واذا علم ما ذكرنا فمحال ان يوضح القرآن شيئاً ولا يعرفه الصحابة رضي الله عنهم .

فاما الجهالات والضلالات التي احرزها الجهل الفزيقي والكشوف الجهلية في الفلك وما اشبه ذلك من زخرف القول الذي توحيه الشياطين الى اوليائهم

من الانس فالصحابة رضي الله عنهم اجل قدرا من انيتعلقوا بشيء من ذلك او يروج عندهم وانما يروج ذلك عند جهال العصريين الذين استزلهم الشيطان واغواهم وفتنهم بتقليد اعداء الله وقبول ارائهم الفاسدة وظنونهم الكاذبة .

وقد قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه « نقض المنطق » من المعلوم من حيث الجملة ان الفلاسفة والمتكلمين من اعظم بني آدم حشوا وقولا للباطل وتكذيباً للحق في مسائلهم ودلائلهم لا يكاد ـ والله اعلم ـ تخلو لهم مسألة واحدة عن ذلك .

وقال ايضاً في الكتاب المذكور • اذا تدبر المؤمن العليم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الامم التي فيها ضلال وكفر وجد القرآن والسنة كاشفين لاحوالهم مبينين لحقهم مميزين بين حق ذلك وباطله .

والصحابة رضي الله عنهم كانوا اعلم الخلق بذلك كما كانوا اقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين كما قال فيهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فان الحي لا تؤمن عليه الفتنة اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا ابر هذه الامة قلوباً واعمقها علماً واقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم » .

فاخبر عنهم بكمال بر القلوب مع كمال عمق العلموهذا قليل في المتأخرين ـ الى ان قال ـ واهل التعمق في العلوم قد يدركون من معرفة الشرور والشبهات ما يوقعهم في انواع الغي والضلالات • واصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا ابر الخلق قلوباً واعمقهم علماً .

ثم ان اكثر المتعمقين في العلم من المتأخرين يقـــترن بتعمقهم التكلف المذموم وهو القول والعمل بلا علم وطلب ما لا يدرك • واصحاب محمدصلى الله عليه وسلم كانوا ـ معانهم اكمل الناس علماً نافعاً وعملا صالحاً ـ اقل الناس تكلفاً يصدر عن احدهم الكلمة والكلمتان من الحكمة او من المعارف ما يهدي الله بها امة . وتجد غيرهم يحشون الاوراق من التكلفات والشطحات ما هو من اعظم الفضول المبتدعة والاراء المخترعة لم يكن لهم في ذلك سلف الا رعونات النفوس المتلقاة ممن ساء قصده في الدين .

ويروى ان الله سبحانه قال للمسيح اني سأخلق امة افضلها على كل امـة وليس لها علم ولا حلم فقال المسيح اي رب كيف تفضلهم على جميع الامم وليس لهم علم ولا حلم قال اهبهم من علمي وحلمي .

وهذا من خواص متابعة الرسول فايهم كان له اتبـع كان في ذلك اكمل كما قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم .لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم).

وكذلك في الصحيحين من حديث ابي موسى وعبـدالله بن عمـر رضي الله عنهم « مثلنا ومثل الامم قبلنا كالذي استأجر اجراء فقال من يعمل الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود ثم قـال من يعمل لي الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين فعمل المسلمون فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا قال فهل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشاء » .

فدل الكتاب والسنة على ان الله يؤتي اتباع هذا الرسول من فضله مالم يؤته لاهل الكتابين قبلهم فكيف بمن هو دونهم مـن الصائبة دع مبتدعـة الصائبة من المتفلسفة ونحوهم .

ومن المعلوم ان اهل الحديث والسنة اخص بالرسول واتباعه فلهم مـن فضل الله وتخصيصه اياهم بالعلم والحلم وتضعيف الاجر ماليس لغيرهم كما قـال بعض السلف اهل السنة في الاسلام كاهل الاسلام في الملل .

فهذا الكلام تنبيه على ما يظنه اهل الجهالة والضلالة من نقص الصحابة في العلم والبيان او اليد والسنان .

والمقصود التنبيه على ان كل من زعم بلسان حاله او مقاله ان طائفة غير اهل الحديث ادركوا من حقائق الامور الباطنة الغيبية في امر الخلق والبعث والمبدأ والمعاد وامر الايمان بالله واليوم الاخر وتعرف واجب الوجود والنفس الناطقة والعلوم والاخلاق التي تزكو بها النفوس وتصلح وتكمل دون اهـل الحديث فهو ـ ان كان من المؤمنين بالرسل ـ فهو جاهل فيه شعبة قـوية مـن شعب النفاق والا فهو منافق خالص من الذين (اذا قيل لهم آمنوا كما آمـن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) وقد يكون من (الذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد)

وقد يبين ذلك بالقياس العقلي الصحيح الذي لا ريب فيه وان كان ذلك ظاهرا بالفطرة لكل سليم الفطرة فانه متى كان الرسول اكمل الخلق واعلمهم بالحقائق واقومهم قولا وحالا لزم ان يكون اعلم الناس به اعلم الخلق بذلك وان يكون اعظمهم موافقة له واقتداء به افضل الخلق ـ الى ان قال ـ فـاذا

كان الرسول اعلم الخلق بالحقائق الخبرية والطلبية واحب الخلق للتعليم والهداية والافادة واقدر الخلق على البيان والعبارة امتنع ان يكون من هو دونه افاد خواصه معرفة الحقائق اعظم مما افادها الرسول لخواصه فامتنع ان يكون عند احد من الطوائف من معرفة الحقائق ماليس عند علماء الحديث انتهى المقصود من كلامه ملخصا .

الوجه الثامن ان الصواف صدر كلامه في هذا الموضع بعنوان « اتساع الكون » ثم اورد الآيات الثلاث من سورة المؤمنين وسورة الذاريات وسورة الملك ثم عقب ذلك بما احرزه الجهل الفزيقي والكشوف الجهلية الحديثة في الفلك من ان الشمس والقمر والنجوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم انما هي سموات فوق سموات تتالف منها عوالم الكون . وما قاله الجاهل الفلكي « ارثر فندلاي » من ان السموات السبع افضية منسابةوان الارضين السبع كرات اثيرية تحيط بالكرة الارضية وتتخللها .

وهذا ظاهر في حمله الآيات الثلاث على ماذكره بعدها وجعله كالتفسير لها وذلك من تاويل الآيات على غير تاويلها .

وقد قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه انتهى .

الوجه التاسع ان الله تعالى نص في تسعة مواضع من القرآن على ان السموات سبع فقط . واخبر في سورة الملك وسورة نوح انها طباق اي بعضها فوق بعض . وقال في سورة المؤمنين(ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) اي بعضها فوق بعض كما قاله غير واحد من المفسرين وائمة اللغة . واخبر

تبارك وتعالى انه جعل في السماء سراجا وهي الشمس وقمرا منيرا . واخبر ايضا انه زين السماء الدنيا بالكواكب . واخبر ايضا ان السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا . وفي هذه النصوص وما فيها من التفريق بين السموات وبين ما جعله الله فيها من السراج والقمر والزينة التي هي النجوم وما ملئت به من الحرس والشهب اعظم رد على ما فهمه اهل الجهل الفزيقي والكشوف الجهلية من ان الشمس والقمر والنجوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم انما هي سموات فوق سموات تتألف منها عوالم الكون .

الوجه العاشر ان ما احرزه الجهل الفزيقي والكشوف الجهلية وما اثبته جهلهم يقتضي ان تكون السموات كثيرة جدا بحيث لا يحصرها علم البشر وفي هذا اعظم معارضة للقرآن والاحاديث الصحيحة الدالة على ان السموات سبع فقط . وقد ذكرت جملة منها في الصواعق الشديدة فلتراجع هناك . وفيه ايضا معارضة لاجماع اهل السنة على ان السموات سبع طباق . وقد ذكرت ذلك في الصواعق الشديدة فليراجع هناك. وما عارض نصوص القرآن والاحاديث الصحيحة واجماع اهل السنة فمضروب به عرض الحائط ومردود على قائله كائنا من كان .

الوجه الحادي عشر ان كلام الصواف ينقض بعضه بعضا فقد قال في الكلام على الآية من سورة المؤمنين ما نصه « يقول الله سبحانه عن السموات انها سبع وزيادة عليها يوجد العرش الذي وصفه بانه عظيم ويصف جل شأنه هذه السموات انها طباق » ثم ذكر بعد ذلك ان العلم اثبت ان الشمس والقمر والنجوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم انما هي سموات فوق سموات تتالف منها عوالم الكون .

وهذا من اقبح التناقض لانه قد قرر اولا ان السموات سبع كما نطقت به الآية الكريمة . ثم ذكر ما يقتضي كثرة عددالسموات وان عدتها لا تنحصر في سبع بل ولا سبعين ولاسبعمائة ولا سبعة الآف . ومثل هذا التناقض لايصدر من رجل عاقل ابدا .

الوجه الثاني عشر ان ايراد الصواف لما احرزه الجهل الفزيقي والكشوف الجهلية الحديثة في الفلك وما اثبته جهلهم من ان الشمس والقمر والنجوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم انما هي سموات فوق سموات تتالف منها عوالم الكون . وايراده ايضا لما قاله الجاهل الفلكي « ارثر فندلاي » من ان الجهل اثبت ان السموات السبع افضية منسابة . وتقريره لهذه الاقوال الباطلة يقتضي تكذيب ما اخبر الله به في كتابه من كون السموات سبعا وكونهن شدادا . ويقتضي ايضا تكذيب ما اخبر به رسول الله ﷺ من كون السموات سبعا كثف كل سماء منهن خمسمائة سنة . بل هذا في الحقيقة انكار لوجود السموات التي نص الله عليها في مواضع كثيرة من القرآن . ونص عليها رسول الله ﷺ في كثير من الاحاديث الصحيحة واخبر انه عرج به اليها فلم يدخل سماء منها هو وجبريل الا بعد الاستفتاح وفتح الباب لهما .

واذ كانت السموات السبع عند اهل الجهل الفزيقي والكشوف الجهلية ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من جهال العصريين هي الشمس والقمر والنجوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم فانه يلزم على قولهم ان يكون النبي ﷺ قد عرج به الى الشمس والقمر والنجوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم ورأى فيها آدم وابراهيم وموسى وهارون وادريس ويوسف ويحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين . وهذا لا يقوله مسلم . ومع هذا فقد ادخله الصواف في علم الفلك الذي نسبه الى المسلمين . وهذا من اكبر

الخطأ واعظم الفرية على المسلمين .

الوجه الثالث عشر ان الله تبارك وتعالى قال(وبنينا فوقكم سبعا شداد)

وروى الامام احمد وغيره من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال « وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة » وفي هذا النص مع نص الآية الكريمة ابلغ رد على ما زعمه الجاهل الفلكي «ارثر فندلاي» من ان السموات افضية منسابة الى آخر كلامه .

الوجه الرابع عشر انه ليس في السماء سوى شمس واحدة كما هو معلوم بالمشاهدة ومنصوص عليه في مواضع كثيرة من القرآن والاحاديث الصحيحة وقد ذكرت الادلة على ذلك مستوفاة في اول الصواعق الشديدة وذكرت جملة منها في مواضع من هذا الكتاب فلتراجع هنا وهناك . ومن زعم ان في السماء شموسا متعددة فهو من اكذب الكاذبين .

الوجه الخامس عشر ان كل ماذكره الصواف عن الجاهل الفلكي «ارثر فندلاي » من ان السموات افضية منسابة وان هناك شموسا سبعا اثيرية وان الارضين السبع كرات اثيرية تحيط بالكرة الارضية وتتخللها فكله هوس وهذيان مردود بالنصوص الدالة على ان السموات شداد وان كثف كل سماء خمسمائة سنة وانه ليس في السماء سوى شمس واحدة وان الارضين ليست بالاثير اي الهواء الذي هو فوق الارض او يتخللها وانما هي اجرام صلبة كما هو مشاهد من اعلاها الذي نحن ساكنون عليه . وكما يدل عليه قول النبي ﷺ « من اخذ من الارض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع ارضين» رواه الامام احمد والبخاري من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما

والخسف لا يكون في الهواء ولا الى الجهة الفوقية وانما يكون في

المواضع الصلبة وفيما هو تحت المخسوف به .

وفي قوله ﷺ « خسف به الى سبع ارضين » دليل على ان الارضين بعضهن فوق بعض واعلاهن ما نحن ساكنون عليه .

فصل

وفي صفحة ١٠٨ ساق الصواف كلاماً للفلكي « سيمون نيوك » صور فيه صورة العالم وحجم الارض والشمس والقمر والنجوم السيارة وابعادها وما بينها وبين النجوم الثوابت من البعد العظيم على حد زعمه الكاذب . وما بين النجوم الثوابت ايضاً من البعد الشاسع بالنسبة الى العالم الذي تصوره بعقله الفاسد . وهذا التصوير لا دليل عليه من كتاب ولا سنة وانما هو مبني على التخرص واتباع الظن الكاذب . وقد قال الله تعالى (قتل الخراصون . الذين هم في غمرة ساهون) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون) .

ولا يغتر بمثل هذا الهذيان ويصغى اليه الا جاهل قد اعمى الله بصيرته .

فصل

وقال الصواف في صفحة ١٠٩ ما نصه :

ولعل ادق وصف للارض بالنسبة للكون هو انها هباءة دقيقة لا ترى الا بالمجهر في هذا الفضاء الفلكي الواسع بالنسبة الى الاجرام السماوية المتناثرة في انحاء الكون .

والجواب ان يقال هذا قول باطل مردود . وقد نبهت على بطلانه في اول الكتاب فليراجع هناك .

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ١٠٩ ما نصه

هذا وقـد اثبتت الابحاث الاخيرة ان حجم الكون آخـــذ في الزيادة والاتساع شيئاً فشيئاً . وكلمـا ازداد حجمه ازدادت المسافة بين اجـرامه . فسبحان اعلم العلماء . وما اعظم صدق القرآن وهو يقرر هذه الحقيقة العلمية قبل ان تعرف وهي ان السماء في اتساع دائم (والسماء بنيناها بايـــد وانا لموسعون) .

والجواب ان يقال أما زعمه ان حجم الكون آخـذ في الزيادة والاتساع شيئاً فشيئاً وكلما ازداد حجمه ازدادت المسافة بين اجرامه فهو قول لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا معقول صحيح . وما ليس عليه دليل فليس عليه تعويل .

وايضاً فالامور الغيبية لا يمكن الوصول الى علمهـــا بالابحاث التي هي التخرصات والظنون الكاذبة على الحقيقة وانما تعـلم من طريق الوحي . وقد انقطع الوحي بموت النبي صلى الله عليـه وسلم . وقد قال الله تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) وقال تعالى (قل لا يعـــلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون ايان يبعثون) وقال تعـالى (وما يتبع اكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحـــق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) .

وتأويل الصواف للآية من سورة الذاريات على ما زعمه من الاتساع الدائم

لم يؤثر عن أحد من المفسرين وانما هو من تحريف الكلم عن مواضعه . وقد ذكرت الرد عليه وكلام المفسرين على الآية في اول الفصل الذي قبل هذا الفصل بفصلين فليراجع .

وقد قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه انتهى .

واما قوله فسبحان اعلم العلماء

فجوابه ان يقال هذه العبارة لم ينطق بها كتاب ولا سنة ولم تؤثر عن احد من السلف الصالح ولا من بعدهم من علماء المسلمين ولم ارها لاحد قبل الصواف .

والذي عليه اهل السنة والجماعة انهم لا يصفون الله الا بما وصف به نفسه او وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يكونوا يبتدعون في صفات الرب الفاظاً لم ترد في الكتاب ولا في السنة. فمن سلك سبيلهم فهو منهم. ومن حاد عن سبيلهم وسلك سبل اهل البدع فهو منهم . ولقد احسن الراجز حيث يقول :

وكل خير في اتباع من سلف — وكل شر في ابتداع من خلف

فصل

وفي صفحة ١١١ وصفحة ١١٢ ذكر الصواف المعلقين على محاضرته والمادحين له ومنهم محمد زكي المحاسني وذكر من قوله .

لا تسألوا عن صوفه او قطنه — فمن الصفاء دعوه بالصواف

هو في الائمة بين سادة مكة   اهل التقى والعلم والانصاف

ثم قال :

قطناً لبست او ارتديت الصوفا   فلقد وجدتك بالهدى موصوفا

واذا المنابر بالرجال تلألأت   عرفت لسانك بالمقال عفيفا

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان ايراد الصواف لهذه الابيات في رسالته من تزكية النفس وقد قال الله تعالى (فلاتزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى) وقال تعالى (الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا) .

قال البغوي عند قوله تعالى (فلا تزكوا انفسكم) قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صائرة فلا تزكوا انفسكم فلا تبرئوها من الاثام ولا تمدحوها بحسن اعمالها .

وفي صحيح مسلم عن زينب بنت ابي سلمة رضي الله عنها قالت سميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزكوا انفسكم الله اعلم بأهل البر منكم » .

الوجه الثاني ان النبي ﷺ كره المدح وانكر على المداحين وأمر ان يحثى في وجوههم التراب كما في الحديث الذي رواه الامام احمد والشيخان وابو داود وابن ماجه عن ابي بكرة رضي الله عنه قال مدح رجل رجلا عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ويلك قطعت عنق صاحبك مرارا - اذا كان احدكم مادحا صاحبه لامحالة فليقل احسب فلانا والله حسيبه ولا ازكي على الله

احدا احسبه كذا وكذا ان كان يعلم ذلك » .

وروى مسلم ايضا عن ابى موسى رضي الله عنه قال سمع النبي ﷺ رجلا يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال « لقد اهلكتم او قطعتم ظهر الرجل » .

وروى الامام احمد ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجه عن همام بن الحارث قال جاء رجل الى عثمان فاثنى عليه في وجهه قال فجعل المقداد بن الاسود يحثو في وجهه التراب ويقول امرنا رسول الله ﷺ اذا لقينا المداحين ان نحثو في وجوههم التراب . قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

وقد رواه ابو داود الطيالسي في مسنده من حديث همام بن الحارث قال كنا جلوسا في مسجد رسول الله ﷺ فجاء قوم يثنون على عثمان ويمدحونه والمقداد في ناحية المسجد فلما سمعهم يمدحونه قام فتناول الحصا فجعل يحثو في وجوههم فقال عثمان ما هذا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « اذا رايتم المداحين فاحثو في وجوههم او قال في افواههم التراب او قال الحصا »

وقال الامام احمد في مسنده حدثنا سفيان عن ابن ابي نجيح عن مجاهد ان سعيد بن العاص بعث وفدا من العراق الى عثمان فجاؤا يثنون عليه فجعل المقداد يحثو في وجوههم التراب وقال امرنا رسول الله ﷺ ان نحثو في وجوه المداحين التراب . وقال سفيان مرة فقام المقداد فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « احثوا في وجوه المداحين التراب » قال الزبير أما المقداد فقد قضى ما عليه .

وقال الامام احمد ايضاً حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن حبيب عن

مجاهد عن ابي معمر قال قام رجل يثني على امـــير من الامراء فجعل المقداد يحثي في وجهه وقال امرنا رسول الله ﷺ ان نحثي في وجوه المداحين التراب.

وقال الامام احمد ايضاً حدثنا يحي عن وائل بن داود قال سمعت عبدالله البهي ان ركباً وقفوا على عثمان بن عفان فمدحـوه واثنوا عليه وثم المقداد بن الاسود فاخذ قبضة من الارض فحثاها في وجـوه الركب فقال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم « اذا سمعتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب » .

واذا كان هذا فعل المقداد رضي الله عنه مع من مدح عثمان الذي هو اهل للمدح والثناء فكيف بمن مدح من لا يستحق المدح والثناء وانما يستحق القدح والذم والتأنيب وما هو اشد من ذلك فالله المستعان .

وقال الامام احمد ايضاً حدثنا محمـد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن ميمون بن ابي شبيب قال جعل رجل يمدح عاملا لعثمان فعمد المقـداد فجعل يحثو التراب في وجهه فقال له عثمان ما هذا قال ان رسول الله ﷺ قال « اذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب » .

وقد رواه ابو داود الطيالسي في مسنده من حديث شعبة به الا انه قال جعل رجل يمدح غلاماً لعثمان .

وروى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال امرنا رسول الله ﷺ ان نحثو في افواه المداحين التراب . قال الترمذي هـــذا حديث غريب من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

الوجه الثالث ان المحاسني قد اخطأ في عدة مواضع من كلامه .

احدها قوله فمن الصفاء دعوه بالصواف

والجواب ان يقال ليس الامر كما زعمه المحاسني من ان الصواف منسوب الى الصفاء وانما هو منسوب الى بيع الصوف كما يقال لبائع التمر تمار ولبائع السمن سمان ولبائع الزيت زيات ولبائع البقل بقال ولبائع النحاس نحاس وما اشبه ذلك . ولو كان منسوباً الى الصفاء لقيل له الصافي لا الصواف .

الموضع الثاني عده من الائمة اهل التقى والعلم والانصاف .

والجواب ان يقال هذا فيه نظر لا يخفى على من له ادنى علم ومعرفة .

الموضع الثالث قوله فلقد وجدتك بالهدى موصوفا

والجواب ان يقال وهذا ايضاً فيه نظر لا يخفى على من له ادنى علم ومعرفة ولقد احسن الشاعر حيث يقول :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل امر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم ... بعضاً ليدفع معور عن معور
فطن لكل مصيبة في مـــاله ... واذا اصيب بدينه لم يشعر

الموضع الرابع قوله عرفت لسانك بالمقال عفيفا

والجواب ان يقال كيف يكون لسانه عفيفاً بالمقال وهو قد قال على الله تعالى وعلى كتابه ورسوله ﷺ بغير علم . واخطأ على المسلمين خطأ كبيرا حيث نسب اليهم من التخرصات والظنون الكاذبة ما هم بريئون منه .

فأما قوله على الله تعالى وعلى كتابه بغير علم ففي مواضع من رسالته التي قد رددت عليها .

منها قوله في صفحة ٤٠ ان القرآن اشار الى نظرية « لابلاس» وهـــي قوله ان الارض والشمس ومختلف الكواكب والاجرام انما كانت سديمـــا في

الفضاء وان الارض انفصلت عـــن هذا السديم. ثم قال في صفحة٤١ وبذلك قرر العلم اليوم ما قرره القرآن واشار اليه قبل الف واربعمائة عام من ان الارض والشمس والنجوم اي السماء والارض وما فيهما انما كانت سديمـــا انفصل الى اجزاء .

وهذا من القول على الله وعلى كتابه بغير علم . وقد استوفيت الرد عليه في اول هذا الكتاب فليراجع .

ومنها في صفحة ٤٢ وصفحة ٤٣ فقد اورد آيتين من سورة يس وآية من سورة النمل ثم حمل الآيات على ما يزعمه فـــلاسفة الافرنج من التخرصات والظنون الكاذبة وزعم ان ذلك مما قرره القرآن الكريم . وهذا من الافتراء على الله وعلى كتابه . وقد استوفيت الرد عليه في اول الكتاب فليراجع هناك

ومنها في صفحة ٥٤و٥٥و٥٦ فقد اورد آيتين من سورة القصص وحملها على ما يزعمه فلاسفة الافرنج من حركة الارض ودورانها حول نفسها وحول الشمس. وهذا من الافتراء على الله وعلى كتابه. وقد استوفيت الرد عليه في اول الكتاب فليراجع هناك .

ومنها في صفحة ٦١ فقد زعم ان المستقر الذي ذكره الله في قوله (والشمس تجري لمستقر لها) انه المحور الذي تدور عليه الشمس حول نفسها . وهـذا من الافتراء على الله وعلى كتابه . وقد استوفيت الرد عليه في اثناء الكتاب فليراجع هناك .

ومنها انه في صفحة ٧٦ اورد آية من سورة الاسراء ثم حملها في صفحة ٧٨ على ما يوافق آراء الافرنج وتخرصاتهم وزعم ان ذلك من معجزات القرآن . وهذا من الافتراء على الله وعلى كتابه . وقد استوفيت الرد عليه في اثنـــاء الكتاب فليراجع هناك .

ومنها انه في صفحة ٩٧ و ٩٨ زعم ان الله يحثنا على البحث عن الكواكب وما فيها من عوالم . وهذا من الافتراء على الله تعالى . وقد تقدم الكلام عليه في موضعه .

ومنها انه في صفحة ١٠١ نقل كلاما لموسى جار الله زعم فيه ان السموات لها منظومات وكل منظومة من هذه المنظومات يسميها القرآن برجا الى آخر هذيانه في السطر الاول من صفحة ١٠٢ وهو من الافتراء على الله وعلى كتابه وقد تقدم التنبيه على ذلك في موضعه .

ومنها انه في صفحة ١٠٧ وصفحة ١٠٩ ذكر الآيتين من سورة المؤمنين وسورة الذاريات ثم حملهما على ما يوافق تخرصات الافرنج وظنونهم الكاذبة. وهذا من الافتراء على الله وعلى كتابه . وقد تقدم التنبيه على ذلك قريبا فليراجع .

واما قوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير علم ففي صفحه ٧٨ .

وأما خطاه على المسلمين ففي عنوان رسالته حيث زعم ان ما اودعه فيها من تخرصات الافرنج وظنونهم الكاذبة فهو من علوم المسلمين في الفلك. وقد نبهت على ذلك في اول الكتاب فليراجع هناك .

وفي صفحة ٦٠ زعم ان القول بثبات الشمس وقرارها قد سبق اليه العلماء الاعلام من المسلمين . وهذا غلط وخطا عليهم .

وفي صفحة ٦١ زعم ان للشمس محورا تدور عليه كما تدور المروحة السقفية على محورها وفسر المستقر المذكور في قول الله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) بما زعمه من المحور المتوهم . قال وقد قال بهذا القول رجال

من سلف هذه الامة الخيار وذكر منهم مجاهدا . وهـذا غلط وخطأ عليهم . وقد نبهت على ذلك في موضعه فليراجع هناك

ومما ذكرته من هذه الامثلة يعلم ان لسان الصواف ليس عفيفا بالمقال وان من وصفه بالعفاف فقد اخطأ

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ١١٣ مانصه : ـ

وانتهت المحاضرة بعد هذا وكان من نتاجها الطيب هذا الكتاب « المسلمون وعلم الفلك » الذي بين ايدي القراء اليوم . والذي نسال الله ان يجعله خالصا لوجهه الكريم وان يشفع لنا به سبحانه وتعالى

والجواب ان يقال ليس كتاب الصواف من النتاج الطيب كما زعم ذلك وانما هو من النتاج الذي ليس بطيب كما لا يخفي على من نور الله قلبه بنور العلم والايمان . وذلك لانه محشو من تخرصات الافرنج وظنونهم الكاذبـــة المخالفة لما في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . مع ما فيه من القول على الله وعلى كتابه وعـلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعـلى المسلمين بغير عـــلم .

وما كان كذلك فليس بطيب وانما هو بضد ذلك . ولكـن القلوب اذا عميت وانتكست صارت ترى الباطل حقا والمنكر معروفا والخبيث طيبا .

ولما كان الصواف قد عدم التمييز بين الطيب الذي يرجى نفعـه وبين ضده الذي هو ضرر محض رأى ان كتابه من النتاج الطيب وسأل الشفاعة به

ولقد احسن الشاعر حيث يقول :

يقضى على المرء في ايام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وأما قوله وان يشفع لنا به

فجوابه ان يقال ومن ترى يشفع لك به عنده. تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الجاهلون علوا كبيرا .

وقد انكر النبي ﷺ على الاعرابي انكاراً شديدا لما قال له انا لنستشفع بالله عليك • ففي سنن ابي داود عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال اتى رسول الله ﷺ اعرابي فقال يا رسول الله جهدت الانفس وضاعت العيال ونهكت الاموال وهلكت الانعام فاستسق الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ «ويحك اتدري ماتقول» وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه ثم قال« ويحك انه لا يستشفع بالله على احد من خلقه شأن الله اعظم من ذلك » الحديث قال الذهبي اسناده حسن . ورد ابن القيم في تهذيب السنن على من تكلم في هذا الحديث بغير حجة فاجاد وافاد

واذا علم هذا فلا يخفى على من له ادنى علم ومعرفة ما بين قول الصواف وقول الاعرابي من المشابهة الظاهرة. فالصواف قد سأل الله ان يشفع له بكتابه. والاعرابي قال للنبي ﷺ ونستشفع بالله عليك . فكل منهما قد استشفع بالله . والله تعالى لا يستشفع به على احد من خلقه شأن الله اعظم من ذلك .

فصل

وقال الصواف في صفحة ١١٤ ان الكثير من شبابنا اليوم في حاجة ماسة الى مثل هذه الكتب ـ يعني كتابه وما اشبهه من الكتب المضلة ـ لتلقي لهم

ضوءاً على ماضيهم المشرق وتكشف لهم الحجاب عن حضارتهم الرائعة التي طمسها الاعداء او كادوا .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ان الناس في حاجة شديدة الى التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والاخذ بما جاء عن الصحابة والتابعين وائمة العلم والهدى من بعدهم فهذا هو العلم النافع الذي يلقي لهم الضوء على ماضيهم المشرق ويكشف لهم الحجاب عن حضارتهم الرائعة .

فاما ما جاء عن فيثاغورس اليوناني واتباعه من فلاسفة الافرنج المتاخرين وهم اهل الهيئة الجديدة واتباعهم من فلاسفة الافرنج وجهال المسلمين فهذا ضرر محض تجب محاربته بكل ما امكن .

وكتاب الصواف من هذا القسم الاخير لانه مبنى على اقوال «فيثاغورس» واتباعه من فلاسفة الافرنج المتاخرين ومحشو من تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة مع ما اشتمل عليه من تحريف آيات كثيرة من القرآن وتاويلها على غير المراد منها . وما اشتمل عليه ايضا من الافتراء على سول الله ﷺ وعلى المسلمين . وما كان بهذه الصفة فانه يجب القضاء عليه وعلى امثاله من الكتب التي تضل الشيوخ والشباب وتدعوهم الى نبذ الكتاب والسنة وراء ظهورهم .

الوجه الثاني ان يقال واي حاجة بالشباب الى تخرصات اليونان والافرنج وظنونهم التي ما انزل الله بها من سلطان . وانما هي من وحي الشيطان وتضليله .

واي حاجة بالشباب الى الهذيان والسخافات التي يضحك منها الصبيان الصغار فضلا عن الرجال العقلاء. وساذكر نماذج منها قريبا ان شاء الله تعالى.

واي حاجة بالشباب الى القول على الله وعلى كتابه وعلى رسوله ﷺ وعلى المسلمين بغير علم وقد تقدمت الاشارة الى مواضع ذلك في رسالة الصواف قريبا عند الكلام على ما نقله الصواف عن المحاسني فليراجع

واي حاجة بالشباب الى العبارات البشعة المنكرة جدا كقول الصواف في صفحة ٣٩ وقد تمكن بعض العلماء من معرفة اشياء مهمة عن الارض ومكوناتها . وقوله ايضا في صفحة ٤١ وبتقدم العلم امكن الى حد ما معرفة العناصر المكونة للشمس فوجدانها تتكون من نفس العناصر التي تتكون منها الارض .

فاضاف تكوين الارض والشمس الى العناصر وهذا مذهب الطبيعيين الذين يزعمون ان الايجاد والتكوين ناشىء عن الطبيعة وذلك شرك بالله تعالى لان الله تعالى هو الذي خلق العناصر وخلق ما تكون منها فلا يضاف التكوين الى غيره .

ومن ذلك قوله في صفحة ٥٧ هذه الشمس التي ليست مصدر نورنا ونارنا فقط بل هي محور نظامنا السياري ومصدر حياتنا ايضا .

فجعل مصدر حياة البشر من الشمس وذلك شرك بالله تعالى لان الحياة مصدرها من الله وحده فهو الذي اوجد الخلق من العدم وهيأ الاسباب لحياتهم في الدنيا وفي الاخرة.

ومن ذلك قوله ايضا في صفحة ٥٧ ان الشمس لم تزل تجدد وزنها وحجمها

فجعل للشمس تصرفا في نفسها بتجديد الوزن والحجم وذلك شرك بالله تعالى

ومن ذلك قوله في صفحة ٦٨ وهل تعلم ان من علماء الهيئة المسلمين الذين رصدوا وألفوا وسهروا الليالي الطوال في مناجـاة النجوم ورصد حركاتهـا وسكناتها والناس نيام والعالم في غفوة وغفلة الشيخ ابو جعفر نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي الفيلسوف .

فجعل نصير الشرك مسلماً مع تصريحه بانه كان يسهر الليالي الطوال في مناجاة النجوم . ومناجاة النجوم شرك بالله تعالى . وقد تقدم ايضاح ذلك في موضعه بما اغنى عن اعادته ههنا .

وايضاً فقد جعل العالم كله في غفوة وغفـلة وجعل نصير الشرك هو المتيقظ المتنبه وحده لانه كان يسهر الليالي الطوال في مناجاة النجوم . وقد تقدم التنبيه على هذا التهور فليراجع في موضعه .

ومن ذلك ما نقله في صفحة ٧٤ عن ابن باديس انه قـال في الشمس انها هي التي ابصرت القمر .

فاضاف ابصـار القمر الى الشمس وذلك شـرك بالله تعالى لان الله تعالى هو الذي جعل الضياء في الشمس وجعله يمتد منها الى القمر وينعكس منه الى الارض وذلك كله خلق الله وفعله فلا يضاف الى غيره .

ومن ذلك ما في صفحـة ١١٣ حيث سأل الله تعـالى ان يشفع له بكتابه تعالى الله وتقدس عن قوله .

ومن ذلك قوله في صفحة ١١٧ و ١١٨ ان علم الفلك يبعث الايمان ويزيده ويدعو الى تعميق جذوره في قلب الانسان . وانه قد قيل ان اشد الناس ايمانا بالله هم علماء الطب وعلماء الفلك .

وهذه احدى الكبر من الصواف لو كان يعلم ما يقول .

الى غير ذلك من العبارات المنكرة في كتاب الصواف وقــد تقدم الرد عليها مفصلا في مواضعه من هذا الكتاب سوى الاخير من اقواله فسيأتي الرد عليه قريباً ان شاء الله تعالى .

وأما الهذيان والسخافات المضحكة فكثيرة جداً في كتابه .

فمن ذلك قوله في صفحة ٣٨ ان الارض تدور حول الشمس في فلك يبلغ محيطه ٥٨٠ مليون ميل فمعدل سرعتنا في هذه الحركة يبلغ ٦٠ الف ميــل في الساعة او بنحو الف ميل في الدقيقة . والنظام الشمسي كله بمـا فيه الارض ينهب الفضاء نهباً بسرعة لا تقل عن ٢٠ الف ميل في الساعة اي اكثر من ٣٠٠ ميل في الدقيقة متجهة نحو برج هركيوليس .

ومن ذلك قوله في صفحة ٣٨ أما عمر الارض فقد بدأ الانسان تكهناته عنه من آماد بعيدة ففي القرن السابع عشر قال احد المفكرين واسمه «جيمس اوثر» ان العالم بدأ يوم ٢٦ اكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد . وجاء في أحد الكتب الهندية المقدسة ان عمر العالم هو ١٩٧٢٩٤٩٠٥٦ سـنة . وفي العصر الحـديث بدأت الجهود التي يبذلها الفلكيون في المراصد تلتقي عنـد ادق رقم يمكن ان يعتبر اصح تقدير لعمر الكرة الارضية . فقد دلت آخــــر التقديرات القائمة على دراسات فلكية وابحاث علمية في مراصد ليك ومونت ويلسون وبالومار على ان عمر الكرة الارضية حوالي ٥٤٠٠٠٠٠٠٠٠ سنة . ونسبة الخطأ في تقدير هذا الرقـم يقرب من ٢٠٪ . ويعتمد الفلكيون في عمـر الكرة الارضية على النظرية القائلة بأن شيئاً حدث في الفضاء في قديم الزمان جعل المادة تتناثر من مركز مشترك واحد . وقد دلت الدراسة التي استمرت ٢٠ عـــاماً للضوء

المنبعث من الكواكب البعيدة على ان هذه الكواكب لا تزال ممعنة في الابتعاد في الفضاء . وان سرعتها تزداد كلما ازداد ابتعادها . وقد قضى الفلكيون في معرفة ذلك سبعة اعوام بالمراصد المذكورة يراقبـــون ٨٠٠ كوكب و ٢٦ مجموعة من الكواكب .

ومن ذلك ما في صفحة ٣٩ عندما ذكر تخرصات المتخرصين عن الارض ومعرفة تاريخها ونشأتها وعمرها وكيف تكونت طبقاتها ومـا طـرأ على كل طبقة من تغيير . قال وكل هذه الدراسات تضيف في كل لحظة وحـين ادلة مشرقة على عظمة الخالق ووجود الصانع .

فجعل التخرصات والظنون الكاذبة من اعداء الله تعالى ادلة مشرقة على عظمة الخالق ووجود الصانع . هذا مبلغ علمه وحاصل عقله .

ومن ذلك قوله في صفحة ٤٣ وليس هناك ابلغ ولا ادق مما يقوله حجة علم الفلك العالم « سيمون » من ان اعظم الحقائق التي اكتشفها العقل البشري في كافة العصور هي حقيقة ان الشمس والكواكب السيارة واقمارها تجري في الفضاء نحو برج النسر بسرعة غير معهودة لنا على الارض يكفي لتصويرها اننا لو سرنا بسرعة مليون ميل يوميا فلن تصل مجموعتنا الشمسية الى هذا البرج الا بعد مليون ونصف مليون سنة من وقتنا الحاضر . ثم قال أليست هذه احدى معجزات القرآن العلمية .

فانظر الى هذه الجراءة العظيمة على القول على الله وعلى كتابه بغير علم .

ومن ذلك قوله في صفحة ٥٥ وقد ذكر علماء الجيولوجيا ان الارض بعد انفصالها عن الشمس كانت تدور حول نفسها بسرعة اكبر مما هي عليه الآن اذ كانت تتم دورتها حول نفسها مرة كل اربع سـاعات فالليل والنهار كانا في

مجموعها اربع ساعات فقط . وبتوالي النقص في سرعة دورانها حول نفسها زادت المدة التي تتمفيها دورانها هذا . فزادت مدةالليل والنهار الى خمس ساعات ثم ست حتى وصلت الى اربع وعشرين ساعة وهي التي نحن عليها الآن . وقد اظهر بعض العلماء انه تمكن من احتساب النقص في سرعة دوران الارض فوجد ان هذا النقص يبلغ حوالي ثانية واحدة كل مائة وعشرين الف سنة . وعليه فبعد ٤٣٢ مليون سنة ينقص دوران الارض بمقدار ساعة وعندئذ يصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة . وهكذا يتوالى النقص ويطرد طول الليل والنهار . وعلىهذا الاساس يقول العلماء ان الارض لا بد ان تقف يوماً والله اعلم بذلك اليوم . وعند وقوفها يصبح الوجه المقابل للشمس نهاراً دائماً والوجه البعيد عنها ليلا دائماً وهذا ما اشار اليه الرب في كتابه العزيز .

فانظر الى هذه الجراءة العظيمة على القول على الله وعلى كتابه بغيرعلم .

ومن ذلك قوله في صفحة ٥٧ هذه الشمس هي آية من آيات الخالق وان هي الا آية صغيرة تزخر السماء بملايين من النجوم اضخم منها حجماً واكبر سرعة واكثر تألقا . وقد قال علماء الفلك انما هي كرة هائلة من الغازات الملتهبة . قطرها يزيد عن مليون وثلث مليون كيلو متر . ومحيطها مثل محيط الارض ٣٢٥ مرة ويبلغ ثقلها ٣٣٢ الف ضعف ثقل الارض . وحرارة سطحها نحو ٦٠٠٠ درجة سنتجراد . وهذا السطح تندلع منه ألسنة اللهب الى ارتفاع نصف مليون كيلو متر . وهي تنثر في الفضاء باستمرار طاقة قدرها ١٦٧٤٠٠ حصان من كل متر مربع ٠ ولا يصل للارض منها إلا جزء من مليوني جزء . وهي لا تعتبر إلا نجمة ولكنها ليست في عداد النجوم الكبرى . وسطحها به عواصف وزوابع كهربائية ومغناطيسية شديدة .

والمشكلة التي حيرت العلماء هي ان الشمس كما يؤخذ من علم طبقات الارض لم تزل تشع نفس المقدار من الحرارة منذ ملايين السنين . فان كانت الحرارة الناتجة عنها نتيجة احتراقها فكيف لم تفن مادتها على توالي العصور فلا شك ان طريقة الاحتراق الجارية فيها غير ما نعهد ونالف والا لكفاها ستة آلاف سنة لتحترق وتنفد حرارتها . وقد زعم البعض ان النيازك والشهب التي تسقط على سطحها تعوض الحرارة التي تفقدها بطريق الاشعاع .

ومن ذلك ما ذكره في صفحة ٥٨ و ٥٩و ٦٠ من الاعلانات لبعض الافرنج المعاصرين عن انفجارات حدثت في الشمس في سنة ١٩٥٦ و ١٩٥٧ ميلادية . منها ما يعادل القوة الناجمة عن تفجير مليوني قنبلة هيدروجينية وانه حدث في منطقة اكبر بكثير من مساحة الكرة الارضية . ومنها ما يعادل انفجار مائة مليون قنبلة هيدروجينية دفعة واحدة .

ومن ذلك قوله في صفحة ٦٠ (سكون الشمس وجريانها) .

فجمع بين النقيضين .

ثم قال والذين قالوا بقرارها قالوا هي ثابتة ومتحركة في آن واحد . ثابتة على محورها الذي ارساها الله لها ومتحركة حول هذا المحور اي هي دائرة حول نفسها ومثلها مثل المروحة السقفية الكهربائية فهي ثابتة في سقفها وهي متحركة حول نفسها . وهؤلاء استدلوا بقوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) وفسروا المستقر بالمحور . وقد قال بهـذا القول رجال من سلف هذه الامة الخيار .

فانظروا الى هذه الجراءة على كتاب الله وحمله على غير ما يراد به .

وانظروا ايضا الى الافتراء على السلف الخيار مـــن هذه الامة ونسبة القول الباطل اليهم وهم برءآء منه وانما هو من اقوال المتبعين لاهل الهيئة الجديدة المفتونين بتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة ٠

وقد نقض الصواف ما قرره في هذا الموضع من ثبات الشمس وتشبيهها بالمروحة السقفية الكهربائية بما قرره في صفحة ٩٩ وصفحة ١٠٠ ان الشمس تسير في كل برج شهراً وانها تقطع البروج كلها مرة في السنة ٠

ومن ذلك قوله في صفحة ٦٧ اكتفي بهذا المقدار من النقل ولا اريد ان ان استرسل الا اني اود اذكر كيف ان العلماء تكلموا في الشمس والقمر وتكلموا في النجوم الثوابت والسيارات وقدروا الابعاد بين الارض والشمس وقدروا مقدار ضخامة الشمس عن الارض وان الشمس اكـبر من الارض بمليـون وثلثمائة وثمانية وعشرين الف مرة . وان الشمس تبعد عـــن الارض باربعة وثلاثين مليون فرسخ فرنسي. والخلاصة انهم لم يتركوا بابا الا طرقوه وسواء كانوا مخطئين في تقديراتهم ام مصيبين فانهم اجتهدوا في علوم الكون وتكلموا فيها على حسب ما وصل اليه علمهم . وما صنعوا ذلك الا بوحي من دينهـــم واملا في خدمة هذا الدين الذي وهبوه كل شيء حياتهم واموالهـــم وجهدهم وعلمهم وجهادهم وسهرهم وعرقهم في سبيل الوصول الى الحقائق العلمية التي تدعو الى الايمان بالله العظيم . ورحم الله علماءنا الاعلام وجزاهم عمـا قدموا خير ما يجزي عاملا عن عمله .

ومن ذلك قوله في صفحة ٧١ يقول اللورد افـــبري . ان سطح القمر صحاري وقفار تتناهض فيها البراكين الخامدة وجباله ضخمة عظيمة يبلـغ ارتفاعها ٤٢ الف قدم بزيادة تقرب من ١٣ الف قدم على اعلى جبل على سطح

الارض . وفوهات البراكين هائلة العظمة يبلغ قطرها ٧٨ ميلا . ويقولون ان جبال القمر اقدم بكثير من سلاسل الجبال الارضية بملايين السنين .

ومن ذلك قوله في صفحة ٧٨ واتفق علماء الفلك في العصر الحديث بعد الاكتشافات والبحوث العلمية ان جرم القمر ـ كالارض ـ كان منذ احقاب طويلة وملايين السنين شديد الحمو والحرارة ثم برد فكانت اضاءته في زمان حموه وزالت لما برد .

ومن ذلك قوله في صفحة ٨٣ ان الخيال لا يمكن ان يتصور ان مرصد كاليفورنيا التقط اخيراً صورة عمرها ستة آلاف مليون سنة· ان علماء الفلك اعلنوا حديثاً ان هذه الصورة العجيبة ارسلت من احدى النجوم واستمرت رحلتها ستة الآف مليون سنة لتصل الى الارض . وحقائق اخرى غريبة اكتشفها الانسان تؤكد كلها ان الارض ما هي الا فقاعة في محيط . حقائق اقل ما توصف به انها مذهلة مذهلة . ثم ذكر في صفحة ٨٣وما بعدها الىآخر صفحة ٨٧ هذيانا كثيرا لبعض الفلكيين من الافرنج . حاصله ان بعضهم قال ان الشمس ترسل موجات راديو وانهم اكتشفوا نجمة جديدة قوية تبعد عن الارض بمسافة ١٥٠٠ مليون سنة ضوئية . وانهم في عام واحد اكتشفوا ٣٥ منها اطلقوا عليها اسم اشباه النجوم . وان الضوء في انتقاله الينا من اشباه النجوم يستغرق في الرحلة ستة الآف مليون سنة . ولذلكفالمنظر الذي نراه اليوم لهذه الاجرام السماوية النائية هو المنظر الذي كانت عليه منذ ستة الاف مليون سنة . وفي ذلك الوقتلم تكن الشمس ولا المجموعة الشمسيةموجودة بعد .اذ ان عمر الشمس هوخمسة الآف مليون سنة فقط كما يقولون ــ الى ان قال ــ وقد خرج العلماء بعد هذا بثلاث نظريات علمية مثيرة . ان هذه

النظريات تقول ان الكواكب الاخرى مسكونة وان سكانهاسبقوا اهل الارض في اطلاق سفن الفضاء وتفجير القنابل الذرية . ان هذه النظرية اشبه بالخيال .

الشمس ليست الا نجمة من النجوم المتوسطة . والمجموعة التي تنتمي اليها الشمس فيها ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٠٠ اي مائة الف مليون نجمة . وبالكون آلاف الملايين من مثل هذه المجموعات . وبين الرقم المجهول الذي ذكرناه للنجوم توجد عشرة آلاف مليون نجمة تؤلف حولها أسراً كاسرة الشمس اي توجد عشرة الاف مليون نجمة تدور حولها الكواكب . ثم ذكر الصواف انه نقل هذا الهذيان من جريدة المدينة عدد ٦٤٨ـ٦٠٤

ومن ذلك ما نقله في صفحة ٩٣ عن تفسير طنطاوي جوهري انه قال كيف تجعل الكواكب التي عدت بمئات الملايين كانها درر مرصعة في سقفنا ـ الى ان قال ـ فالشمس من تلك الشموس تشرف على سياراتها وعلى اراضيها ثم هي من جهة تجعل زينة في سماء كل شمس وكل ارض وكل سيارة . وكما ان الكواكب مرصعة في سمائنا فان شمسنامرصعةفي ملايين الآفاق المحيطةبالكرات

ومن ذلك قوله في صفحة ٩٧ يقول علماء الفلك ان من النجوم نجوما سوف لا يصل نورها الى كرتنا الارضية في اقل من الف وخمسمائةمليون سنة ضوئية . مع العلم بان الضوء يسير في الثانية الواحدة ثلثمائة الف كيلو متر . ويصل في سيره الى القمر في قدر ثانية وثلث الثانية . ولو جرى حول الكرة الارضية لدار حولها في الثانية الواحدة ثمان مرات . ولو اطلق مدفع فان قنبلة تجري وتسير نحو سنة ونصف السنة حتى تقطع المسافة التي يقطعها الضوء فى ثانية واحدة .

ومن ذلك قوله في صفحة ٩٨ و ٩٩ يقول علماء الفلك ان الشعرى اليانية اثقل من الشمس جرما بعشرين مرة . ونورها خمسون ضعف نور الشمس. وهي ابعد منها مليون ضعف بعدها عنا . وان الشعرى اليانية تجري بسرعة الف ميل في الدقيقة . والشعرى اليانية اسطع من خمسين شمسا كشمسنا ولا يصل الينا نورها الا في ستة عشر سنة . ولا يصل من نورها الينا الا واحد من الفي مليون منه . وثلاث من بنات نعش يفقن الشمس نوراً . واحدة منهن اربعمائة ضعف . والثانية اربعمائة وثمانين . والثالثة الف ضعف . وسهيل اضوأ من الشمس الفين وخمسائة مرة . والسماك الرامح حجمه ثمانون ضعف حجم الشمس ولا يصل الينا ضوؤه الا في مائتي سنة .

ومن ذلك ما نقله في صفحة ١٠١ عن موسى جار الله انه قال في كتابه « ترتيب السور الكريمة » زهقت الهيئة القديمة وجاء النظام الحق نظام السموات التي رفعها الله بغير عمد ترونها . وهذه السموات لها منظومات . منها منظومة شمسنا هذه بسياراتها التسع . وشمسنا هذه ليست من كبار الشموس ومنظومتنا هذه ليست من كبار المنظومات . وكل منظومة من هذه المنظومات يسميها القرآن برجا . والسماء التي تحوي كل هذه المنظومات يسميها القرآن الكريم السماء ذات البروج . بها اقسم الله في كتابه الكريم في سورة البروج . وهذه السماء ذات البروج التي تحوي كل هذه المنظومات يحدث خلال منظوماتها كل يوم انشقاقات . وبتلك الانشقاقات يحدث في المجرة وخارجها سموات . وللاشارة وللارشاد والى مثل هذه الحوادث الهائلة العظيمة وضعت سورة البروج بعد سورة الانشقاق .

ومن ذلك قوله في صفحة ١٠٣ يتضمن هذا الكون خمسمائة مليون مليون من المجرات كما يقدر علماء الفلك . وفي كل مجرة مائة الف مليون نجم . وان

اقرب مجرة الى الارض تلك التي نشاهد جزءاً منها كخط ابيض فـي الليل تمتد مساحتها مائة الف عام بالنسبة الى عام الضوء. ونحن سكان الارض نبتعد عن هذه المجرة مقـــدار ثلاثين الف عام من الضوء . ثم ان هذه المجرة جزء لمجرة كبيرة تتضمن سبع عشرة مجرة وتمتد ابعاد هـذه المجموعة فـي مساحة مليوني عام من الضوء. ثم ان هناك حركة اخرى غير هذه الدورات وهي ان الكون كله يتوسع ويتضخم مثل الكرة في الجوانب الاربعة .والشمس تجري بسرعة هائلة تبلغ اثني عشر ميلا في ثانية نحـو الجانب الخـارجي لمجرته وتقود كل ما يتبع النظام الشمسي .وكذلك النجوم كلها تتوجه الى اي جانب بسرعة متزايدة مع متابعة دورانها فمنها ما يبلغ سيره ثمانية اميال في كل ثانية وما يبلغ سيره ثلاثة وثلاثين ميلا في ثانية واربعة وثمانين ميلا في ثـانية . وهكذا نجد النجوم كلها متجهة نحو الامام .

ومن ذلك انه ذكر في صفحة ١٠٧ آيتين في ذكر السموات السبع ثم قال في صفحة ١٠٨ ان التقدم الذي احرزه العلم الفزيقي وظهور الكشوف العلمية الحديثة في الفلك قد مكنت العلماء من فهم هـذه السموات السبع والاراضي السبع . فقد اثبت العلم بان الشمس والقمر والنجـــوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم انما هي سموات فوق سموات تتألف منهـــا عوالم الكون . يقول العالم الفلكي « ارثر فندلاي » في كتابه « على حـافة العلم الاثيري » ان العـلم اثبت ان السموات السبع هي افضية منسابة يتبعثر خلالها ويرتد ضوء الشموس السبع الاثيرية التي تحيط بالشمس الفزيقية من كل جانب . واكد ان الاراضي السبع هي كرات اثيرية تحيط بالكرة الارضية وتتخللها .

ومن ذلك قوله في صفحة ١١٤ ان الكثير من شبابنا اليوم في حاجة ماسة

الى مثل هذه الكتب - يعني كتابه وما اشبهه من الكتب المضـلة - لتلقي لهم ضوءاً على ماضيهم المشرق وتكشف لهم الحجاب عـن حضارتهم الرائعة التي طمسها الاعداء او كادوا .

ومن ذلك قوله في صفحة ١١٧ ومن هذا المنطلق وجدت نفسي مضطراً الى توسيع هذا الكتاب الى الحد الذي وصل اليه لعلي اساهم بجهد المقل في بث الوعي الاسلامي بالقاء شيء من الاضواء على علم خطير من العلوم التي اشتغل بها علماؤنا الاعلام رضي الله عنهم وارضاهم حتى كانوا أئمـة فيه . الا وهو علم الفلك .

فهذه نماذج مما في كتاب الصواف من الهذيان والسخافات التي يضحك منها كل عاقل . وقد تقدم الرد عليهـا مفصلا في مواضعه من هـذا الكتاب سوى الاخير من اقواله فسيأتي الرد عليه قريباً ان شاء الله تعالى .

واذا علم ما ذكرنا من هذه النماذج السخيفة وما قبلها من العبارات البشعة المنكرة جداً فلا يقول ان الكثير من شبابنا اليوم في حاجة ماسة الى الكتاب الذي قد اشتمل عليها وعلى اضعاف اضعافها من التخرصات والظنون الكاذبة والى امثاله من الكتب المضلة لتلقي لهم ضوءاً على مـاضيهم المشرق وتكشف لهم الحجاب عن حضارتهم الرائعة إلا من هو في غـــاية الجهل والغباوة ومن لا يعرف الفرق بين الكتب النافعة والكتب الضارة .

الوجه الثالث ان الله تعـالى ذم التخرص واتباع الظن بابلغ الـذم فقال تعالى (قتـل الخراصون) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعـالى (وان تطع اكثر

من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وقال تعالى (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا . فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) .

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ انه قال « اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث » رواه مالك واحمد والشيخان وابو داود والترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

وقد خالف الصواف ماذكرنا من الآيات والحديث الصحيح حيث حشى كتابه من تخرصات الافرنج وظنونهم الكاذبة . ولم يكتف بالمخالفة لما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ بل ضم الى ذلك الترغيب فيما ذمه الله ورسوله ﷺ حيث زعم ان الكثير من الشباب اليوم في حاجة ماسة الى كتابه وامثاله من الكتب المشتملة على التخرصات والظنون الكاذبة . وهـــذا عين المحادة لله ولرسوله ﷺ .

الوجه الرابع قد تقدم في اول الكتاب احاديث كثيرة في الخـــوف من التصديق بالنجوم . والنهي عن النظر فيها . وعن مجالسة من ينظر فيهـا . والامر بالامساك اذا ذكرت . وان من اقتبس بابا من علم النجوم لغير ماذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر . وحديث ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا وفيه « وتعلموا من النجوم ماتهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا » . وحديث عمر رضي الله عنه بنحوه . وحديث ابن عبـاس رضي الله عنهما « رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف ابي جاد ليس له عند الله خلاق » .

وقد خالف الصواف جميع ما اشرنا اليه من الاحاديث التي سبق ذكرها

في اول الكتاب حيث رغب الناس في كتابه الذي قد اشتمل على التخرص في النجوم وزعم ان الكثير من الشباب اليوم في حاجة ماسة اليه والى امثاله من الكتب المضلة ولقد احسن الشاعر حيث يقول :

يقضى على المرء في ايام محنته　　　حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

واحسن من ذلك وابلغ قول الله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون)

الوجه الخامس ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في كتابه « بيان فضل علم السلف على علم الخلف » حديث ابن عباس رضي الله عنهما «رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف ابي جاد ليس له عند الله خلاق» ثم قال وهذا محمول على علم التاثير لا علم التسيير فان علم التأثير باطل محرم والعمل بمقتضاه كالتقرب الى النجوم وتقريب القرابين لها كفر . وأما علم التسيير فاذا تعلم ما يحتاج اليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزا عند الجمهور وما زاد عليه فلا حاجة اليه وهو يشغل عما هو أهم منه . وكذلك التوسع في علم الانساب هو مما لا يحتاج اليه وقد سبق عن عمر وغيره النهي عنه .

قلت قد تقدم حديث عمر رضي الله عنه في اول الكتاب وتقدمت الاشارة اليه في الوجه الرابع .

قال ابن رجب وكذلك التوسع في علم العربية لغة ونحواً هو مما يشغل عن العلم الاهم والوقوف معه يحرم علما نافعا . وقد كره القاسم بن مخيمرة علم النحو وقال اوله شغل وآخره بغي . واراد به التوسع فيه . وكذلك كره الامام احمد التوسع في معرفة اللغة وغريبها وانكر على ابي عبيد توسعه في ذلك وقال هو يشغل عما هو اهم منه . ولهذا يقال العربية في الكلام كالملح

في الطعام . يعني انه يؤخذ منها ما يصلح الكلام كما يؤخذمن الملح ما يصلح الطعام وما زاد على ذلك فانه يفسده . وكذلك علم الحساب يحتاج منه الى ما يعرف به حساب ما ينفع من قسم الفرائض والوصايا والاموال التي تقسم بين المستحقين لها والزائد على ذلك مما لا ينتفع به الا في مجـــرد رياضة الاذهان وصقالها لاحاجة اليه ويشغل عما هو اهم منه . وأما ما حدث بعدالصحابة من العلوم التي توسع فيها اهلها وسموها علوما وظنوا ان من لم يكن عالما بها فهو جاهل او ضال وكلها بدعة وهي من محدثات الامور المنهي عنها . ثم ذكر من ذلك ما احدثه المعتزلة من الكلام في القدر وضرب الامثال لله وما احدثـه اهل الرأي من الضوابط والقواعد العقلية والجدال والخصام والمراء فـــي مسائل الحلال والحرام . وكذلك ما احدثه غيرهم من الكلام في العلوم الباطنة من المعارف واعمال القلوب بمجرد الرأي والذوق والكشف .

قلت ومن ذلك ما احدثه أهل الهيئة الجديدة واتباعهم من الكلام في الارض والسموات والشمس والقمر والنجوم بمجـرد التخرصات واتباع الظنون الكاذبة والتعاطي لما استأثر الله به من علم الغيب . وهذا هو الذي اودعـــه الصواف في كتابه وزعم ان الكثير من الشباب اليوم في حاجة ماسة الى معرفته. وهذا ان لم يكن شراً من علم التأثير الذي لا خلاف في تحريمه فليس بدونه.

واذا كان التوسع في علم النسب والنحو واللغة والحساب مكروها عنـد بعض علماء السلف . وكذلك التوسع في عـلم النجوم قد ورد النهي عنه كما تقدم في حديث ابي هريرة المرفوع . وحديث عمر الموقوف . فماذا يقال فيمن يرغب الناس فيما نهى الله ورسوله ﷺ عنه من التخرصات واتبـاع الظنون الكاذبة والتعاطـي لعلم الغيب .

الجواب ان يقال لا شك ان هذا من المحادة لله ولرسوله ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين وقد قال الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا).

فصل

وقال الصواف في صفحة ١١٥ ووجدنا دعاة الى ابواب جهنم هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا من اجابهم الى دعوتهم الضالة وفتنتهم المضللة قذفوه فيها والقوه في الحميم وتركوه في الجحيم.

والجواب ان يقال أما تخشى يا صواف ان تكون من هؤلاء الدعاة الى ابواب جهنم وانت لا تشعر. أما علمت ان رسالتك في علم الفلك قد اشتمل اكثر مباحثها على مخالفة الكتاب والسنة والاجماع. وما كان كذلك فهو من اعظم اسباب الضلال الذي يدعو الى جهنم. وقد قال الله تعالى(ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامةومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ألاساء ما يزرون)

فصل

وقال الصواف في صفحة ١١٥ ولا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها.

والجواب ان يقال وهل ظننت ايها الصواف ان صلاح اول هذه الامة انما كان بالاشتغال بعلم الفلك وانشاء المراصد الذي ألفت كتابك لتأييده وحشوته من تخرصات اعداء الله وظنونهم الكاذبة واقوالهم الباطلة. وزعمت في أوله ان علم الفلك كان من أول العلوم التي لفتت أنظار العلماء المسلمين وجلبت اهتمامهم وعنايتهم بها. ثم زعمت في آخره ان الكثير من الشباب اليوم في حاجة

ماسة الى مثل كتابك .

كلا بل انما كان صلاح اول هذه الامة بالتمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وبذلك ظهروا على الامم في مشارق الارض ومغاربها وعلت كلمة الله وظهر دينه على الدين كله . ولم يكن احد منهم يشتغل بعلم الفلك او يلتفت اليه . وانما ظهر الاشتغال بعلم الفلك في زمن المأمون حين عربت كتب الاوائل ومنطق اليونان فظهر الضعف في المسلمين منذ ذلك الزمان وما زال الضعف يزداد فيهم شيئا فشيئا بقدر اعراضهم عن الكتاب والسنة واقبالهم على العلوم المردية المهلكة حتى آل الامر بكثير منهم الى الردة والانسلاخ من دين الاسلام بالكلية كما اخبر بذلك الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه في قوله « ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا » رواه الامام احمد من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

وروى الحاكم في مستدركه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه وقال الحاكم صحيح الاسناد ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وقد تقدم في اول الكتاب كلام شيخ الاسلام ابي العباس ابن تيمية في المأمون بسبب ما ادخله على هذه الامة من العلوم الفلسفية . وكلام الذهبي والمقريزي في ذلك ايضا فليراجع فانه حسن جدا .

واذا علم ان صلاح اول هذه الامة انما كان بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فليعلم ان صلاح آخر هذه الامة انما يكون بذلك . والله المسئول المرجو الاجابة ان يصلح احوال المسلمين وان يرزقهم الرجوع الى ما كان عليه اول هذه الامة وان ينصر دينه ويعلي كلمته ويظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون .

فصــل

وقال الصواف في صفحة ١١٧ عن القرآن انه كتاب ابدي سرمدي انزل للخلود والبقاء وليكون دينا ابديا للانسانية جمعاء .

والجواب ان يقال اما قوله ان القرآن انزل للخلود والبقاء فهو مردود بما رواه ابن ماجه في سننه باسناد صحيح والحاكم في مستدركه من حديث حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « يسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية » الحديث قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وفي صحيح ابن حبان من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يسرى على كتاب الله فيرفع الى السماء فلا يبقى في الارض منه اية » الحديث .

وروى الحاكم ايضا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه انه قال « ان هذا القرآن الذي بين اظهركم يوشك ان يرفع قالوا وكيف يرفع وقد اثبته الله في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا قال يسرى عليه ليلة فيذهب ما في قلوبكم وما في مصاحفكم ثم قرأ (ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك) قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وروى الحاكم ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال « يسرى على كتاب الله فيرفع الى السماء فلا يصبح في الارض آية من القرآن ولا من التوراة والانجيل ولا الزبور وينتزع من قلوب الرجال فيصبحون ولا يدرون ماهو » قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه . وهذا الاثر والذي قبله لهما حكم المرفوع .

وأما قوله وليكون ديناً ابدياً للانسانية جمعاء

فجوابه من وجوه احدها ان يقال ما زعمه ههنا فهو تخرص مردود بما تقدم عن حذيفة وابن مسعود وابي هريرة رضي الله عنهم ان القرآن يسرى عليه في آخر الزمان ويرفع الى السماء فلا يبقى في الارض منه آية. واذا رفع القرآن الى السماء فاي دين يبقى في الارض بعد ذلك .

الوجه الثاني ما ثبت عن النبي ﷺ انه قال « لا تقوم الساعه حتى لا يقال في الارض الله الله » رواه الامام احمد ومسلم والترمذي من حديث انس رضي الله عنه . وفي رواية لاحمد « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض لا اله الا الله » ورواه ابن حبان في صحيحه بنحوه

وفي هذا الحديث الصحيح دليل على ان الانسانية جمعاء تعود الى الكفر في آخر الزمان حتى انهم لا يذكرون اسم الله بالكلية . وفي هذا ابلغ رد لما زعمه الصواف من كون القرآن يكون دينا ابديا للانسانية جمعاء

الوجه الثالث ان يقال ليست الانسانية باقية على الابد حتى يكون لها دين ابدي يبقى على الدوام بل لا بد لها ولجميع من على وجه الارض من الفناء قال الله تعالى (كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقال تعالى (كل شيء هالك الا وجهه) وقال تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون) .

ومن زعم ان الانسانية تبقى على الابد فليس عنده ايمان بقيام الساعة واماتة الخلائق كلهم وبعثهم بعد ذلك ليوم الفصل والقضاء. وليس للانسانية

في ذلك اليوم دين تعمل به وانما هو الحساب والجزاء على الاعمال ان خيرا فخير وان شرا فشر .

وقد ذكر الصواف في صفحة ٥٥ انه بعد ٤٣٢ مليون سنه ينقص دوران الارض بمقدار ساعة وعندئذ يصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة قال وهكذا يتولى النقص ويطرد طول الليل والنهار . وعلى هذا الاساس يقول العلماء ان الارض لا بد ان تقف يوما ٠ وعند وقوفها يصبح الوجه المقابل للشمس نهارا دائما والوجه البعيد عنها ليلا دائما انتهى.

وهذا القول الباطل يقتضي ان الانسانية لا تزال باقية على الابد وانه ليس هناك قيامة ولا بعث ولا آخرة .

فصل

وقال الصواف في صفحة ١١٧ ما نصه

ومن هذا المنطلق وجدت نفسي مضطرا الى توسيع هذا الكتاب الى الحد الذي وصل اليه لعلي اساهم بجهد المقل في بث الوعي الاسلامي بالقاء شيء من الاضواء على علم خطير من العلوم التي اشتغل بها علماؤنا الاعلام رضي الله عنهم وارضاهم حتى كانوا ائمة فيه . الا وهو علم الفلك .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ان بث الوعي الاسلامي انما يكون بنشر علوم الكتاب والسنة لا بنشر الاباطيل والجهالات والضلالات التي هي من وحي الشياطين الى اوليائهم .

وكتاب الصواف من هذا القسم المذموم لانه مملوء من تخرصات الافرنج وظنونهم الكاذبة . وما كان كذلك فليس فيه اعانة على بث الوعي الاسلامي

بوجه من الوجوه وانما فيه اعانة على بث الباطل واظهاره .

الوجه الثاني ان الصواف ليس عنده تمييز بين الحق والباطل فلهذا زعم انه يساهم بالاباطيل التي جمعها في بث الوعي الاسلامي وهذا من عجيب امره حيث قلب الحقيقة وعكس القضية لانه على الحقيقة انما ساهم في بث الباطل وادحاض الحق كما لا يخفى على من نور الله قلبه بنور العلم والايمان .

الوجه الثالث ان يقال ليس في كتاب الصواف شيء من اضواء العلم النافع وانما هو مملوء من التخرصات والظنون الكاذبة التي هي في الحقيقة ظلمات بعضها فوق بعض . وقد ذكرت قريبا نماذج مما فيه من السخافات والاقوال البشعة فلتراجع

الوجه الرابع ان علم الفلك ليس بعلم خطير كما زعمه الصواف . ولو كان خطيرا لما اهمله الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فانهم كانوا اسبق الى الخير والعلوم النافعة ممن جاء بعدهم . وكذلك التابعون وتابعوهم باحسان وائمة العلم والهدى من بعدهم فانهم كانوا احرص على تحصيل العلوم النافعة ممن كان بعدهم . ولكنه علم لا يخلو في الغالب من تعاطي علم الغيب وما كان كذلك فهو علم مرد مهلك . وما سلم منه من تعاطي علم الغيب فهو علم كثير العناء قليل الجدوى

ومن زعم ان علم الفلك علم خطير فهو من اجهل الناس واقلهم تمييزاً بين العلوم النافعة وغير النافعة .

الوجه الخامس ان العلماء الاعلام من المسلمين لم يكونوا يشتغلون بعلم الفلك كما زعمه الصواف وانما كان يشتغل به الفلاسفة والمنجمون الذين هم من ابعد الناس عن العلوم الشرعية النافعة . وهذا كان في الازمان السابقة فأما في

الازمان الاخيرة فاكثر من يعتني به ويشتغل فيه فلاسفة الافرنج . واقوالهم فيه وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة هي التي اودعها الصواف في كتابه وزعمانه يساهم بها في بث الوعي الاسلامي . فهم علماء الصواف واعلامه الذين سأل الله ان يرضى عنهم ويرضيهم .

فصـــل

وقال الصواف في صفحة ١١٧ و ١١٨ ما نصه

وهذا العلم ـ يعني علم الفلك ـ يبعث الايمان ويزيده ويدعو الى تعميق جذوره في قلب الانسان . وقديماً قد قيل ان اشـــد الناس ايماناً بالله هم علماء الطب وعلماء الفلك لانهم يرون من عجائب صنع الله ما لا يراه غيرهم .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ان علم الفلك لا يخلو في الغالب من تعاطي علم الغيب كما يفعله المنجمون في قديم الدهر وحديثه وكما هو شان اهل الهيئة الجديدة واتباعهم مـــن فلاسفة الافرنج المتأخرين فان غالب اقوالهم في الاجرام العلوية من اتباع الظن والرجم بالغيب . وما كان كذلك فهو مما يبعث على الايمان بالجبت والطاغوت ويزيده ويدعو الى تعميق جذوره في قلوب المفتونين به . وكتاب الصواف في علم الفلك من هذا القبيل لانه مملوء من تعاطي علم الغيب فهو مما يبعث على الايمان بالجبت والطاغوت ويزيده ويدعو الى تعميق جذوره في قلوب الجهال . وما كان من علم الفلك خالياً من تعاطي علم الغيب، فهو قليل الجدوى يصد المشتغل به عما هو اهم منه من العلوم النافعة .

الوجه الثاني ان يقال ان العلم الذي يبعث على الايمـــان بالله وملائكته

وكتبه ورسله واليوم الآخر وما وعد الله به اولياءه من جزيل الثواب وما توعد به اعداءه من وبيل العذاب هو علم الكتاب والسنة فهو العلم النافع على الحقيقة قال الله تعالى (واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايماناً فاما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون) وقال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) وقال تعالى (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين. هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف رحيم) وقال تعالى (ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً كبيراً . وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً اليما) وقال تعالى (اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وقال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى . قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً ، قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى) .

وفي الحديث الصحيح عن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال « أما بعد ألا ايها الناس فانما انا بشر يوشك ان يأتي رسول

ربي فاجيب وانا تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه » الحديث رواه الامام احمد ومسلم .

وفي رواية لمسلم ان رسول الله ﷺ قال كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطأه ضل » .

وفي رواية له اخرى ان رسول الله ﷺ قال « الا واني تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة » .

وروى مسلم ايضاً وابو داود وابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديثه الطويل في صفة حج النبي ﷺ ان رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم عرفه « وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله » ورواه الترمذي بنحوه مختصراً .

وروى مالك في الموطأ بلاغاً ان رسول الله ﷺ قال « تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله » .

وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع ـ فذكر الحديث وفيه انه قال « يا ايها الناس اني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابداً كتاب الله وسنة نبيه » صححه الحاكم ووافقه الذهبي في تلخيصه .

وروى الحاكم ايضاً عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنة نبيه ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض » .

وروى الطبراني في الكبير وابن حبان في صحيحه عـــن ابي شريح الخزاعي رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ان هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده ابدا » قال المنذري اسناد الطبراني جيد . وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح .

وروى الطبراني ايضا في الكبير والصغير والبزار من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه

وروى ابو عبيد القاسم بن سلام وابن مردويه عن عبدالله بـن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين وهو الشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه » ورواه الطبراني والبغوي بنحوه موقوفا

وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منهـا يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم » الحديث قال الترمذي غريب

واذا علم ما ذكرنا من الآيات والاحاديث فلا يعرض عن علم الكتاب والسنة ويشتغل بعلم الفلك ويزعم انه يبعث الايمان ويزيده ويدعو الى تعميق جذوره في قلب الانسان الامن هو من اجهل الناس وابعدهم عن تحصيل العلم النافع ومعرفة الفرق بينه وبين الجهالات والضلالات الضارة .

الوجه الثالث ان يقال لو كان ما زعمه الصواف هنا صحيحا لكان اطباء

اليونان والافرنج وفلاسفتهم الفلكيون من اعظم الناس ايمانا بالله . والواقع شاهد ببطلان هذا القول وكذب من قاله لمـــا عليه اطباء اليونان والافرنج وفلاسفتهم من الكفر العظيم . وكذلك الاطباء والفلكيون من سائر امـم الكفر والضلال .

الوجه الرابع ان يقال لو كان علم الفلك يبعث الايمان ويزيده ويدعوالى تعميق جذوره في قلب الانسان لكان الصحابة رضي الله عنهم احرص عليه من غيرهم فانهم كانوا احرص على الخير وتحصيل العلم النافع ممن كان بعدهم. وقد كان بعضهم يسافر مسيرة الشهر واكثر من ذلك في طلب الحديث الواحد وكذلك التابعون وتابعوهم باحسان وائمة العلم والهدى من بعدهم فانهم كانوا يسافرون الى الاقطار البعيدة في طلب العلوم النافعة ومع هـــذا لم يكونوا يشتغلون بعلم الفلك ولا ينظرون فيه . ولو كان فيه ادنى منفعة لمـــا كان الصحابة والتابعون وتابعوهم باحسان يهملونه .

واما قوله وقديما قد قيل ان اشد الناس ايمانا بالله هم علماء الطب وعلماء الفلك .

فجوابه ان يقال لقد اخطأ من قال هذا القول الباطل خطأ كبيرا واخطأ من اورده في كتابه مقرراً له (كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا) .

وهذا القول الباطل لا يصدر من رجل يعلم ما يقول لانه يقتضي تفضيل الاطباء والفلكيين على النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .وهذا خلاف الكتاب والسنة وخلاف ما عليه المسلمون كافة . وقد قال الله تعـالى (ومـن يطع الله والرسول فاولئك مـع الذين انعم الله عليهم مـن النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا) ولو كان الامر على ما زعمه الصواف لكان يجعل المطيعين لله والرسول مع الاطباء والفلكيين.

وقال تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب الجحيم) والصديقون هم اعظم اتباع الرسل ايمانا بالله . ولو كان الامر على ما زعمه الصواف لقال والذين آمنوا بالله ورسله اولئكهمالاطباء والفلكيون

وقال تعالى في سورة الانعام بعد ما ذكر جملة من الانبياء (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) ولو كان الامر على ما زعمه الصواف لكان يامر بالاقتداء بالاطباء والفلكيين .

وروى الامام احمد عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله شهدت ان لا اله الا الله وانك رسول الله وصليت الخمس واديت زكاة مالي وصمت شهر رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء يومالقيامة هكذا ـ ونصباصبعيه ـ ما لم يعقوالديه» .

وروى الامام احمد ايضاً عن معاذ بن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ الف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً ان شاء الله » .

وروى الترمذي عن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التاجر الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء »

قال الترمذي هذا حديث حسن .

ولو كان الامر على ما زعمه الصواف لقال عن هـؤلاء المذكورين في هذه الاحاديث انهم يكونون يوم القيامة مع الاطباء والفلكيين .

واذا علم ما ذكرنا من الآيات والاحاديث فليعلم ايضاً انه لا خلاف بين المسلمين ان اعظم الناس ايمـانا بالله الانبياء ثم الصديقون ثم الناس بعـد ذلك متفاوتون في كثرة الايمان وقلته . والاطباء والفلكيون المنتسبون الى الاسلام هم من اقل الناس حظاً من الايمان كما لا يخفى على مـــن تتبع اخبارهم وسبر احوالهم . وأما الاطباء والفلكيون من غير المسلمين فهم مـن اكفر الناس . اما اطباء اليونان وفلاسفتهم الفلكيون في قديم الدهر فكانوا مشركين يعبدون الاصنام والكواكب . واما اطباء الافرنج وفلاسفتهم الفلكيون فهم ما بين دهري وعابد صليب . فاي ايمـان بالله عند هولاء الافرنج واولئك اليـونان فضلا عن شدة الايمان التي تفوق ايمان الرسل فضلا عن غيرهم من الناس .وانه ليصدق على الصواف قول القائل :

لقد كان في الاعراض ستر جهالة غدوت بها من اشهر الناس في البلد

والغالب على الفلكيين مـن فلاسفة الافرنج الايمـان بالجبت والطاغوت لما في كثير من كلامهم من التحكم على الغيب وتصديق من يدعي علم المغيبات من الاجرام العلوية وغيرها وقـد ذكر الصواف في رسـالته شيئاً كثيراً من دعاويهم الكاذبة في ذلك وقد نبهت عليها في مواضعها ولله الحمد والمنة . ومن كانوا كذلك فالمطابق لاحوالهم على الحقيقة ان يوصفوا بشدة الايمان بالجبت والطاغوت لا بشدة الايمان بالله .

واما قوله لانهم يرون من عجائب صنع الله ما لا يراه غيرهم .

فجوابه ان يقال ان رؤية اعداء الله من الاطباء والفلكيين وغيرهم من الكفار لعجائب صنع الله لم تنفعهم شيئاً كما قال الله تعالى فيهم وفي اشباههم (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) وقال تعالى (ولقد ذرانا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون) .

واما الاطباء والفلكيون المنتسبون الى الاسلام فانتفاعهم بما يرونه من عجائب صنع الله اقل من انتفاع غيرهم من المسلمين . ويدل على ذلك ما هم عليه من التهاون ببعض المامورات ولا سيما الصلاة وارتكاب كثير من المنهيات. ولو كان ايمانهم قوياً لكانوا يحافظون على فعل المامورات . ويبعدون عن فعل المنهيات .

فصل

وقد انبرى ابو الاعلى المودودي وعلي الطنطاوي لمؤازرة الصواف وتأييد ما نشره من الاقوال الباطلة فصارا شريكين له في كل ما نشره في كتابه مما هو مخالف لمدلول الكتاب والسنة والاجماع .

وقد قال الله تعالى (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) .

وفي المسند وصحيح مسلم والسنن عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئاً ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام

من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

قال النووي سواء كان ذلك الهدى او الضلالة هو الذي ابتدأه ام كان مسبوقاً اليه انتهى .

وروى الطبراني وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « من اعان ظالماً بباطل ليدحض به حقا فقد بريء من ذمة الله وذمة رسوله » .

ولقد احسن الشاعر حيث يقول :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم   والمنكرون لكل امر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم   بعضاً ليدفع معور عن معور
فطن لكل مصيبة في ماله   واذا اصيب بدينه لم يشعر

فأما المودودي فقد ابتدأ كلامه باطراء الصواف ومجاوزة الحد في مدحه وقد انكر النبي ﷺ على المداحين وامر ان يحثى في وجوههم التراب . وقد ذكرت الاحاديث في ذلك قريباً عند ذكر مدح المحاسني للصواف فلتراجع .

وفي كلامه ايضاً اخطاء كثيرة ساذكرها واتبعها بالرد ان شاء الله تعالى .

فمن اخطائه قوله في رسالة الصواف انها قيمة .

والجواب ان يقال هذا كلام لا يصدر الا من رجل قد التبست عليه الحقائق حتى صار يرى الباطل في صورة الحق . وكيف تكون رسالة الصواف قيمة وهو قد حشاها بتخرصات الافرنج وظنونهم الكاذبة ورجمهم بالغيب عما لا يعلمونه . وفيها ايضاً الشيء الكثير من القول على الله وعلى كتابه

وعلى رسوله ﷺ وعلى المسلمين بغير علم . وفيها ايضا تعظيم اعداء الله تعالى من الكفرة الفجرة والمبالغة في الثناء عليهم والدعاء لهم بالرحمة والرضي . فهي بلا شك رسالة تهور وجهل وضلال . ومن استحسنها ورأى انها رسالة قيمة فاحسن الله عزاءه في علمه وعقله . ولقد احسن الشاعر حيث يقول :

يقضى على المرء في ايام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

واحسن من هذا وابلغ قول الله تعالى (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً) .

ومن اخطائه ايضاً قوله في الصواف انه اقام بمكة ليبلغ رسالة الاسلام في مشارق الارض ومغاربها .

والجواب ان يقال ليس الامر كما زعمه المودودي فان الصواف لم يقم بمكة ليبلغ رسالة الاسلام في مشارق الارض ومغاربها وانما اقام بها ليأخذ المرتبات الضخمة لا غير .

ويقال ايضاً ان الصواف لم يبلغ رسالة الاسلام في مشارق الارض ومغاربها وانما بلغ فيها ما يخالف الكتاب والسنة والاجماع من تخرصات فيثاغورس اليوناني وتخرصات اتباعه من فلاسفة الافرنج المتاخرين وظنونهم الكاذبة ورجمهم بالغيب عن السموات والارض والشمس والقمر والنجوم فهذا هو الذي نشره الصواف وبثه في مشارق الارض ومغاربها وقد قال الله تعالى (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) .

ومن اخطائه ايضاً قوله ان الذي ورد في كتاب الله تعالى في بعض آياته

عن الامور الكونية لم يرد ليعلم الانسان علم الطبيعة . وانما ورد ليلفت نظر الانسان الى ما في آيات الله الكونية من دلائل قاطعة وحجج دامغة على توحيد الله تعالى والبعث بعد الموت .

والجواب ان يقال ان الله تبارك وتعالى هو الذي خلق العالم كله علويه وسفليه واودع فيه من عجائب قدرته وبديع اتقانه ما اودع وليس شيء من ذلك من فعل الطبيعة كما يزعمه اهل الجهل بالله . واذا لم يكن شيء من ذلك من فعل الطبيعة فاي علم يتعلق بها او ينسب اليها .

والذي ورد في كتاب الله تعالى عن الامور الكونية كله حق يجب الايمان به واعتقاد انه هو الحق وما خالفه فهو باطل .

وبما ورد في كتاب الله تعالى عن الامور الكونية يستدل المسلم على عظمة الخالق جل جلاله وعظيم انعامه على خلقه حيث سخر لهم ما في السموات وما في الارض . ومن ذلك تسخيره للشمس والقمر يجريان دائبين لقيام معايش العباد ومصالحهم .

وقد جعل المودودي هذه المقدمة التي ذكرنا عنه تمهيداً لمنع الاستدلال على جريان الشمس ودورانها حول الارض بالآيات التي فيها النص على جريانها وطلوعها ودلوكها وتزاورها وغروبها وان الله يأتي بها من المشرق وانها تجري لمستقرها الذي اخبر عنه رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح عن ابي ذر رضي الله عنه . ولمنع الاستدلال ايضاً على سكون الارض وثباتها بما اخبر الله به من القاء الرواسي فيها وجعلها اوتاداً لها وهذا خطأ كبير . وكيف يترك الاستدلال بكلام الله تعالى على جريان الشمس حول الارض ويستدل بتخرصات

اعداء الله وظنونهم الكاذبة على سكونها وثباتها أو ما يزعمه بعضهم من دورانها على محورها .

وكيف يترك الاستدلال على سكون الارض وثباتها بما اخبر الله به من القاء الرواسي فيها وجعلها اوتاداً لها وجعلها قراراً للمخلوقات . ويستدل على دورانها حول نفسها وحول الشمس بتخرصات اعداءالله وظنونهم الكاذبة (قل أأنتم أعلم أم الله) (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) .

ولا يعرض عن كلام الله والاستدلال به على ما اخبر الله به عن الامور الكونية ويرى ان الحق فيما زعمه اعداء الله من تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة إلا من هو مصاب في دينه وعقله . اللهم انا نعوذبك من زيغ القلوب وانتكاسها.

ومن أخطائه ايضاً قوله ان القرآن لم ينتهج لذكره اسلوباً يصطدم مع علوم الانسان في عصر من العصور اصطداماً صريحاً يحول بين الانسان وبين ايمانه بالله تعالى وبكتابه ولاجل ذلك لم يصرح القرآن بصورة قاطعة من آية من آياته بدوران الارض وثبوت الشمس او ثبوت الارض وجريان الشمس حولها .

والجواب ان يقال أما العلوم الصحيحة من علوم الانسان فان القرآن لا يصادمها وانما يصادم الاقوال الباطلة والتخرصات والظنون الكاذبة

ومن الاقوال الباطلة والتخرصات والظنون الكاذبة التي يصادمها القرآن ويشهد ببطلانها ما زعمه فيثاغورس اليوناني وتبعه عليه اهل الهيئة الجديدة من فلاسفة الافرنج المتاخرين وما تخرصوه في قولهم ان الشمس ثابتة وان الارض تدور حولها

والسنة ايضاً تصادم هذا القول الباطل وتشهد ببطلانه

وقد ذكرت الادلة الكثيرة من الكتاب والسنة على ثبات الارض وجريان الشمس حولها في اول الصواعق الشديدة فلتراجع هناك . وذكرت ايضاً اجماع المسلمين واهل الكتاب على القول بوقوف الارض وسكونها فليراجع ايضاً

ومن الاقوال الباطلة التي يصادمها القرآن والسنة انكار اهل الهيئة الجديدة واتباعهم من العصريين وجود السموات السبع وزعمهم ان سعة الجو غير متناهية . وزعمهم تعدد الشموس والاقمار الى غير ذلك من أقوالهم الباطلة التي يصادمها القرآن والسنة . وقد ذكرت في الصواعق الشديدة تسعة عشر مثالا منها فلتراجع هناك

وقد ذكر الصواف في رسالته التي وافقه المودودي عليها شيئاً كثيراً من تخرصات اهل الهيئة الجديدة واتباعهم في الارض والسموات والشمس والقمر والنجوم وزعم ان ذلك من علوم المسلمين في الفلك . وكلها اقوال باطلة يصادمها القرآن والسنة . وقد نبهت على كل جملة منها في موضعها من هذا الرد ولله الحمد والمنة . وفي كل موضع من تلك المواضع رد على المودودي في زعمه ان القرآن لم ينتهج لذكره اسلوباً يصطدم مع علوم الانسان في عصر من العصور

وأما قوله ان القرآن لم يصرح بصورة قاطعة من آية من آياته بدوران الارض وثبوت الشمس

فجوابه ان يقال هذا صحيح فليس في القرآن ما يدل على دوران الارض وثبات الشمس البتة

وقد استدل الصواف وغيره من العصريين على ما زعموه من دوران الارض بايات زعموا انها تدل على ذلك ولا دليل في شيء منها على دوران الارض ولكنهم تأولوها على غير تاويلها وذلك من الالحاد في آيات الله تعالى وتحريف الكلم عن مواضعه . وقد ذكرت ما استدلوا بـه من الايات والرد عليهم في الصواعق الشديدة فليراجع هناك

واما زعمه ان القرآن لم يصرح بصورة قاطعة من آية من آياته بثبوت الارض وجريان الشمس حولها .

فجوابه ان يقال هذا خطا وقول بلا علم فقد جاء التصريح بجريان الشمس في خمسة مواضع من القرآن . وصرح في الآية من سورة يس ان الشمس تجري لمستقر لها . وسياتي تفسير ذلك بما في الحديث الصحيح ان شاء الله تعالى . وصرح في آيتين انها تسبح في الفلك .

قال الراغب الاصفهاني السبح المر السريع في الماء وفي الهواء يقال سبح سبحاً وسباحة واستعير لمر النجوم في الفلك نحو (وكل في فلك يسبحون) ولجري الفرس نحو (فالسابحات سبحا) ولسرعة الذهاب في العمل نحو (ان لك في النهار سبحاً طويلا) انتهى .

وروى ابن ابي حاتم عن الضحاك (في فلك يسبحون) قال الفلك السرعة والجري في الاستدارة . ويسبحون يعملون .

قال شيخ الاسلام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى يريد ان لفظ الفلك يدل على الاستدارة وعلى سرعة الحركة كما في دوران فلكة المغزل ودوران الرحى .

وقال الشيخ ايضاً ولفظ الفلك في لغة العرب يدل على الاستدارة قال الجوهري فلكة المغزل سميت بذلك لاستدارتها والفلكة قطعة من الارض او الرمل تستدير وترتفع على ما حولها والجمع فلك وقال ومنه قيل فلك ثدي الجارية تفليكاً وتفلك استدار .

قال الشيخ قلت والسباحة تتضمن الجري بسرعة كما ذكر ذلك اهل اللغة انتهى .

وقال تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) قال أهل اللغة الدأب ادامة السير والمبالغة فيه .

وفي هذه الآية اوضح دليل على ان الشمس تجري وتدور على الارض لقيام معايش العباد ومصالحهم .

وقال تعالى (قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين) .

وفي هذه الآية اوضح دليل على سير الشمس ودورانها على الارض .

ونص تبارك وتعالى على طلوعها وغروبها في عدة آيات من القرآن .

ونص ايضاً على دلوكها وهو زوالها عن وسط السماء وعلى تزاورها .وفي كل آية من هذه الآيات التي اشرت اليها اوضح دليل على جريان الشمس ودورانها على الارض. وقد ذكرت هذه الآيات وغيرها من الآيات الدالة على سير الشمس ودورانها على الارض في اول الصواعق الشديدة فلتراجع هناك . وذكرت ايضاً الآيات التي تدل على ثبات الارض واستقرارها فلتراجع ايضاً ففي كل ما ذكرته هناك ابلغ رد على المودودي في زعمه ان القرآن لم يصرح بصورة قاطعة من آية من آياته بثبوت الارض وجريان الشمس حولها .

وقد جاء عن النبي ﷺ احاديث كثيرة تدل على سير الشمس ودورانها على الارض . واحاديث اخرى تدل على ثبات الارض واستقـــرارها وقد ذكرتها في الصواعق الشديدة فلتراجع ايضاً ففيها ابلغ رد على المودودي في زعمه ان القرآن لم يصرح بصورة قاطعـة بثبوت الارض وجـريان الشمس حـــولها .

وما صـرح به النبي ﷺ فهو مما صرح به القـرآن قال الله تعالى (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى) وقال تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) .

وقد ذكرت في الصواعق الشديدة ايضاً اجماع المسلمين على القول بوقوف الارض وسكونها . واجماع المسلمين حجة قاطعة لقـــول الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غـير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

ومن اخطائه ايضاً قوله . أما قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) فليس معنى ذلك ان الشمس تدور حول الارض بل معناه ان الشمس سارية الى مستقرها الذي لا يعلمه الانسان . وهذا المدلول لا يعارضه عـلم الهيئة في العصر الحاضر .

والجواب ان يقال ان النبي ﷺ قد فسر هذه الآية الكريمة في الحديث الصحيح فلم يدع لقائل مقالا .

فروى الامام احمد والشيخان وابو داود الطيالسي والترمذي عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم لابي ذر حين غربت

الشمس « تدري اين تذهب » قلت الله ورسوله اعلم قال « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فــلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي مـن حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قول الله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) » هذا لفظ البخاري . وفي رواية مسلم قال ثم قرأ في قراءة عبد الله . وذلك مستقر لها . وللترمذي نحوه وقال هذا حديث حسن صحيح .

وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً « اتدرون اين تذهب هذه الشمس » قالوا الله ورسوله اعلم قال « ان هذه تجـري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فـلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي مـن حيث جئت فترجع فتصبح طالعة مـن مطلعها ثم تجري حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فتـرجع فتصبح طالعـة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي الى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها ارجعي ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتدرون متى ذا كم. ذاك حين لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيراً » .

وفي هذا الحديث الصحيح اوضح دليل على ان الشمس تجري وتدور على الارض . وفيه التصريح بانها تنتهي الى مستقرها تحت العرش كل ليلة فتسجد حينئذ وتستأذن في الطلوع فيؤذن لها حتى اذا كان في آخر الزمان امرت بالطلوع من مغربها

وفيه رد على المودودي حيث زعم ان الشمس سارية الى مستقرها الذي لا يعلمه الانسان . يعني انها لا تزال سارية الى مستقرها ولم تصل اليه بعد. وكانه والله اعلم قد اعتمد على كلام العصريين المفتونين بتخرصات الافرنج وظنونهم الكاذبة فقد نقل الصواف في صفحة ٦٣ عن قطب انه قال والله يقول انهـــا تجري لمستقر لها . هذا المستقر الذي ستنتهي اليه لا يعلمه الا هو سبحانه ولا يعلم موعده سواه انتهى

فكلام المودودي شبيه بكلام قطب وهما ومن قال بقولهما من العصريين كلهم عيال على فلاسفة الافرنج المتاخرين . فقد ذكر الصواف عنهم في صفحة ٣٨ انهم قالوا ان النظام الشمسي ينهب الفضاء نهباً متجهاً نحو برج هركيوليس . وذكر ايضاً في صفحة ٤٣ عن الفلكي الجاهل « سيمون » انه قال ان الشمس والكواكب السيارة واقمارها تجرى في الفضاء نحو برج النسر بسرعة غـــير معهودة لنا على الارض يكفي لتصويرها اننا لو سرنا بسرعة مليون ميل يومياً فلن تصل مجموعتنا الشمسية الى هذا البرج الا بعد مليون ونصف مليون سنة من وقتنا الحاضر انتهى هذيانه

وهذه التخرصات والظنون الكاذبة مردودة بما اخبر به النبي ﷺ من انتهاء الشمس الى مستقرها تحت العرش كل ليلة وسجودها حين تنتهي اليه واستئذانها في الطلوع وانه يقال لها ارتفعي ارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها الى آخر الحديث الذي تقدم ذكره

وقد تقدم في اول الكتاب الجواب عما لعله يورده بعض الناس على هـذا الحديث من كون الشمس لا تزال طالعة على الارض فليراجع مع الكلام على ما زعمه الصواف من حركة الارض

وأما قول المودودى ان مستقر الشمس لا يعلمه الانسان

فجوابه ان يقال قد اخبر التي ﷺ في رواية مسلم النبي تقدم ذكرهــــا ان مستقرها تحت العرش وانها تنتهي اليه كل ليلة فتسجد حينئذ وتستأذن في الطـلوع

وفي الصحيحين ومسند الامام احمد عن ابي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى (والشمس تجري لمستقرلها) قال «مستقرها تحت العرش »

وأما قوله وهذا المدلول لا يعارضه علم الهيئة في العصر الحاضر

فجوابه ان يقال أما تأويله للاية على ما يوافق تخرصات سيمون وأمثاله من فلاسفه الافرنج الذي نقل عنهم الصواف في صفحة ٣٨ و٤٣ ما نقل فهو كما قال لا يعارض جهل الهيئة في العصر الحاضر بل يوافقه . وأما على التأويل التصحيح الثابت عن النبي ﷺ من حديث ابي ذر رضي الله عنه فمدلول الآية يعارض جهل اهل الهيئة في العصر الحاضر ويرده »

وقد قال الله تعالى (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى) وقال تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)

وقد قال شيخ الاسلام ابو العبـــاس ابن تيمية رحمه الله تعالى من فسر القرآن والحديث وتأوله على غـير التفســير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في اياته محرف للكلم عن مواضعه انتهى .

واذا كان المخالف لتفسير الصحابة والتابعين متصفاً بهذه الصفات الذميمة فالمخالف لتفسير النبي ﷺ اولى واحرى ان يكون متصفاً بها .

ومن اخطائه ايضا قوله ان القرآن لم يصرح في آية من آياته بكون الارض ثابتة ساكنة وكون الشمس دائرة حولها

والجواب عن هذا الخطأ قد تقدم قريباً فليراجع

ومن اكبر اخطائه ايضاً قوله ان الانسان في القرون الماضية كان يفسر الرواسي والاوتاد في نطاق معرفته وحسب علمه بالامور الكونية انذاك . ويحق له ان يفسرها اليوم في ضوء ما اكتشفه من الامور الكونية .

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ان العلماء في القرون الماضية كانوا اعلم بالامور الكونية من جهلة العصريين المفتونين بتقليد فلاسفة الافرنج والعض على تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة بالنواجذ .

وتفسير العلماء في القرون الماضية للرواسي والاوتاد بما يقتضي وقوف الارض وثباتها هو التفسير الصحيح كما تدل على ذلك لغة العرب . وهم انما يعتمدون في تفاسيرهم على ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين . ثم على ما جاء عن التابعين وأئمة العلم والهدى من بعدهم . ثم على لغة العرب التي نزل القرآن بها . وأما العصريون فكثير منهم قد جعلوا القرآن ملعبة لهم يتأولونه على غير تاويله ويحملونه على ما يوافق تخرصات الافرنج وظنونهم الكاذبة .

الوجه الثاني ان يقال ان تفسير العلماء في القرون الماضية للرواسي والاوتاد بانها وضعت على الارض لارسائها وتثبيتها ينافي تفسير العصريين من اتباع اهل الهيئة الجديدة وقولهم انها انما وضعت على الارض لتحفظ عليها توازنها مع دورانها على نفسها وعلى الشمس .

والذي يظهر من كلام المودودي انه كان يذهب الى تغليط الذين فسروا الرواسي والاتاد بانها وضعت على الارض لارسائها وتثبيتها ويرى ان الصواب في قول العصريين الذين فسروها في ضوء ما اكتشفه لهم فلاسفة الافرنج المتأخرون من الامور الكونية . وهذه احدى الكبر من المودودي لما يلزم على قوله هذا

من تغليط النبي صلى الله عليه وسلم وتغليط علي وابن عباس رضي الله عنهم وغير واحد من التابعين وكثير من أئمة المفسرين الذين قرروا في تفاسيرهم وقوف الارض وثباتها وانها قد ارسيت بالجبال وجعلت الجبال اوتاداً لها .

وقد ذكرت في الوجه الاول ان هذا هو التفسير الصحيح .

والدليل على ذلك ما رواه الامام احمد والترمذي وغيرهما عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فالقاها عليها فاستقرت » .

وهذا نص في استقرار الارض وسكونها . قال في القاموس وشرحه قر بالمكان يقر بالكسر والفتح قراراً وقروراً وقراً وتقرة ثبت وسكن فهو قار كاستقر وتقار وهو مستقر انتهى .

وروى ابن جرير عن علي رضي الله عنه انه قال « لما خلق الله الارض قمصت وقالت تخلق علي آدم وذريته يلقون علي نتنهم ويعملون علي الخطايا فارساها بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لا ترون» .

وروى ابو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال « ان الجبال لتفخر على الارض بانها اثبتت بها » .

وقال وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة احداً على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن نحوه .

وروى سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد نحو ذلك ايضاً .

وكلام المفسرين في تفسير الرواسي والاوتاد بانها وضعت على الارض لارسائها وتثبيتها كثير موجود في تفاسيرهم . وقد ذكرت جملة من ذلك في اول الصواعق الشديدة فلتراجع هناك .

واذا علم ما ذكرنا فالمودودي بين خطتين لا بد له من احداهما . إما ان يقول بتغليط النبي صلى الله عليه وسلم حيث نص على استقرار الارض لما القيت الجبال عليها • وتغليط علي وابن عباس رضي الله عنهم ومن ذكر بعدهم من التابعين ومن اشرنا اليهم من أئمة المفسرين الذين قرروا ان الرواسي انما وضعت على الارض وجعلت اوتاداً لها لتثبتها وتمنعها من الحركة .

وإما ان يرجع عن قوله انه يحق للانسان ان يفسر الرواسي والاوتاد في ضوء ما اكتشفه من الامور الكونية . وما قبله من الكلام الذي يفهم منه تجهيل من فسر الرواسي والاوتاد بانها وضعت على الارض لارسائها وتثبيتها وان نطاق معرفتهم وعلمهم بالامور الكونية كان قاصراً عن نطاق معرفة اهل الهيئة الجديدة واتباعهم ومقلديهم من جهلة العصريين وعلمهم بالامور الكونية .

الوجه الثالث ان ما يزعمه فلاسفة الافرنج من اكتشاف حركة الارض ودورانها على نفسها وعلى الشمس . وما يزعمونه ايضاً من الاكتشافات عن الشمس وثباتها وعن القمر والنجوم فكلها تخرصات وظنون كاذبة (ظلمات بعضها فوق بعض) وتسميتها ضوأ من قلب الحقيقة . ومن قال انه يحق للانسان ان يفسر شيئاً من القرآن على ما يوافقها فقد فتح للملحدين باب الالحاد في ايات الله واغرى المحرفين للكلم عن مواضعه على التحريف .

وليعلم ان القول في القرآن بمجرد الرأي حرام شديد التحريم وقد ورد

الوعيد الشديد على ذلك كما في الحديث الذي رواه الامام احمد والترمذي وابن جرير والبغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال «من قال في القران برأيه او بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار» هذا لفظ ابن جرير وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح

وروى الترمذي ايضا وابو داود وابن جرير والبغوي عن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من قال في القرآن برأيه فاصاب فقد أخطأ» قال الترمذي هذا حديث غريب. قال وهكذا روي عن بعض اهل العلم من اصحاب النبي ﷺ وغيرهم انهم شددوا في هذا في ان يفسر القرآن بغير علم. واما الذي روي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم انهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا في القرآن او فسروه بغير علم او من قبل انفسهم . وقد روي عنهم ما يدل على ما قلنا انهم لم يقولوا من قبل انفسهم . ثم روى باسناده عن قتادة انه قال ما في القرآن آية الا وقد سمعت فيها شيئاً . وروى ايضاً باسناده عن مجاهد انه قال لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم احتج ان أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت انتهى كلام الترمذي

وقال البغوي قال شيخنا الامام قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برأيه وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئاً من غير علم . قال وأما التفسير وهو الكلام في اسباب نزول الآية وشانها وقصتها فلا يجوز الا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل انتهى

وقد تقدم قول شيخ الاسلام ابي العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى من فسر القرآن والحديث وتأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله ملحد في ايات الله محرف للكلم عن مواضعه انتهى

وقد كان ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهما من اعلم هذه الامة بكتاب الله تعالى يهابان القول في القرآن بغير علم . كما روى شعبة عن سليمان وهو الاعمش عن عبدالله بن مرة عن ابي معمر قال قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه « اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم »

وروى ابو عبيد القاسم بن سلام عن ابراهيم التيمي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن قول الله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا انا قلت في كتاب الله مالا اعلم » .

وروى ابو عبيد ايضا ومحمد بن سعد وابن جرير باسانيد صحيحة عن انس رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر (وفاكهة وأبا) فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ثم رجع الى نفسه فقال ان هذا لهو التكلف يا عمر . وزاد ابن سعد في روايته فما عليك ان لا تدريه .

واذا علم هذا فقد روى الامام احمد والترمذي وابن ماجه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال « اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر » قال الترمذي هذا حديث حسن وصححه ابن حبان والحاكم والذهبي

وللترمذي ايضا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه

ومن اخطائه ايضا قوله . وان الله تعالى لم يجعل ايماننا وعقيدتنا مربوطا بعلم عصر من العصور بحيث اذا تغير هذا العلم وتبدل اضطر الانسان الى امرين إما ان يؤمن بالله تعالى وينكر صحة العلم . او يكفر بالله تعالى ويؤمن بصحة العلـــم .

والجواب ان يقال هذه احدى الكبر من المودودي حيث قرر ما يهذو

به جهلة العصريين من حرية الفكر حتى فيما يتعلق بالايمان والعقيدة . وهذا القول من ابطل الباطل .

والحق ان الايمان والعقيدة مربوطان بعلم العصر النبوي وهو علم الكتاب والسنة . وهذا العلم لا يتغير ولا يتبدل الى يوم القيامة . قال الله تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم) وقال تعالى (انبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تقبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضي الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) .

وما جاء في الكتاب والسنة من الادلة على ثبات الارض واستقرارها واجمع المسلمون عليه لا يتغير ولا يتبدل الى يوم القيامة . ومن قال بخلاف ذلك فقوله باطل مردود عليه لمخالفته للادلة الكثيرة من الكتاب والسنة واجماع المسلمين .

وكذلك ما جاء في الكتاب والسنة من النصوص على جريان الشمس ودؤبها في ذلك وان الله سخرها لخلقه تاتي من المشرق كل يوم وتغرب في المغرب كل ذلك لا يتغير ولا يتبدل الى يوم القيامة . ومن قال بخلاف ذلك فقوله باطل مردود عليه لمخالفته لنصوص الكتاب والسنة وما كان عليه المسلمون في قديم الدهر وحديثه سوى من شذ عنهم في هذه الازمان الاخيرة من اتباع اهل الهيئة الجديدة .

وكذلك ما جاء في القرآن من النص على ان الله تعالى زين السماء الدنيا بالمصابيح وهي النجوم . وفي الآية من سورة الصافات (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) فهذه النصوص لا تتغير ولا تتبدل الى يوم القيامه . ومن

قال بخلاف ذلك من فلاسفة الافرنج واتباعهم من العصريين الذين يزعمون في ابعاد الكواكب ومقادير اجرامها ما يزعمون فاقوالهم باطـــلة مردودة عليهم لمخالفتها لنصوص القرآن .

وكذلك ما جاء في الكتاب والسنة من النصوص الكثيرة على اثبات السموات السبع وان السماء بناء وسقف محفوظ مرفوع وانهن شداد وان لهـــن ابوابا وحجابا . كل ذلك لا يتغير ولا يتبدل الى يوم القيامة . ومن قال بخلاف ذلك من فلاسفة الافرنج واتباعهم من العصريين الذين يزعمون ان السماء ليست بناء وانما هي فضاء وجو سعته غير متناهية فاقوالهم باطلة مردودة عليهم لمخالفتها لنصوص الكتاب والسنة .

وكذلك ما جاء في الكتاب والسنة من النصوص على اتحاد كل من الشمس والقمر فهي لا تتغير ولا تتبدل الى يوم القيامة . ومن قال بخلاف ذلك وزعم ان هناك شموسا واقماراً متعددة فقوله باطل مردود عليه لمخـالفته لنصوص الكتاب والسنة .

الى غير ذلك من الامثلة الكثيرة مما قامت عليه الادلة من الكتاب والسنة وقال اهل الهيئة الجديدة واتباعهم بخلاف ذلك وقـــد ذكرت جملة منها في الصواعق الشديدة . ومنها كثير مفرق في هذا الكتاب .

والمقصود ههنا بيان ان الادلة من الكتاب والسنة والاجماع لا تتغير ولا تتبدل الي يوم القيامة . وانما التي تتغـــير وتتبدل في كل زمان هي الآراء والتخرصات والظنون الكاذبة . قال الله تعـالى (ولا يزالون مختلفين . الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) قال البغوي معناه لكن من رحم ربك فهداهم الى الحق فهم لا يختلفون . قال ومحصول الاية ان اهل الباطل مختلفون واهل

الحق متفقون فخلق الله اهل الحق للاتفاق واهل الباطل للاختلاف انتهى .

واذا علم هذا فالواجب على المسلمين اعتقاد ما جاء في الكتاب والسنة وما اجمع عليه المسلمون ونبذ ما خالف ذلك من اقوال الناس وآرائهم وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة ورآء الظهر .

وقد سمى المودودي تخرصات اهل الهيئة الجديدة وظنونهم الكاذبة في السماء والارض والشمس والقمر والنجوم علماً وهذا من اكبر الخطأ ومن قلب الحقيقة فليست التخرصات والظنون الكاذبة بعلم وانما هي جهل وضلال وقد قال الله تعالى (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً . فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظناً ان الظن لا يغني من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون) وقال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون . ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) وقال تعالى (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون) .

واما قوله ان الانسان يضطر الى امرين إما ان يؤمن بالله تعالى وينكر صحة العلم او يكفر بالله تعالى ويؤمن بصحة العلم .

فجوابه ان يقال قد ذكرنا ان تخرصات اهل الهيئة الجديدة وظنونهم الكاذبة في السماء والارض والشمس والقمر والنجوم ليست بعلم وانما هي جهل وضلال . ولا بد اذاً من احد امرين إما الايمان بما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ ورد ما جاء عن اهل الهيئة الجديدة من الجهل والضلال . وإما

الايمان بالجهل والضلال ورد ما جاء عن الله ورسوله ﷺ . فليختر المرء ما يناسبه من احدى الخطتين . فاما الجمع بينهما فغير ممكن .

واما قوله فاذا كان الانسان القديم مسلماً صحيح الاسلام على رغم قوله بثبوت الارض كذلك لا شك في صحة اسلام الانسان الحاضر على اعتقاده بدوران الارض .

فجوابه ان يقال اذا كنت لا تشك في اسلام من يقول بدوران الارض فغيرك قد يشك في اسلامه ولا سيما اذا قامت عليه الحجة بان بلغته الادلةالدالة على سكون الارض واستقرارها وبلغه اجماع المسلمين على القول بوقوف الارض وسكونها فاصر على المخالفة والعناد فهذا قد يشك في اسلامه لقول الله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) .

وقد صرح بعض المحققين بتكفير من يقول بحركة الارض ودورانها . وقد ذكرت ذلك في الصواعق الشديدة بعد ذكر الادلة العقلية على ثبات الارض واستقرارها فليراجع هناك .

واما قوله ولذلك انا اوافق رأي اخي محمد محمود الصواف

فجوابه ان يقال بئس ما اخترت لنفسك من الموافقة على التخرصات والظنون الكاذبة التي تخالف مدلول الكتاب والسنة واجماع المسلمين . وانما يعود وبال هذه الموافقة عليك قال الله تعالى (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) .

فصـــل

وأما علي الطنطاوي فقال في تقريظه لكتاب الصواف ما نصه :

اخي الاستاذ الصواف . رحبت بما سمعت عن عزمك على طبع ما كتبته في موضوع دوران الارض . لا لان فيه رداً على مقال الشيخ الجليل ابن باز . بل لان اعداء الاسلام استغلوا ذلك المقال وعلقوا عليه تعليقات ملأت الصحف الاوربية والاميركية . نالوا فيها من الاسلام بالباطل فوجب الدفـــاع عن الاسلام بالحق وبيان ان الذي كتبه الشيخ ابن باز رأي له قد يكون له قبول عند بعض العلماء ولكنه ليس حكم الاسلام القطعي في هذه المسألة . وجمهرة علماء المسلمين في جميع اقطار الاسلام على خلافه .

والجواب ان يقال اما استغلال الاوربيين والامريكيين لمقـال الشيخ ابن باز وتعليقهم عليه في صحفهم ونيلهم من الاسلام بالباطل فغير مستنكر منهم لأنهم الاعداء الألداء للاسلام واهـله . وابغض المسلمين اليهم من يتكلم بالحق ويتصدى لنصره والذب عنه ولذلك قامت قيامتهم من اجل مخالفة مقال الشيخ ابن باز لتخرصاتهم وتخرصات اسلافهم من اهـــل الهيئة الجديدة واتباعهم . وقد وافقهم هذا المسكين واخواه الصواف والمودودي فقاموا في صف اعداء الله يناضلون عن تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة . وهذا مما يحبه اعداء الله ويرضون به . فليهنك ايها الطنطاوي وليهن اخـــويك رضوان اعداء الله عنكم .

وهولاء الثلاثة اعني الصواف والمودودي والطنطاوي قد التبس عليهم الحق بالباطل فهم لذلك يرون انهم ينصرون الحـــق ويذبون عنه وهم في الحقيقة انما ينصرون الباطل ويذبون عنه .

اللهم انا نعوذ بك من عمى القلوب وانتكاسها . اللهـــم ارنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه . ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل .

واما قوله ان الذي كتبه الشيخ ابن باز رأي له .

فجوابه ان يقــال ان الشيخ ابن باز قد ايد ما كتبه بالادلة الواضحة من الكتاب والسنة والاجماع . ومـــا كان مؤيداً بالادلة الواضحة من الكتاب والسنة والاجماع فليس من قبيل الرأي . وانما الرأي المحض مـا لم يدل عليه دليل من كتاب ولا سنة ولا اجماع وذلك هو ما كتب فيـه الصواف ووافقه عليه المودودي والطنطاوي . بل ان الذي كتب فيه الصواف شر من الرأي المحض لان غالبه مبني على اتباع الظنون الكاذبة والرجم بالغيب وتصديق من يتعاطى عـلم المغيبات كما قد اوضحت ذلك في مواضعه من هذا الكتاب وفي الصواعق الشديدة .

واما قوله ولكنه ليس حكم الاسلام القطعي في هذه المسألة .

فجوابه ان يقال بل هو حكم الاسلام القطعي فيها لقيام الادلة عليه من الكتاب والسنة والاجماع . وما قام عليه الدليل فهو الذي عليه التعويل .

وأما قوله وجمهرة علماء المسلمين في جميع اقطار الاسلام على خلافه .

فجوابه ان يقال ليس علم الغيب عندك يا طنطاوي حتى تخـبر الناس عما يعتقده جمهور علماء المسلمين في جميع الاقطار الاسلامية وانهم على خلاف ما كتبه الشيخ ابن باز . وما الذي يدريك عن معتقدهم في هذه المسألة وانت لم تجتمع بهم كلهم ولا يمكنك ذلك ولا تقـدر عليه . وعـــلى تقدير انك قد

اجتمعت باشخاص معـدودين من بعض الاقطار الاسلامية واخبروك انهم مخالفون للشيخ ابن باز فلا يسوغ لك ان تحـــكم على جمهور العلماء في جميع الاقطار الاسلامية بانهم يعتقدون معتقدك الباطل الذي ورثته عن فيثاغورس اليوناني وكوبرنيك البولوني وهرشل الانكليزي واتباعهم من فلاسفة الافرنج المتاخرين ومن يتعلق باذيالهم من جهلة المسلمين .

انك يا طنطاوي قد قفوت ما ليس لك به علم وحكمت على كثير من علماء المسلمين بمجرد اتباعك للظن الكاذب وقد قال الله تعالى (ولا تقف مـا ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا) وقال تعالى (وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بمـــا يفعلون) .

والذي نعرفه عن اكابر العلماء عندنا في المملكة العربية السعودية انهـم ينكرون القول بحركة الارض ودورانها وثبات الشمس وسكونها .وهم ولله الحمد متمسكون بالكتاب والسنة بعيدون عن الميل الى الخرافات والتخرصات والظنون الكاذبة التي قد افتتن بها كثير من المنتسبين الى العلم في بعض الاقطار الاسلامية كما قد رأيت ذلك فيما اطلعت عليه من كتبهم .

وأما قوله ثم ان المسألة اكبر من المجاملة واجل من ان تدخـــل في تقدير الامور الشخصية .

فجوابه ان يقال وهل ظننت يا طنطاوي ان الشيخ ابن باز قد جاء شيئا إداً لما خالف رأي فيثاغورس واتباعه من فلاسفة الافرنج المتاخرين حتـى تقول في حقه ما قلت . واذا كنت ترى ان مخالفة رأي فيثاغورس واتباعه امرا كبيرا لا تنبغي المجاملة فيه ولا التقدير لمـــن خالفهم فغيرك يرون ان

مخالفتهم في تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة من اوجب الواجبات واهم المهمات . ويرون ان الامر المنكر على الحقيقة هو مخالفة مدلول الكتاب والسنة والاجماع والاعتياض عن ذلك بآراء اعداء الله وتخرصاتهم وظنونهم الكاذبة والتجرد لنصرتها والذب عنها كما فعلت ذلك ياطنطاوي انت واخـــواك الصواف والمودودي فهذا هو الشيء الإدالذي لايجوز اقراره ولامجاملة اصحابه وتقديرهم

واما قوله وبعد فالذي اعرفه ان الاسلام ليس فيه نص قطعي من كتاب او سنة ولا دليل من اجماع او قياس على دوران الارض ولا على سكونها .

فجوابه ان يقال قد وردت الادلة الكثيرة من الكتاب والسنة على سكون الارض وثباتها واجمع المسلمون على ذلك ودلت على ذلك الادلة العقلية الصحيحة وقد ذكرت ذلك مستوفى في اول الصواعق الشديدة فليراجع هناك.

واذا كان الطنطاوي لا يعرف مثل هذه الادلة التي اشرت اليها فالاولى له السكوت وعدم الخوض فيما لا علم له به فقد قال الله تعالى (ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا) .

واما قوله ودوران الارض امر مشاهد مقطوع به . كان معلوما علمـــا نظريا بالادلة العقلية فصار معلوما علما ضروريا بالحس ومشاهدة الارض من المركبات الفضائية وعرض الصور التي التقطت لها في الرائي اي التلفزيون وفي الخيالة اي السينما . وصار القول بدوران الارض من البديهيات التي لا ينازع فيها اليوم احد .

فجوابه ان يقال اما زعمه ان دوران الارض امر مشاهد ومحسوس فهذا باطل قطعا . ولا يدعي هذه الدعوى من له ادنى مسكة من عقل .

واما ما يزعمه اهل المركبات الفضائية انهم شاهدوا دوران الارض من مركباتهم فذلك انما يخيل اليهم من سرعة سير المركبات لا من سير الارض كما ان راكب المراكب السريعة في الارض يخيل اليه ان ما حوله من الاشجار والاحجار يسير وهو في الحقيقة ثابت في موضعه فكذلك راكب المركبات الفضائية يخيل اليه ان الارض تسير وانما ذلك من سرعة سير المركبة التي هو فيها .

واما تصويرهم لسير الارض وعرض ذلك في التلفزيون والسينما فذلك من مخرقتهم وتدجيلهم على ضعفاء البصيرة . ولا يغتر بذلك ويصدق به الا جاهل لا عقل له .

وأما قوله ان دوران الارض مقطوع به وانه صار معلوما علما ضروريا

فجوابه ان يقال بل الامر في الحقيقة بخلاف ما زعمه الطنطاوي فان سكون الارض وثباتها هو المقطوع به عند المتمسكين بالكتاب والسنة لما قام على ذلك من الادلة الكثيرة من الكتاب والسنة والاجماع والمعقول الصحيح. وقد ذكرت ذلك مستوفى في اول الصواعق الشديدة فليراجع هناك .

وزعم الطنطاوي ان دوران الارض قد صار معلوما علما ضروريا انما هو مبني على ما زعمه اهل المركبات الفضائية انهم شاهدوا ذلك فهذا هو عمدته فيما زعمه من العلم الضروري . ولما كان هذا مبلغ علمه وان اعتماده انما كان على ما يخيل اليه في التلفزيون والسينما من مخرقة اعداء الله وتدجيلهم تبين انه ليس عنده علم يميز به بين ما يسمى علما وبين المخرقة والتخييلات الكاذبة فضلا عن التمييز بين العلم الضروري وغير الضروري .

وأما قوله وصار القول بدوران الارض من البديهيات التي لا ينازع فيها اليوم احد .

فجوابه ان يقال . اما قوله ان دوران الارض من البديهيات فذلك خطأ ظاهر . والصحيح المطابق للواقع ان يقال انه من التخرصات والظنون الكاذبة

واما زعمه انه لا ينازع في ذلك اليوم احد فهو خطأ ظاهر لان كل متمسك بالكتاب والسنة ينازع في ذلك وهم اسعد بالدليل من منازعيهم .

واكابر العلماء عندنا في المملكة العربية السعودية كلهم على انكار القول بدوران الارض .

وقد حكي الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي ـ وكان في آخر القرن الرابع من الهجرة واول القرن الخامس ـ في كتابه « الفرق بين الفرق » اجماع اهل السنة على وقوف الارض وسكونها .

وحكى القرطبي في تفسير سورة الرعد اجماع المسلمين واهل الكتاب على ذلك . ولا عبرة بمن خالف الاجماع من العصريين المفتونين بتخرصات الافرنج وظنونهم الكاذبة .

وأما قوله أما الآيات التي يرى فيها منكرو الدوران دليلا لهم كقوله تعالى (والقى في الارض رواسي ان تميد بكم) فليس فيها دليل لان (ماد) عند العرب بمعنى (مال) وهو باب معروف . والميلان حركة اضطرابية. والسير حركة انتقالية . فاذا نفى الله عنها الميلان فلا يفهم منه نفي الحركة الانتقالية بل ربما كان في الآية اشارة الى مسيرها لان الآية دلت على ان الجبال مثل الثقل للارض لئلا تميد اي تضرب في سيرها كالزورق اذا كان فارغا وضعوا فيه

الحجارة او اكياس الرمل لئلا يضربه الموج فيضطرب . أقول في الآية اشارة فقط والا فالصحيح ما قلته اولا عن الاسلام اذ ليس فيه دليل قطعي لا على حركة الارض ولا على نفي الحركة عنها وعلى مدعي عكس هذا ان ياتي بالدليل

والجواب عن هذا من وجوه احدها ان يقال ان الميد في لغة العرب يطلق على معان منها الحركة والدوران . قال القرطبي في تفسيره عند قول الله تعالى في سورة الانبياء (وجعلنا في الارض رواسي) اي جبالا ثوابت (ان تميد بهم) اي لئلا تميد بهم ولا تتحرك ليتم القرار عليها . قال والميد التحرك والدوران .

وقال الشوكاني في تفسير هذه الآية (وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم) الميد التحرك والدوران اي لئلا تتحرك وتدور بهم انتهى .

واذا انتفى التحرك والدوران عن الارض فانه يثبت لها نقيض ذلك وهو الوقوف والسكون .

فهذه الآية وما في معناها من الآيات الكثيرة من اوضح الادلة على ثبات الارض واستقرارها وقد استدل بها الراسخون في العلم على ذلك . وقد ذكرت ذلك مستوفى في اول الصواعق الشديدة فليراجع هناك .

وليس في الآية ما يشير الى سير الارض بوجه من الوجوه كما زعمه الطنطاوي .

واما تشبيه الارض بالزورق الفارغ وتشبيه وضع الجبال عليها بوضع الحجارة او اكياس الرمل في الزورق لئلا يضربه الموج فيضطرب في حال سيره فهو تشبيه غير مطابق لان الارض قد ارسيت بالجبال من جميع نواحيها والجبال متوجهة بثقلها نحو المركز الذي هو وسط الارض فصارت الجبال

للارض كالاوتاد التي تمنعها من الحركة . ولهذا قال تعالى (الم نجعل الارض مهادا . والجبال اوتادا)

قال ابن منظور في لسان العرب واوتادالارض الجبال لانهاتثبتها انتهى. واذا كانت الجبال اوتادا للارض فالتشبيه المطابق هو تشبيه الارض بالسفينة التي قد وضع فيها ما يثقلها واوتدت بالاوتادفي مرساها فوقفت فيه ولم تتحرك

الوجه الثاني ان الطنطاوي ذكر الآية التي فيها نفي الميد عن الارض وتاولها على غير تاويلها حيث شبه الارض بالزورق الفارغ اذا وضعت فيه الحجارة او اكياس الرمل واعرض عن الاية الصريحة في تثبيت الارض بالجبال وجعلها اوتاداً للارض كالاوتاد التي تثبت الخيام في مواضعها والسفن في مرساها وهي قول الله تعالى (الم نجعل الارض مهادا . والجبال اوتادا) .

قال ابن كثير عند هذه الآية (الم نجعل الارض مهاداً) اي ممهدة للخلائق ذلولالهم قارة ساكنة ثابتة (والجبال اوتادا) اي جعلها لها اوتادا ارساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها.

وقال القرطبي على قوله (والجبال اوتادا) اي لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل باهلها .

وقال ابو حيان في تفسيره (والجبال اوتادا) اي ثبتنا الارض بالجبال كما ثبت البيت بالاوتاد . قال الافوه.

والبيت لا يبتنى الا له عمد ولاعماد اذا لم ترس اوتاد

وتقدم قول ابن منظور في لسان العرب . واوتاد الارض الجبال لانها تثبتها .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه مفتاح دار السعادة ومن منافعها ـ اي الجبال ـ ما ذكره الله تعالى في كتابه ان جعلها للارض اوتادا تثبتها ورواسي بمنزلة مراسي السفن . واعظم بها من منفعة وحكمة انتهى .

وقد روى الامام احمد والترمذي وغيرهما عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال « لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فالقاها عليها فاستقرت » .

وروى ابو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال « ان الجبال لتفخر على الارض بانها اثبتت بها » .

وانما اعرض الطنطاوي عن هذه الآية التي ذكرنا لانها لا تحتمل التاويل. فلو قال هو او غيره ان الارض تشبه السفينة اذا وضع فيها ما يثقلها وربطت بالاوتاد وهي مع ذلك تسير في الماء لكان كل عاقل يضحك منه لانه قد رام الجمع بين النقيضين والجمع بينهما غير ممكن .

وكما انه لا يقول عاقل ان السفينة تسير وهي مربوطة بالاوتاد فكذلك لا يقول عاقل ان الارض تسير وهي موتدة بالجبال لان تثبيتها بالجبال ينافي سيرها فلا يجتمعان .

الوجه الثالث ان الله تعالى قال في سورة المؤمن (الله الذي جعل لكم الارض قراراً والسماء بناء) الاية . وقال تعالى في سورة النمل (أم من جعل الارض قراراً وجعل خلالها انهاراً وجعل لها رواسي) الاية .

وفي هاتين الايتين اوضح دليل على ثبات الارض واستقرارها . قال في القاموس وشرحه قر بالمكان يقر بالكسر والفتح قرارا وقروراً وقراً وتقرة

ثبت وسكن فهو قار كاستقر وتقار وهو مستقر انتهى .

الوجه الرابع ان الله تعالى قال (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) . وفي هذه الآية الكريمة اوضح دليل على ثبات الارض واستقرارها ولو كانت تسير وتدور على الشمس كما زعمه اعداء الله تعالى لكانت تزول من مكان الى مكان وهذا خلاف نص الاية الكريمة .

وقد روى ابن جرير باسناد صحيح عن ابي وائل قال جاء رجل الى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال من اين جئت قال من الشام قال من لقيت قال لقيت كعباً قال ما حدثك قال حدثني ان السموات تدور على منكب ملك قال افصدقته او كذبته قال ما صدقته ولا كذبته قال لوددت انك افتديت من رحلتك اليه براحلتك ورحلها كذب كعب ان الله يقول (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) .

وقال ابن جرير ايضاً حدثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال ذهب جندب البجلي الى كعب الاحبار فقدم عليه ثم رجع فقال له عبد الله حدثنا ما حدثك فقال حدثني ان السماء في قطب كقطب الرحا والقطب عمود على منكب ملك قال عبد الله لوددت انك افتديت رحلتك بمثل راحلتك ثم قال ما تنكب اليهودية في قلب عبد فكادت ان تفارقه ثم قال (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) كفى بها زوالا ان تدور .

وروى ابن ابي خيثمة عن قتادة قال بلغ حذيفة رضي الله عنه ان كعباً يقول ان السماء تدور على قطب كالرحى فقال كذب كعب، ان الله يقول (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني اسناده حسن .

وقال ابن جرير حدثنا بشير قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيدعنقتادة. قوله (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا) من مكانهما .

فهذه اقوال السلف في معنى الاية الكريمة وردهم بها على من زعم ان السماء تدور . وبما قالوه في معنى الآية الكريمة يرد على من زعم ان الارض تدور لان سياق الاية في السموات والارض واحد . فاذا كانت الاية الكريمة دالة على ثبات السموات وعدم دورانها كما صرح به حبر الامة ابن مسعود رضي الله عنه وصرح به ايضاً حذيفة رضي الله عنه فكذلك هي دالة على ثبات الارض وعدم دورانها .

وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال والذي لا اله غيره ما من كتاب الله سورة الا انا اعلم حيث نزلت وما من آية الا انا اعلم فيما انزلت . ورواه ابن حرير ولفظه قال عبد الله والذي لا اله غيره ما نزلت آية في كتاب الله الا وانا اعلم فيم نزلت واين انزلت .

والادلة من القرآن على ثبات الارض واستقرارها قد بلغت خمسة وعشرين وقد ذكرتها في اول الصواعق الشديدة فلتراجع هناك .

الوجه الخامس ما رواه الامام احمد والترمذي من حديث انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال « لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فالقاها عليها فاستقرت » .

وهذا نص في استقرار الارض وسكونها .

والادلة على ذلك من السنة قدبلغت ستة عشر حديثاً . وقد ذكرتها في اول الصواعق الشديدة فلتراجع هناك .

الوجه السادس ذكر الشيخ عبد القاهر بن طاهر البغدادي في آخر كتابه « الفرق بين الفرق » جملة مما اجمع عليه اهل السنة قال فيها . واجمعوا على وقوف الارض وسكونها وان حركتها انما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها .

وقال القرطبي في اول تفسير سورة الرعد . والذي عليه المسلمون واهل الكتاب القول بوقوف الارض وسكونها ومدها وان حركتها انما تكون في العادة بزلزلة تصيبها انتهى .

وهذا صريح في حكاية الاجماع من المسلمين واهل الكتاب على القول بثبات الارض واستقرارها .

واجماع المسلمين دليل قطعي على ثبات الارض واستقرارها . وفيه مع ما تقدم من الايات والاحاديث رد لما زعمه الطنطاوي عن الاسلام انه ليس فيه دليل قطعي على ثبات الارض ونفي الحركة عنها .

واما تقسيمه الاجور بين الشيخ ابن باز ومن وافقه وبين الصواف ومن وافقه وجعله للفريق الاول اجراً واحداً وللفريق الثاني اجرين .

فجوابه ان يقال هذه قسمة ضيزى (اهم يقسمون رحمة ربك) وليس الصواف واشباهه ممن يرجى لهم الاجر فضلا عن مضاعفته الى ضعفين . وانما هم جديرون بمضاعفة الاوزار لقول الله تعالى (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) .

واما قوله ولست اوزع الاجور ولكن اشير الى الحديث .

فجوابه ان يقال بلى قد وزع الطنطاوي الاجور على حسب رغبته ثم تنصل من ذلك وزعم انه يشير بذلك الى الحديث . وليس في الحديث اشارة الى دعاة الهدى ودعاة الضلالة كما قد توهم ذلك . وانما هو وارد في الحكام وهم القضاة كما في الصحيحين والمسند وسنني ابي داود وابن ماجه عن ابي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله اجر » قال فحدثت بهذا الحديث ابا بكر ابن عمرو ابن حزم فقال هكذا حدثني ابو سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة رضي الله عنه .

وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب . قال وفي الباب عن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر رضي الله عنهما. وترجم الترمذي على هذا الحديث بقوله (باب ما جاء في القاضي يصيب ويخطىء) . وترجم عليه ابو داود بقوله (باب في القاضي يخطىء) .

والقائل فحدثت ابا بكر هو يزيد بن عبد الله بن الهاد احد رواته كما صرح بذلك الامام احمد ومسلم وابن ماجه في روايتهم لهذا الحديث .

واذا علم ان هذا الحديث وارد في القضاة وان الطنطاوي قد اخطأ في اشارته اليه فليعلم ايضاً ان المطابق لحال الشيخ ابن باز ومن وافقه وحال الصواف ومن وافقه هو حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئاً ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه

لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » رواه الامام احمد ومسلم واهل السنن وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

قال النووي سواء كان ذلك الهدى او الضلالة هو الذي ابتدأه ام كان مسبوقاً اليه انتهى .

فالشيخ ابن باز قد دعا الى اعتقاد ما قامت عليه الادلة من الكتاب والسنة والاجماع من جريان الشمس في الفلك ودؤبها في ذلك وثبات الارض واستقرارها فيرجى ان يكون له من الاجر مثل اجور من اهتدى بسببه .

واما الصواف فانه قد دعا الى اعتقاد ما يخالف الكتاب والسنة والاجماع من ضلالات فيثاغورس اليوناني واتباعه اهل الهيئة الجديدة وهم كوبرنيك البولوني وهرشل الانكليزي واتباعهما من فلاسفة الافرنج وجهال المسلمين . فيخشى على الصواف ان يكون عليه من الوزر مثل اوزار من ضل بسببه الى يوم القيامة قال الله تعالى (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا سآء ما يزرون) .

واما قوله وجزاك الله خيراً على قصدك الحسن في الدفاع عن الاسلام .

فجوابه ان يقال أما قصده فالله اعلم به هل هو حسن او سيء . ولكن الذي يظهر من حاله انه مفتون بحب الشهرة فلهذا نصب نفسه لمعارضة الحق ومخالفة من هو اعلم منه فكان الامر فيه كما قيل :

خلافا لقولي من فيالة رأيه   كما قيل قبل اليوم خالف لتذكرا

وأما زعمه ان ذلك من الدفاع عن الاسلام .

فجوابه ان يقال كلا . فليس ما جمعه الصواف في رسالته في علم الفلك

دفاعا عن الاسلام وانما هو دفاع عن ضلالات فيثاغورس واتباعه من فلاسفة الافرنج المتأخرين ومن يقلدهم ويحذو حذوهم من جهال المسلمين . ولكن الطنطاوي قد التبست عليه الحقائق فصار يرى الباطل في صورة الحق ويرى ان الدفاع عن ضلالات اعداء الاسلام دفاع عن الاسلام . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وهذا من مصداق ما رواه رزين وغيره عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكرا و المنكر معروفاً » قالوا وان ذلك لكائن قال « نعم » .

واما ما ذكره عن اعداء الاسلام انهم اتخذوا من مقال الشيخ ابن باز طعناً على الاسلام واهله .

فقد تقدم الجواب عنه في اول الرد على الطنطاوي .

واما قوله ليروا ان في علماء المسلمين من لا ينكر الامور الحسية والمسلمات البديهية .

فجوابه ان يقال ليس فيما ذكره الصواف في رسالته من الامور الحسية والمسلمات البديهية شيء سوى القول بكروية الارض واستدارة الافلاك . وأما ما سوى ذلك فكلها تخرصات وظنون كاذبة لا يقبلها الا من هو من اجهل الناس . وعلى هذا فالمطابق للحقيقة ان يقال ليرى اعداء الله ان في المسلمين من يسعى سعياً حثيثاً خلف نعيقهم ويسارع الى تحصيل رضاهم بقبول تخرصاتهم وظنونهم الكاذبة وتأييدها والذب عنها والمجادلة بها لادحاض الحق .

وأما قوله ومن قبل قال شيخ الاسلام ابن تيمية انه ليس في الدين امر ثابت يناقض او ينافي امراً ثابتاً في العقل اوالحس . وما قاله هو الحق.

فجوابه من وجهين احدهما ان يقال ان الطنطاوي انما نقل كلام شيخ الاسلام بالمعنى فزاد فيه وغير اسلوبه . والمعروف من كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى قوله ان المعقول الصريح لا يمكن ان يخالف المنقول الصحيح . وتقرير قوله هذا ان نصوص الكتاب والسنة هي الاصل الذي يجب الرجوع اليه وان المعقولات تعرض على نصوص الكتاب والسنة فما وافقها فهو معقول صريح معتبر وما خالفها فهو فاسد يجب اطراحه .

الوجه الثاني ان الطنطاوي قد استشهد بهذا الكلام في غير محله لانه قد توهم ان ما ذكره الصواف في رسالته فهو من الامور الحسية والمسلمات البديهية التي يثبتها العقل . وليس الامر على ما توهمه بل ان الذي ذكره الصواف كله تخرصات وظنون كاذبةتنافي الادلة من الكتاب والسنة والاجماع سوى القول بكروية الارض واستدارة الافلاك . وقد نبهت على ما فيه من التخرصات والظنون الكاذبة في مواضعها من هذا الكتاب ولله الحمد والمنة .

فصل

وقد نشر الصواف في اول رسالته كلاماً لوزير المعارف الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ . ولمدير التعليم بمكة مصطفى عطار . وحيث انه ليس في كلامهما تصريح بموافقة الصواف على ما قرره في كتابه من دوران الارض وثبات الشمس وغير ذلك مما حشده فيه من تخرصات الافرنج وظنونهم الكاذبة . وانما كتبا اليه ما كتبا لمناسبة خاصة لا لتدعيم كتابه وتقريظه فضم كتابتهما الى كتابه ليتكثر بذلك ويجعله تأييداً لاقواله الباطلة

وهو غير مصيب في فعله هذا . فلهذا اعرضت عن الكتابة على كلامهما • ولو انهما نشرا تعقيباً عليه بعدم الموافقة على ما اودعه في رسالته من الضلالات والجهالات لكان خيراً لهما من السكوت الذي قد يظن بسببه انهما قد وافقاه .

فصل

وفي كلام مصطفى العطار كلمة يجب التنبيه عليها . وهي قوله والشهر الكريم قد اظلنا ببركاته وفيوضه .

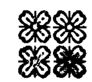
والجواب ان يقال ليست البركات والفيوض من الاشهر ولا من غيرها من المخلوقات وانما هي من الله وحده لا شريك له . قال تعالى (قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد) وقال تعالى (قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك) وقال تعالى (وباركنا عليه وعلى اسحاق) وقال تعالى مخبرا عن عيسى عليه الصلاة والسلام (وجعلني مباركا اينما كنت) وقال تعالى (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) الآية . وقال تعالى (ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) وقال تعالى (ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين) وقال تعالى (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) وقال تعالى (ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) الآية وقال تعالى (ومابكم من نعمة فمن الله) . وفي الحديث الصحيح « وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد » والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا .

ومن اضاف البركات والفيوض الى غير الله تعالى فقد جعل ذلك الغير

شريكا لله تعالى فيما هو من خصائص ربوبيته . وحيث ان هذا قـد خفي على العطار احببنا ان ننبهه عليه .

وهذا آخر ما تيسر ايراده والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على نبينـا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . وسلم تسليما كثيرا

وقد وقع الفراغ من تسويد هـــذه النبذة في يوم الاثنين الموافق لخمس وعشرين مضت من شوال سنه ١٣٨٨ هـ على يد جامعها الفقير الى الله تعـالى حمود بن عبدالله التويجري غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .



فهرس ذيل الصواعق

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تـم الفرس والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

تصحيح الاغلاط المطبعية الواقعة في «ذيل الصواعق لمحو الاباطيل والمخارق»

صفحة	سطر	خطـــأ	صواب
٤	١٠	واختيارة	واختياره
١٠٢	١٦	قبله	لا قبله
١٠٦	١٨	ولتصغي	ولتصغى
٣١٢	١٣	شىء	شيء
٣٣٢	٢	التي	النبي
٣٣٢	١٨	اياته	آيات الله